الملا محمد علي فاضل

مباني وأصول العرفان الشيعي

قراءة في دعاء عرفة

(للإمام الحسين بن علي عليه السلام)

دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

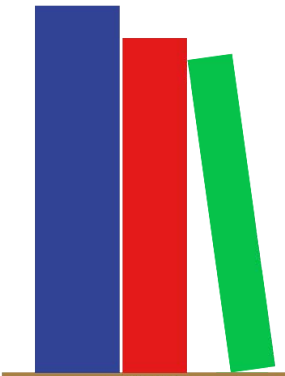

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الاخرى لرجح إيمانه
الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

مباني وأصول العرفان الشيعي

قـــراءة فـــي دعـــاء عرفـــة

للإمام الحسين بن علي عليه السلام

اســم الكتـــاب: مباني وأصول العرفان الشيعي
قــراءة فـــي دعـــاء عرفـــة

المـــؤلـــــف: الملا محمد علي فاضل

النـــاشـــــر: دار المعـارف الحكمية

إخـراج الكتـــاب: Idea Creation

عـدد الصفـحـات: 254

القيـــــــاس: 14.5*21.5

تـاريـخ الطبـــع: ٢٠١١

مباني وأصول العرفان الشيعي

قراءة في دعاء عرفة

للإمام الحسين بن علي عليه السلام

الملا محمد علي فاضل

الشهير بـ «حاجي فاضل خراساني»

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

[١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م]

دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢ شمالي
تلفاكس: ٥٤٤٦٢٢ - ٠١ - Email: almaaref@shurouk.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

مقدمـــة ١

شخصية المؤلف العلمية ١

أساتذة المؤلّف وتلامذته ٣

كتب المؤلّف ٦

نسب المؤلّف وأسرته ٦

ولادة المؤلّف ووفاته ٩

الدعاء وشرحه ١٠

في معنى الحمد والشكر والثناء ١٠

قوله ليس لقضائه دافع... ..... ١٦

في القضاء والقدر ١٦

القول في التفويض ٢٤

القول في المشية ٢٧

في أنّ الوجود خير محض ٣١

المرء يحشر مع من أحبّ ٣٧

وجوب إنكار المنكر ٣٩

في أن واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع الجهات ٥٢
الجواد الحقيقي هو الله تعالى فقط ٥٥
في فضل القرآن ٦٥
في نسبة الإسلام ٦٩
في تمثل الأعمال وتجسّمها ٧٣
فضل التواضع ٧٩
في أن التضرّع والإلحاح يوجب الاستجابة ٨٢
في الدعاء وفضله ٨٧
اختلاف درجات العباد في العقل والإيمان ٩٠
في أن الله هو دافع كل كرب وكاشف كل غمّ ٩٥
في ذم التكبّر ٩٦
فضل البكاء من خشية الله ٩٩
في التوحيد ومعاني الأسماء ١٠٤
في معنى السميع والبصير ١١٢
في معنى اللطيف والخبير ١١٤
في معنى الربّ ١١٥
في بدء خلق الأئمة عليهم السلام ١٢٢

في انعقاد النطفة ومراحل كمالها ١٢٥
في أنّ آباء الأنبياء كلهم كانوا موحّدين ١٢٧
فيما قال الإمام عليه السلام إذا وقع على الأرض من بطن أمّه ١٤٧
في الخوف والخشية من الله تعالى ١٥٦
في التفكر وفضله وأنواعه وإراءة الله الأئمة ما في السماوات والأرض ١٦٢
في إخبار الأئمة عن عوالم غير هذا العالم ١٦٨
في حقيقة الذكر وفضله ١٧٠
في وجوب نشر العلم على العالم، وذمّ كتمانه ١٧٧
في علم الأئمة عليهم السلام ١٨٥
في مبادئ طينة الناس، ومبدأ خلقة الأئمة عليهم السلام ١٩٠
في حقيقة الرزق ومعانيه ١٩٤
الأعـــلام ٢٠٠
المصادر ٢٣٥

مقدمة

شخصية المؤلف العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين، لا سيّما بقية الله في الأرضين عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

مؤلّف هذا الكتاب هو الحكيم الجليل والعلاّمة الفقيه جامع المعقول والمنقول المرحوم الملا محمد علي فاضل المشهور بحاجي فاضل خراساني، كان يعدّ من أكابر علماء الإسلام في القرن الرابع الهجري[1].

كان حاجي فاضل أستاذاً لا غبار عليه في الفقه والأصول والتفسير والحكمة، بما فيها الحكمة المشائية، والإشراق، وفلسفة الملا صدرا. وكان متبحراً في الحديث وأخبار أهل البيت وأصول العقائد. وكانت له مطالعة كثيرة في الشعر العربي والفارسي، وهو أيضاً يتمتع بقريحة شعرية. من هنا جاء اسمه كأحد شعراء خراسان في القرن الأخير. ولكن يؤسفنا إذ لا نجد له ديواناً هذا اليوم.

من الجدير ذكره أن الذين تعرّضوا إلى سيرته نقلوا أنه كان جامع المعقول، وكان مجتهدًا كبيرًا وفيلسوفًا رفيع المستوى. ونورد فيما يأتي على سبيل المثال ما كتبه عنه

(١) لمزيد من الاطلاع على سيرة المرحوم حاجي فاضل أنظر: المصادر المذكورة في هذه المقدّمة.

العلاّمة الشهيد الأستاذ مرتضى مطهري، والأستاذ السيد جلال الدين الآشتياني:

قال الأستاذ مطهري قدّس سره:

«كان الحاج فاضل الخراساني من تلاميذ الملا هادي السبزواري في المعقول بصورة غير مباشرة، ومن طلاب الميرزا الشيرازي في المنقول. وكان أحد النماذج المشهورة في العلم والشمولية في القرن الأخير. وهو أحد الثلاثة الذين كانوا مضرب الأمثال في الشمولية والدقة والتحقيق يومئذٍ، والآخران هما الشيخ عبد النبي النوري في طهران، والميرزا حسين العلوي السبزواري في سبزوار. وكان مدرّسًا اجتمعت عليه الكلمة في تدريس كتب الفلسفة في حوزة مشهد الزاهرة. وتوفي بمشهد في نفس السنة التي توفي فيها تِربه الطهراني المرحوم الشيخ عبد النبي»[1].

وقال الأستاذ الآشتياني:

«كان المرحوم الحاج فاضل الخراساني أحد تلاميذ الملا غلام حسين شيخ الإسلام، والحكيم السبزواري. وكان من فقهاء عصره وحكمائه وأدبائه وعرفائه المشهورين. وعدَّ مدرِّسًا رفيعًا في فنون الحكمة وأستاذًا ممتازًا في جودة التقرير وقدرة البيان على صعيد إيران».

قال مؤلّف سفر نامه خراسان وكرمان [رحلة خراسان وكرمان] وكان قد رأى المرحوم حاجي فاضل عن كثب:

«في هذه المدينة مجتهد كبير آخر؛ هو سماحة أفقه العصر والزمان آغا محمد علي المعروف بفاضل. وهو لبٌّ وسائر المجتهدين فيها قشور... وكانت جميع المسائل الفقهية الشرعية والعرفية، الظاهرية والباطنية بيده... ومن هنا ضرب عن المرجعية صفحًا، بيد أن حكمه ظل مطاعًا متبعًا...»[2].

وصفه أحد العلماء في ظهر المخطوطة التي تضم شرحًا لدعاء عرفة، والعائدة لابنه، قائلاً:

---

(١) **خدمات متقابل إسلام وإيران**: ٦١٣ (الإسلام وإيران).

(٢) **سفر نامه كرمان وخراسان**: ٩٧.

«... قد تتلمذ في العقليات عند أساتذة دهره، ومنهم الحكيم المحقّق والفقيه المتبحّر المولى غلام حسين المعروف بشيخ الإسلام، وهو من أعاظم تلاميذ الحكيم السبزواري، ومن أجلّ تلامذة الشيخ الأعظم الأنصاري قدّس سره، ومنهم الحكيم العلاّمة الآغا الميرزا محمد السروقديّ المعروف بخادمباشي، وهو أيضاً من أكابر تلاميذ السبزواري في العقليات... والشارح العلاّمة حضر أبحاث المجدّد الشيرازي رضوان الله عليه في سرّ من رأى، وهو من أكابر تلاميذه، وحضر برهة من الزمان أبحاث الفقيه العلاّمة الشيخ حسن علي الطهراني... وقرأ أيضاً كثيراً من أبحاث فقهية وأصولية عند الفقيه المحقق المولى عبد الله الكاشاني. وهو من أجلّ تلاميذ الشيخ الأنصاري. واعلم أنّ الشارح المحقق كان حكيمًا محقّقًا وفقيهًا عرّيفًا، وأصوليًّا ماهرًا، وكان أيضًا مفسّرًا ومحدّثًا، وأديبًا جامعًا قلّ مثله في الجامعية. وكان طليق اللسان، سليم الجنبة، مأمون الناحية، لطيف العشرة، قوي الإيمان، ليّن العريكة».

أساتذة المؤلّف وتلامذته

أمضى المرحوم حاجي فاضل عدد سنين في حوزة مشهد، والنجف، وسامرّاء متعلّمًا ومعلّمًا. حضر دروس الأساتذة الكبار في الحوزات المذكورة فأفاد منهم. أدرك في حوزة سبزوار أساتذة مثل الميرزا محمد صدوقي، والملا غلام حسين المتوفّى سنة ١٣١٨ هـ[1]. وكان في حوزة مشهد من تلاميذ الآخوند الملا غلام حسين شيخ الإسلام والآغا الميرزا محمد السروقدّي الخادمباشي في الفلسفة والعلوم العقلية والرياضية. وهذان الأستاذان كانا من تلاميذ الملا هادي السبزواري المعروفين. وحضر في الفقه والأصول ودرس على الشيخ حسن علي الطهراني، والآخوند الملا عبد الله الكاشاني اللذين كانا من أفاضل تلاميذ الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري. وأفاد منهما ردحًا من الزمن.

(١) كان هذان الرجلان الكبيران من طلاب الحكيم السبزواري، وقد توليّا تدريس الفلسفة بعد أستاذهما مدة، تاريخ فلسفة إسلامي: ١٩٣.

كتب المؤلّف

إن ما نعرفه عن الشخصيات العلمية الجامعة للمعقول والمنقول هو كثرة كتبها ورسائلها العلمية في الحقل الذي تتخصص فيه كل واحدة منها. من هنا، نتوقع أن يخلّف لنا المرحوم حاجي فاضل آثارًا علمية جمّة أيضًا. بيد أننا لا نلحظ ذلك. ولعلّ أحد الأسباب التي لم تساعده على التأليف هو انشغاله في محكمة الشرع، والمرجعية العلمية في العلوم المتداولة. من هذا المنطلق، كان كما قال الأستاذ الآشتياني يجيب عن كل سؤال جوابًا وافيًا على البديهة، كما كان مزّاحًا.

إنّ ما عرفنا، من كتبه بعد التحرّي الكثير هو كما يأتي:

١- شرح دعاء عرفة، وهو كتابنا الحاضر، وقد أشير إليه في جميع الكتب التي ترجمت له.

٢- تفسير آيات النور من سورة النور المباركة[١].

٣- حاشية على شرح المنظومة[٢].

نسب المؤلّف وأسرته

المرحوم حاجي فاضل هو نجل الملا عباس علي أخ حاجي ملا حسين القاضي الصدخروي، ويبدو من عبارات كتاب سفرنامه خراسان وكرمان (رحلة خراسان وكرمان) أنّ أسرة المرحوم حاجي فاضل كانت تحظى باحترام الحكومة والشعب في سبزوار ومشهد. وظهرت منها شخصيات علمية وسياسية كثيرة كانت كل واحدة منها باعثًا على تطورات وخدمات علمية وسياسية[٣].

---

(١) صد سال سعر خراسان: ٤١٣ (شعر خراسان خلال مائة عام).

(٢) **تاريخ عرفا وحكماي متأخر** (تاريخ العرفاء والحكماء المتأخرين): ١٢٠، من الجدير ذكره أنه أشكل على الكتاب المشار إليه بعد نسبته إلى المؤلّف.

(٣) **سفرنامه خراسان وكرمان**: ٨٦- ٩٧.

والتقى صاحب سفرنامه خراسان وكرمان بوالد المرحوم حاجي فاضل، فوصفه قائلاً: «رأيت المرحوم الملا عباس علي قبل عشرين سنةً وجلست تحت منبره مرارًا. وكان يعظ الناس فاستفدتُ منه كثيرًا. ولم يكن عالم بمثله في علمه واطلاعه على أوضاع العرب وأساليب الجاهلية والإسلام. وكان جامعًا للأخبار وحاويًا للآثار ومحققًا في التاريخ الإسلامي. على سبيل المثال، كان يستظهر أسماء جميع الآبار التي حُفرت في الجاهلية أو الإسلام في أطراف مكة والحجاز لمياه الشرب وأسماء حفّاريها. ومن كان ملمًّا بهذه الجزئيات إلى الحد المذكور، فكم كان خبيرًا بصيرًا برؤوس المسائل وتفصيل غزوات صدر الإسلام! وكان المرحوم الملا عباس علي الواعظ أخًا للمرحوم حاجي ملا حسين القاضي الصدخروي الذي تمّ على يده فتح خراسان في العصر الناصري»[1].

وأما عمّ المرحوم حاجي قاضي فكانت له شخصية أثنى عليها صاحب سفرنامه خراسان وكرمان بقوله:

«كان (حاجي ملا حسين) امرءًا لبيباً يعرف عاقبة الأمور. وكان أهالي «بلوكات» في أطراف «سبزوار» يطيعونه ويقتدون به في كل عمل. وعندما اختار الميرزا تقي خان الشهير بأمير كبير حسان السلطنة لمواجهة حسن خان سالار في أول حكومة ناصر الدين شاه، توجه تلقاء خراسان بجيش منظم، ونزل قريبًا من (صدخرو) ليذهب منها إلى سبزوار بعد السيطرة على القرى المجاورة، رأى المرحوم ملا حسين أن حسام السلطنة إذا تحرّك نحو سبزوار فإنه سيبدأ بنهب قرية «صدخرو»، فجمع شيوخ القرية ليلاً، وقال لهم: ستكون الغلبة «لحسام السلطنة»، فالأفضل أن نلحق به ولا نكون مع «سالار» وفي اليوم الثاني سار مع جماعة إلى معسكر حسام السلطنة وهم يحملون الخبز والأغنام والمؤن المختلفة، فأدّوا ما عليهم. وتطوّع ملا حسين أن يذهب إلى سبزوار ويستقطب علماءها، وفعل ما عزم عليه. وسيطر حسام السلطنة على سبزوار، وقبض على سالار، فساد الأمن على خراسان، وأنيط حكمها بحسام السلطنة. فحظيت أسرة ملا حسين بعناية تامة من قبل الحكومة،

(١) سفرنامه خراسان وكرمان، ص ٩٧.

وفوّض إليها منصب القضاء في مشهد بعد الانتقال إليها، وبعد إضفاء ولاة خراسان لقب (ملا باشي) عليها»[1].

ونقرأ في موضع آخر من الكتاب:

كانت أسرة حاجي قاضي محترمةً منذ القديم. فكان غياث الدين (ملك) الواردة ترجمته في تاريخ جهانگشا [تاريخ فاتح العالم] من أجداد هذه الطائفة، وهو الذي أنشأ برج «غنذي» (باللسان المحلي) في جادّة (صدخرو) القديمة للحراسة، ومازال هذا البرج قائمًا.

وكان «الخواجة عمادي صدخروي» الذي صدّ الأفغان من الهجوم على إيران، من أجدادها أيضًا[2].

ومن أبناء حاجي قاضي (ابن عم المرحوم حاجي فاضل) الميرزا «داود ملا باشي» والد «بدايع نگار» المعروف. وقد قيل في وصفه:

«جبل عظيم ملوّن ومرْج مليء بالورود والرياحين. لقد رأيت أدباء إيران وعلماءها جميعًا... بيد أنّي رأيت الميرزا داود ملا باشي فلم أر أكمل منه لا في الحكمة فحسب، بل في الآداب أيضًا. والتقيت بهذا الحبر الوافي والبحر الصافي فلمست من أخلاقه وأدبه ووفائه وطمأنينته وشفقته ما حيّرني، فقلت في نفسي:

ليس من الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد[3]

---

(١) **سفرنامه خراسان وكرمان**: ٨٥-٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ٨١.

(٣) **سفرنامه خرسان وكرمان**، م.س. ومن المناسب هنا أن نذكر نجل الفقيد المرحوم حاجي فاضل، وهو المرحوم حاج أحمد آغا فاضل الذي له حق كبير في إحياء هذا الأثر النفيس من خلال استنساخه. وكان يدرس في الحوزة العلمية بقم أيام المرحوم آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري، وكان يحضر درس الميرزا أبو الحسن القزويني في شرح المنظومة. وهو الذي أخذ هذا الأثر النفسي إليه فكان الأستاذ يثني عليه كثيراً. وكان المرحوم حاجي أحمد آغا فاضل من أصحاب المناصب القديمة في الآستانة الرضوية المقدّسة.

ولادة المؤلّف ووفاته

ولد المرحوم حاجي فاضل بمشهد بعد سنة ١٢٦٠هـ. وعاش عمرًا مباركًا ناهز الثمانين، إلى أن توفي سنة ١٣٤٢هـ، وهذا هو ما اتفق عليه ذوو أرحامه. ونقل أحد تلاميذه تاريخ وفاته ومدفنه قائلاً:

«... من جملتهم المرحوم الحاج الملا محمد علي الشهير بالحاج فاضل وكان أستاذي كما كان فريد عصره علمًا وفضلاً وتحقيقًا. توفي في ربيع الأول سنة ١٣٤٢هـ، ودفن في مقبرة المرحوم الخالصي (صفة «سبهسالار» في دار السيّادة، في الحرم الرضوي الشريف)»[1].

(١) **منتخب التواريخ**: ٦٢٦. وجاء في هامش هذه الصفحة: «بل كان يوم الخميس السادس من ربيع الآخر على ما نقله نجل المؤلّف».

[الدعاء وشرحه]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبط الرسول وقرّة عين البتول: «الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع».

[في معنى الحمد والشكر والثناء]

«الحمد»: هو الثناء على الجميل الاختياري، و«الله» اسم للذات المستجمع لجميع الصفات الكمالية.

والحمد: مصدر يقع بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول، وكلاهما صحيح؛ أما بالمعنى الثاني فلأنّ كل جمال وكمال من الله، فكلّ من يحمد أحدًا ويثني عليه فهو يثني حقيقة على الله، وإن لم يعرف الله، ولنعم ما قيل:

مسلمان گر بدانستی که بت چیستت　　بدانستی که دین در بت پرستی است

وگر مشرك زبت آگاه گشتی　　کجا در دین خود گمراه گشتی[1]

ألا ترى أن المدح والثناء لكتاب أو شعر هو ثناء على مصنّفه وشاعره، ولمّا كانت الموجودات بأسرها كتاب الله التكويني فمدح كل موجود وثناء كل شيء هو ثناء الله تعالى.

بنزد آن که جانش در تجلّی　　است همه عالم کتاب حق تعالی است

وبعبارة أخرى: لما كان كل ممكن ليس له وجود من نفسه، بل عدمٌ في نفسه

ما عدمهائیم وهستیهای ما　　تو وجود مطلقی فانی نما[2]

---

(١) گلشن راز/ ١٠٣، وبعده:　　ندید او از إلا خلق ظاهر　　بدان علت شد اندر شرع کافر

(٢) مثنوي ١/٣٨.

فكذا ليس له كمال وجمال في نفسه، حتى يثنى عليه، بل جماله وكماله عكس[1] جمال الله وكماله.

خلق راچون آب دان صاف وزلال　　واندر آن تابان صفات ذو الجلال

پادشاهان مظهر شاهی حق　　عارفان مرآت آگاهی حق[2]

فالثناء على كل كمال ثناء على من له الكمال بالحقيقة، وهو الله تعالى.

وأما بالمعنى الأول، فلأنه الحامد بالحقيقة والفاعل الحقيقي: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾[3]، ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[4]. والفواعل الطبيعية [5]علل معدَّة لا علة موجِدة، فإنه لا مؤثر في الوجود إلا الله، وقد نبّه الله تعالى على فساد توهّم أن الفاعل الطبيعي هو الفاعل بالحقيقة بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[6]، فإن الناس لجهلهم، يتوهمون أنّ كل من يهيّء بحركته شيئًا لقبول صورة واستفاضة فيض هو الفاعل، ويعتقدون أن الوالد علة موجدة للولد، فنبّه الله تعالى على أن الوالد ليس بخالق للولد، وإنما شأنه التحريك وقذف المني في قرار مكين، والفاعل الموجِد هو الله ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾[7].

وكذا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[8]، فالحامد بالحقيقة هو الله، لأنه مقلّب القلوب والأبصار، وهو الذي يشوّق القلب ويوقظه بالثناء عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[9].

---

(١) أي: صورة.
(٢) مثنوي ٣/ ٤٥٣.
(٣) سورة فاطر، آية ٣.
(٤) سورة الصافات، آية ٩٦.
(٥) «ألف» و «ب»: الطبيعي.
(٦) سورة الواقعة، آية ٥٨- ٥٩.
(٧) سورة آل عمران، آية ٦.
(٨) سورة الواقعة، آية ٦٣- ٦٤.
(٩) سورة الحجرات، آية ٧.

وكما أن القلم ليس هو الحامد والثاني بل الكاتب، فكذا نحن بالحقيقة لسنا حامدين، بل الله تعالى كتب في قلوبنا بقدر استعدادنا وقابليتنا حمده وثناءه، وأنطق ألسنتنا به، ولذلك قال عليه السلام في هذا الدعاء:[2]«أَمْ كيفَ أُتَرْجِمُ بمقالِي وهُوَ منْكَ بَرَزٌ إليْكَ». وقال ولده سيد الساجدين: «واجْعَلْ همساتِ قلوبِنا وحركات أعضَائِنَا ولَمَحَات أعيُنِنَا في مُوجِبَاتِ ثوَابِك»[3].

والحمد والمدح والشكر؛ متقاربة المعنى، وقال ابن الأنباري: «حمد» مقلوب «مدح» كما في جذب وجبذ، والمعنى واحد. وهو غلط، فإنّ الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري، والمدح أعمّ من أن يكون الثناء على الجميل الاختياري أو غير الاختياري، كما يقال: مدح الربيع ولا يقال: حَمِدَه.

«مـــــادح خورشيـــــد، مـــــداح خـــودست»[4].

والشكر أخص من الحمد، فالشكر هو الثناء على جميل ونعمة يتعدّى من صاحبه إلى الثاني والحامد. يقال: شكرته على علمه وقوته وشجاعته وشدة بطش يده. ويقال: حمدته لعلمه وشدة بأسه ورباط جأشه. فيعتبر في الشكر أن يكون الثناء والحمد لأجل تعدّي جميله ونعمته إليك جزاء له، ولذا ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لا يحمده»[5]. فإن جزاء نعمة الله من العبد ليس إلا الثناء والاعتراف والعلم بأنها من الله.

ففي مناجاة موسى على نبينا وآله وعليه السلام: «إلهي خلقتَ آدم بيدك، وأسكنته جنتك، وزوّجته حوّاء أمتك، فكيف شكرك؟ فقال الله تعالى: اعلم أنّ

(١) مثنوي ٢/١٥٧.
(٢) في آخر دعاء يوم عرفة.
(٣) الصحيفة السجادية/ ٨٧ (الدعاء ٩).
(٤) مثنوي ٣/٣ والشطر الثاني: كه دو چشمم روشن ونامر مداست.
(٥) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن ١/٦٣.

ذلك مني»[1]. وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: «من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدّى شكرها»[2]، وعن الكاظم عليه السلام: «من حمد الله على النعمة فقد شكره، وكان الحمد أفضل من تلك النعمة»[3]. فالحمد هو روح الشكر ورأسه، ولما قال موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: «يا ربّ، كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك، وشكري لك نعمة أخرى منك علي توجب علي الشكر لك؟ أوحى الله تعالى إليه: إذا عرفتَ هذا فقد شكرتني»[4].

وأما ما قال بعض أهل العلم، في الفرق بين الحمد والشكر، بأن الحمد هو الثناء باللسان لقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾[5]. والشكر ما يكون الثناء بالأركان، كما قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً﴾[6]فهو غلط، فإن الحمد ليس منحصرًا في أن يكون الثناء باللسان، فما من موجود إلا وهو حامد لله، كما قال الله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[7]، والله حامد لنفسه بإظهار الصفات الكمالية في مظاهرها.

ومعنى تسبيح الأشياء دلالتها الذاتية على كمال خالقها، فإنه ما من ممكن إلا وهو مركّب من الوجدان والفقدان، وكل ممكن زوج تركيبي[8] من الوجود والعدم[9]؛ لأن كل ممكن محدود بحدّ، هو ماهيته وحقيقته، فيدل بذاته أنه لا بدّ له من محدّد لا يكون محدودًا، وإلا يتسلسل، ولازم كونه غير محدود أن يكون واسعًا وداخلاً في كل شيء، لا كدخول شيء في شيء، ومع كل ذرة، وظاهرًا في كل شيءٍ، وهو معنى ثناء الله نفسه وحمده، فالله حامد لنفسه بإبداع كمالاته السنية وصفاته العلية في

(١) روضة الواعظين ٢/٤٧٣، مع اختلاف يسير، جامع السعادات ٣/٢٣٤.
(٢) أصول الكافي ٢/٩٦.
(٣) أصول الكافي ٢/٩٨ مع اختلاف يسير.
(٤) أصول الكافي ٢/٩٨ مع اختلاف يسير.
(٥) سورة الإسراء، آية ١١١.
(٦) سورة سبأ، آية ١٣.
(٧) سورة الإسراء، آية ٤٤.
(٨) شرح المنظومة للسبزواري/١٠ (غرر في أصالة الوجود).
(٩) «ب»: الوجود والعدم أي المهية والوجود.

مظاهرها من الممكنات، فتسبيح كل شيء تنزيه الله تعالى عن النقائص بسبب حمده تعالى، فإن النقائص ترجع إلى العدميات، فإن الوجود خير محض، ولذا ليس شيء مسلوبًا عن الله، فإنه كل الأشياء، وكل الوجود، وما من وجود إلا وهو معه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾[1] فهو داخل في كل شيء لا بممازجة، وخارج لا بمباينة.

ولمّا سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الله: أين هو؟ فقال: «هو هاهنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا»[2]. وقال النبي: «لو أنكم دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى، لهبط على الله»[3]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام، في خطبته: «لم يحْلل في الأشياء فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو عنها بائن، ولم يخل منها، فيقال: أين؟ ولم يقرب منها بالالتزاق، ولم يبعد عنها بالافتراق، بل هو في الأشياء بلا كيفية»[4].

وفي هذا الدعاء: «رأيتك ظاهراً في كل شيء» ولذا ليس له بالحقيقة صفة سلبية، وكيف يسلب عنه شيء وهو موجِده ومعطيه، ومعطي الشيء ليس بفاقد له بالضرورة؟

ذات نا يافته از هستى بخش — كي تواند كه شود هستى بخش
خش ابرى كه بود زاب تهى — ناید از وي صفت آب دهى[5]

وصفاته السلبية بالحقيقة سلب السلب، فحمده تعالى وظهوره في كل موجود سبب تنزيهه عن النقائص التي هي عدميات.

فإذا كان الله تعالى محيطًا بكل الوجود، فليس فيه عدم شيء، فحمده تعالى وظهوره صار علة لتسبيحه. ولعلّ هذا معنى ما قالت الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾[6]؛

---

(١) سورة المجادلة، آية ٧.
(٢) بمعناه في التوحيد: للصدوق/ ١٢٥، أصول الكافي ١/ ٩٤.
(٣) سنن الترمذي ٥/ ٧٨، مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٣٧٠.
(٤) التوحيد للصدوق /٧٩، وصدر الرواية في: نهج البلاغة/ ٩٦.
(٥) سبحة الأبرار/ ٤١، والبيت الأول أثبتناه عن: «ب» والمصدر وليس في «ألف».
(٦) سورة البقرة، آية ٣٠.

لأنه الظاهر من اللفظ وكذا قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[1]، لا ما قاله بعض المفسّرين[2] من أن الباء للملابسة، أي نسبّحه متلبّسين بالحمد لك، فحمده وثناؤه تعالى بتجلّيه على كل موجود يوجب أن لا يكون فيه فقد شيء، فلو كان فيه صفة سلبية يلزم تركيبه من الوجدان والفقدان، فلم يكن بسيط الحقيقة، وهو باطل بالضرورة.

فانكشف أن الحمد لا يختص بأن يكون الثناء باللسان، بل الثناء بإظهار كمال المحمود وجماله بذاته، وأقوى وأولى بكونه حمدًا من الثناء باللسان، فإن الثناء باللسان قد يكون كذبًا، ودلالته وضعية، وهي دلالة ضعيفة بالقياس إلى الدلالة الذاتية الوجودية، فكل موجود بوجوده حامد لله تعالى، وكل موجود بما فيه من الكمال والجمال حامد لله، ولكنّ الحامد الجامع لجميع مراتب الحمد هو الجامع لجميع الكمالات، وهو الاسم الأعظم الذي تتشعّب منه الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو الفاتح الخاتم، به يفتح الله الجود والوجود وبه يختم، وهو النور المحمديّ والسراج الأحمديّ، فإنه حامد لله بجمع أسمائه الحسنى وصفاته العليا. ولنعم ما قال ابن الأعرابي: «إن لله تعالى ألف اسم، وللنبيّ ألف اسم»[3]، فهو صلّى الله عليه وآله بوحدته جامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا، وفيه انطوى العالم الأكبر، ولذلك سمّي بالحامد ومحمّد ومحمود، واختصّ بلواء الحمد، فكلّ الأنبياء والأولياء وجميع ما خلق الله يستظلون بظل لوائه، وطول مسيره ألف سنة بعدد أسماء الله تعالى، وله ثلاث ذوائب من نور: ذؤابة في المشرق، وهي مطلع نور الوجود ومبدأ ظهور الجود، وذؤابة في المغرب، وهي أفول نور الوجود وغروبه عن دار الطبيعة وعالم الدنيا وظهوره في عالم الآخرة، وذؤابة في وسط الدنيا، سنامها ياقوتة حمراء، ولعلّها كناية عن العشق والمحبة، وقصبتها قصبة بيضاء ولعلّها كناية عن العلم الواضح، وزُجّها[4] درّة خضراء، كناية عن أول مقام سلوك السالكين.

---

(١) سورة الشورى، آية ٥.

(٢) الكشّاف ١/٢٧١ ذيل آية البقرة: ٣٠، التفسير الكبير ١/١٧٣.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) الزجّ في الرمح والسنان أي حديدة يركز أو يطعن بها، لسان العرب ٢/٢٨٥.

كما ورد في الحديث عن أبي الحسن الرضا عليه السلام «إنّ رسول الله حين نظر إلى عظمة ربه، كان في هيئة الشاب الموفق في سنّ أبناء ثلاثين سنة وكانت رجلاه في خضرة»[1]. وهي كناية عن ثبات قدمه صلّى الله عليه وآله في مقام المعرفة والسلوك، ولكونه صلّى الله عليه وآله، - بحسب باطنه ونوره -، جامع لجميع مراتب الحمد، اختصّ بالمقام المحمود، وهو مقام الفناء في الله، ولذا قال: «فيلهمني الله محامد أحمده بها، لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد»[2]، فإن نشأة الدنيا غير قابلة لإظهار تلك المحامد ولا يمكن التعبير عنها.

«كان راكه خبر شد، خبرى باز نيامد»[3].

بل لا يمكن التعبير عنها لأحد من المقرّبين من الملائكة والمرسلين، كما قال صلّى الله عليه وآله: «لي مع الله وقتٌ لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»[4].

[قوله ليس لقضائه دافع..]

[في القضاء والقدر]

والقضاء قد يطلق في مقابل القدر، وهو كما قال الشيخ الرئيس: «هو الوضع الأول البسيط[5]وهو المعبّر عنه في الشرع بأم الكتاب، وهو الصادر الأول الذي يسمّيه الحكماء بالعقل الأول[6] الذي هو محيط بكل الممكنات وحاوٍ لوجوداتها.

---

(١) أصول الكافي ١/١٠٠، التوحيد للصدوق/٣، علم اليقين ١/٧.

(٢) صحيح البخاري ٨/٢٠١.

(٣) صدر البيت هكذا: اين مدعيان در طلبش بي خبرانند (گلستان سعدى المقدمة).

(٤) مفاتيح الغيب/٤٠.

(٥) الشفاء في الإلهيات/٤٣٩- ٤٤٠.

(٦) قال الفيض الكاشاني: وهذا العالم هو لوح القدر، كما أنّ عالم النفوس الكلية هو لوح القضاء، وكل منهما بهذا الاعتبار كتاب مبين، وقال أيضاً: العالم العقلي والخلق الأول... هو صورة القضاء الإلهي.. وهو بهذا الاعتبار يسمى بأم الكتاب. (علم اليقين ١/١٧٤).

والقدر على ما عرّفه الرئيس هو: «ما يتوجّه إليه القضاء على التدريج»[1]. فإن القدر هو التحديد، وتعيين الحدود والأوقات. ولذا قال أبو الحسن عليه السلام ليونس: «أو تدري ما قدّر؟ قال: لا، قال: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء»[2]. وفي حديث آخر: «هو وضع الحدود من الآجال والأرزاق والبقاء والفناء»[3].

وقد يطلق القضاء على ما يعم القدر، كالظرف والجار والمجرور والفقير والمسكين[4]. وقد يطلق القضاء على معانٍ أخر كالإيجاد، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾[5]. وبمعنى الحكم قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[6] والكل صحيح، فإنّ عالم الشهود ظل ما في عالم الغيب وعكسه، والظل والعكس لا يخالف ذا الظل والأصل، والعالم الكياني رقيقة العالم الربوبي، فكيف يكون هاهنا شيء لم يكن هناك، ولنعم ما قيل:

چيست اندر خم كانـــدر نهر نيست ... چيست اندر خانه كانـدر شهر نيست[7]

سوى شهر از باغ شـــاخى آورند ... باغ وبستان را كجا آنجا برند

خاصه باغي كاين فلك يك برگ اوست ... بلكه آن مغز است واين ديگر چو پوست[8]

وقال الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[9]: «كان شيئًا، ولم يكن مذكورًا»[10].

---

(١) الشفاء في الإلهيات/٤٤٠.
(٢) بحار الأنوار، ٥/١٢٢.
(٣) المصدر نفسه/١١٧.
(٤) اشتهر عند النحاة القول بأن الظرف والجار والمجرور كالفقير والمسكين إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا (أنظر: مغني اللبيب، لإبن هشام الأنصاري، الباب الثالث).
(٥) سورة فصلت، آية ١٢.
(٦) سورة الإسراء، آية ٢٣.
(٧) مثنوي ٢/٣٢٦.
(٨) المصدر نفسه ١/٤٢٨.
(٩) سورة الإنسان، آية ١.
(١٠) مجمع البيان ٥/٤٠٦.

وفي خبر آخر عن المجمع: «كان شيئًا مقدورًا، ولم يكن مكوّنًا»[1].

وعن الصادق والباقر عليهما السلام: «كان مذكورًا في العلم، ولم يكن مذكورًا في الخلق»[2].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3].

فإن الإنسان إذا عرف أن كل مصيبة مقدّرة مكتوبة من عند الله، فكيف يحزن؟ وقد قلت في أوان الشباب:

چون آنچه رسد ما را، از حضرت يزدان است　　باكي نبود ما را، چه درد چه درمان است

چون ساقى ما يار است، وين باده زدلدار است　　چه صافي وچه دُردى، ما را همه يكسان است

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[4]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[5].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ويلٌ لهذه القدرية يقرؤون هذه الآية: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾[6]، ويحهم، من قدّرها إلا الله تبارك وتعالى؟»[7].

وفي العيون عن حمدان بن سالم[8] قال: «كتبت إلى الرضا عليه السلام، أسأله عن أفعال العباد: مخلوقة أم غير مخلوقة؟ فكتب عليه السلام: أفعال العباد مقدّرة في علم

---

(١) مجمع البيان ٥/٤٠٦.
(٢) مجمع البيان ٥/٤٠٦.
(٣) سورة الحديد، آية ٢٢ – ٢٣.
(٤) سورة القمر، آية ٤٩.
(٥) سورة القمر، آية ٥٢ – ٥٣.
(٦) سورة الحجر، آية ٦٠.
(٧) تفسير الصافي ١/٩٠٩.
(٨) في المصدر: حمدان بن سليمان.

الله عزّ وجل قبل خلق العباد بألفي عام»[1].

«نبودى توكه فعلت آفريدند»[2].

ولعل التعبير بألفي عام كناية عن مرتبتي عالم المجرّدات عن المادة والمقدار، وعالم المجرّدات عن المادة لا عن المقدار.

وكتب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى مولانا أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه، يسأله عن القدر فكتب عليه السلام: «فاتّبع ما شرحت لك في القدر ممّا أفضي إلينا أهل البيت، فإنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشرّه فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله عز وجل فقد افترى على الله افتراءً عظيمًا. إنّ الله تبارك وتعالى لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولا يمهل العباد في الهلكة، لكنه المالك لما ملّكهم، والقادر لما عليه أقدرهم، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله صادًّا عنها مبطّئًا، وإن ائتمروا بالمعصية فشاء أن يمنّ عليهم فيحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل. وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها قسرًا، ولا كلّفهم جبرًا، بل بتمكينه إياهم بعد إعذاره وإنذاره لهم واحتجاجه عليهم، طوّقهم ومكّنهم وجعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم وترك ما عنه نهاهم، جعلهم مستطيعين لأخذ ما أمرهم به من شيء غير آخذيه، ولترك ما نهاهم عنه من شيء غير تاركيه والحمد لله الذي جعل عباده أقوياء لما أمرهم به ينالون بتلك القوة، وما نهاهم عنه، وجعل العذر لمن يجعل له سبيلاً حمدًا متقبّلاً؛ فأنا على ذلك أذهب وبه أقول، أنا وأصحابي أيضًا عليه والحمد لله»[3].

وفي المحاسن أنه اختصم رجلان قدريّ وغير قدريّ فجعلا أبا عبد الله عليه السلام حكمًا بينهما، فأتياه فذكرا كلامهما. فقال: «إن شئتما أخبرتكما بقول رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقالا: قد شئنا، فقال: قام رسول الله صلّى الله عليه وآله فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: كتابٌ كتبه الله بيمينه - وكلتا يديه

(١) عيون أخبار الرضا ١/١٣٦.
(٢) گلشن راز /٨٩ وعجز البيت هكذا: ترا از بهر كارى بركزيدند.
(٣) بحار الأنوار ٥/١٢٣- ١٢٤.

يمين – فيه أسماء أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم، مجمل عليهم لا يزيد فيهم رجلاً، ولا ينقص منهم أحدًا إلى آخره»[1].

وفي حديث آخر عن أبي جعفر عليه السلام عن أبيه، صلوات الله عليهما، قال: «خرج رسول الله قابضًا على شيئين في يديه، ففتح يده اليمنى ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من الرحمن الرحيم في أهل الجنة بأعدادهم وأحسابهم وأنسابهم، مجمل عليهم إلى يوم القيامة، لا ينقص منهم أحد، ولا يزاد فيهم أحد. ثم فتح يده اليسرى، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من الرحمن الرحيم في أهل النار بأعدادهم وأحسابهم وأنسابهم إلى يوم القيامة، لا ينقص منهم أحد، ولا يزاد فيهم أحد إلى آخره»[2].

وفي خبر آخر عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس، ثم رفع يده اليمنى قابضًا على كفه، فقال: أتدرون ما في كفي؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ثمّ رفع يده اليسرى، فقال: أيها الناس، أتدرون ما في يدي؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ثم قال صلى الله عليه وآله: حكم الله وعدل، حكم الله وعدل فريق في الجنة وفريق في السعير»[3].

وفي الكافي عن مولانا الصادق عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيرًا ما يقول: «اعلموا علمًا يقينًا أن الله تعالى لم يجعل لعبد وإن اشتد جهده وعظمت حيلته وكثرت مكابدته، أن يسبق ما سمّي له في الذكر الحكيم، ولم يحُل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته أن يبلغ ما سمّي له في الذكر الحكيم. أيها الناس: إنه لن يزداد أمروٌ، نقيرًا بحِذْقه ولا ينقص امروٌ نقيرًا لحُمقه»[4].

---

(١) المحاسن للبرقي ٢٨٠، بحار الأنوار ١٥٩/٥.
(٢) بحار الأنوار ١٥٨/٥ مع تفاوت يسير.
(٣) أصول الكافي ٤٤٤/١.
(٤) فروع الكافي ١٨١/٥ (كتاب المعيشة).

وفي حديث آخر أنه جاء سراقة بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، بيّن لنا ديننا كأننا خلقنا الآن، وفيم العمل اليوم: فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ قال: فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير قال: ففيما العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسّرٌ لما خلق له، وكل يعمل لشاكلته. ولما سئل: هل الدواء والرُّقية يغني من قدر الله؟ قال: الدواء والرُّقية من قدر الله»[1].

وهذا من جوامع الكلم التي ينفتح منها أبواب من العلم:

منها أنه لا جبر في أفعال العباد ولا تفويض، فإنّ معنى قوله، صلى الله عليه وآله: الدواء والرُّقية من القدر أنّ لكلّ شيءٍ قدرًا قدّر بأسبابه وعلله، وأبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها.

مثلاً: إذا قدّر وكتب في اللوح المكنون أن يكوّن ويهب لزيد ولدًا فقد قدّر وكتب أن ينكح[2] امرأة لأن يكون الولد هبة من الله وبدون ذلك محال، والمحال لا يكون متعلّق القدرة وكذا صدور فعل من العبد يستحق عليه المدح، ولو فعل يستحق عليه الذم وبدون اختياره محال، فإنّ الفعل غير الاختياري لا يوجب المدح والثناء والثواب، أو القدح والعتاب والعقاب ولنعم ما قيل:

گرز سقف خانه چوبي بشكد ... بر تو افتد سخت مجروحت كند

هيچ خشمی آيدت بر چوب سقف ... هيچ أندر كين أو باشی تو وقف

كه چرا بر من زد ودستم شكست ... أو عدو وخصم جان من بُدست

آنكه دزدد مال تو گوئی بگير ... دست وپايش را بُر سازش اسير

وربيايد بادو دستارت ربود ... كي تو را با باد دل خشمی نمود

خشم در تو شد بيان اختيار ... تا نگوئی جبر يانه اعتذار

(١) علم اليقين ١/٢٠٧-٢٠٨.
(٢) «ب»: امرأته.

گر شتربان اشتری را مي زند　　آن شتر قصد زننده می کند

خشم اشتر نیست با آن چوب او　　پس ز مختاری شتر برد ست بو

همچنین سگ گر بر أو سنگی زنی　　بر تو آرد حمله گردی منثنی

عقل حيواني چو دانست اختيار　　اين مگو أي عقل انسان شرم دار[1]

وبالجملة: السبب القريب للفعل الحسن والقبيح هو الاختيار، ومحال أن يصدرا بدون الاختيار.

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب نجدة حين سأله، فقال: يا أمير المؤمنين، بماذا عرفت ربك؟ فقال عليه السلام: «بالتمييز الذي خوّلني، والعقل الذي دلّني فقال نجدة: أفأنت مجبول عليه؟ قال عليه السلام: لو كنت مجبولاً عليه ما كنت محمودًا على إحسان ولا مذمومًا على إساءة، وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء. ثم قال نجدة: أجدك أصبحت حكيمًا يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: أصبحت مخيّرًا، فإن أتيت السيئة مكان الحسنة فأنا المعاقب عليها»[2].

فلا يمكن الحمد على الفعل الجميل وغير الاختياري، فكيف يكون العبد مجبورًا وهو يفعل مع الشوق والإرادة؟ ولو كان الفعل فعل الله من دون مدخلية اختيار المكلّف[3]، لكان إيجاد الشوق والإرادة في العبد عبثًا، وسبحانه وتعالى أن يخلق شيئًا عبثًا، وحاشاه أن يخلق شيئًا باطلاً، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[4]، وكيف يكون الإنسان مجبورًا، والإنسان الكامل هو خليفة الله في الأرض، واسمه الأعظم، ومجلاه الأتم، وخلق الإنسان على صورة الرحمن؟ ولو لم يكن لاختيار العبد وشوقه مدخلٌ في فعله لكان بعث النبيين والمرسلين مبشّرين ومنذرين لغوًا، فإنهم بُعثوا لأن يشوّقوا العباد، ويرغّبوهم بإعذارهم وإنذارهم، ولو

(١) مثنوي ٣/١٩٤- ١٩٥.
(٢) تحف العقول/٤٦٩ مع زيادة.
(٣) «ب»: «إرادة» بدل «اختيار».
(٤) سورة ص، آية ٢٧.

لم يكن الفعل باختيار العبد لم يكن ثواب ولا عقاب.

ولذا قال أبو عبد الله عليه السلام في جواب الزنديق حين سأله فقال: أخبرني عن الله عز وجل: كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين، وكان على ذلك قادرًا؟ فقال عليه السلام: «لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب، لأن الطاعة إذا ما كانت فعلهم، لم تكن جنة ولا نار»[1].

لذا قال الباقر والصادق عليهما السلام: «إن الله عز وجل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب، ثم يعذّبهم عليها والله أعز من أن يريد أمرًا فلا يكون. قال: فسئلا عليهما السلام: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: نعم، أوسع ممّا بين السماء والأرض»[2].

وفي رواية أخرى عن محمّد بن عجلان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فوّض الله الأمر إلى العباد؟ فقال عليه السلام: «الله أكرم من أن يفوّض إليهم. قلت: فأجبر الله العباد على أفعالهم؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر عبدًا على فعل ثم يعذّبه عليه»[3].

وفي رواية حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال:[4] «إن الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الله عزّ وجل أجبر الناس على المعاصي، فهذا قد ظلم الله في حكمه، فهو كافر، ورجل يزعم أنّ الأمر فوّض إليهم، فهذا قد أوهن الله في سلطانه، فهو كافر، ورجل يزعم أن الله عز وجل كلّف العباد ما يطيقون، ولم يكلّفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله، فهذا مسلم بالغ»[5].

---

(١) بحار الأنوار ١٨/٥.

(٢) أصول الكافي ١٥٩/١، بحار الأنوار ٥١/٥.

(٣) التوحيد للصدوق/٣٦١، بحار الأنوار ٥١/٥.

(٤) «ب»: إنه قال.

(٥) التوحيد للصدوق/ ٣٦٠، بحار الأنوار ١٠/٥، ودونك من العلاّمة الطباطبائي توضيحاً في المقام أنقله عن ذيل الكافي، ج١، ص ١٥٥ (باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين): مسألة القضاء والقدر من أقدم الأبحاث في تاريخ الإسلام، اشتغل به المسلمون في أوائل انتشار الدعوة الإسلامية وتصادفها مع أنظار الباحثين من علماء الملل والأديان. ولما كان تعلق القضاء الحتمي بالحوادث، – ومن بينها بالأفعال الاختيارية من الإنسان –، يوجب بحسب الأنظار العامية

وبالجملة: القول بالجبر مخالف للشرع والعقل، بل الحس. ولنعم ما قيل:

مذهب جبر از قدر رسواتر است چونكه جبرى حسّ خود را منكر است

القول في التفويض

وأما مذهب التفويض واستقلال العباد في أفعالهم فهو شرك، لأنه قائل بمؤثّرين وخالقين ولعّله المراد بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «القدرية مجوس هذه الأمة»[1].

الساذجة ارتفاع تأثير الإرادة بالفعل وكون الإنسان مجبوراً في فعله غير مختار، تشعّب جماعة الباحثين (وهم قليل البضاعة في العلم يومئذ) على فرقتين: إحداهما - وهم المجبرة - أثبتوا تعلق الإرادة الحتمية الإلهية بالأفعال كسائر الأشياء، وهو القدر، وقالوا بكون الإنسان مجبوراً غير مختار في أفعاله، والأفعال مخلوقة لله تعالى، وكذا أفعال سائر الأسباب التكوينية مخلوقة له. وثانيتهما - وهم المفوضة - أثبتوا اختيارية الأفعال ونفوا تعلّق الإرادة الإلهية بالأفعال الإنسانية، فاستنتجوا كونها مخلوقة للإنسان.

ثم فرّع كل من الطائفتين على قولهم فروعاً ولم يزالوا على ذلك حتى تراكمت هناك أقوال وآراء يشمئز منها العقل السليم، كارتفاع العلية بين الأشياء وخلق المعاصي، والإرادة الجزافية، ووجود الواسطة بين النفي والإثبات، وكون العالم غير محتاج في بقائه إلى الصانع، إلى غير ذلك من هوساتهم. والأصل في جميع ذلك عدم تفقههم في فهم تعلق الإرادة الإلهية بالأفعال وغيرها والبحث فيه طويل الذيل لا يسعه المقام على ضيقه، غير أنّا نوضح المطلب بمَثَل نضربه ونشير به إلى خطأ الفرقتين وبيان الصواب الذي غفلوا عنه، فلنفرض إنساناً أوتي سعة من المال والمنال والضياع والدار والعبيد والإماء، ثمّ اختار واحداً من عبيده وزوّجه إحدى جواريه، وأعطاه من الدار والأثاث ما يرفع حوائجه المنزلية، ومن المال والضياع ما يسترزق به في حياته بالكسب والتعمير، فإن قلنا: إن هذا الإعطاء لا يؤثر في تملك العبد شيئاً والمولى هو المالك وملكه بجميع ما أعطاه قبل الإعطاء وبعده على السواء، كان ذلك قول المجبرة، وإن قلنا: إن العبد صار مالكاً وحيداً بعد الإعطاء وبطل به ملك المولى، وإنما الأمر إلى العبد يفعل ما يشاء في ملكه، كان ذلك قول المفوضة، وإن قلنا كما هو الحق: إن العبد يتملّك ما وهبه له المولى في ظرف ملك المولى وفي طوله لا في عرضه، فالمولى هو المالك الأصلي، والذي للعبد ملك في ملك كما أن الكتابة فعل اختياري منسوب إلى يد الإنسان وإلى نفس الإنسان بحيث لا يبطل إحدى النسبتين، الأخرى، كان ذلك القول الحق الذي يشير عليه السلام إليه...

(١) التوحيد للصدوق/ ٣٨٢، الفرق بين الفِرق/٥، أصول الدين للبغدادي/١٣٥.

فإن قولهم يضاهي قول المجوس في إثبات مؤثرين: أحدهما، يزدان، والآخر أهريمن.

چنان كان گبر، يزدان اهر من گفت خود آن نادان احمق ما ومن گفت[1]

ولذا قال العالم عليه السلام: «مساكين القدرية، أرادوا أن يصفوا الله عز وجل بعدله فأخرجوه من قدرته وسلطانه»[2]، وهم المعتزلة الذين لعنهم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وقال: «لعن الله المعتزلة، أرادت أن توحّد فألحدت»[3]. وكيف يكون فعل العباد مفوّضًا إليهم، والله معزول عنه؟ مع أن وجوده من الله والله مقوّمه، وليس له من نفسه وجود، بل وجوده تجلٍّ من الله، ونسبة وجوده إلى الله نسبة إلى الفاعل التام أحق من نسبته إلى القابل، فإذا كان وجوده كذا فكذا فعله وإيجاده، فإنه فرع وجوده وأثره. ولذا قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾[4]. ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[5]، نفى[6] نسبة الفعل إليهم، وأثبته لنفسه، قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[7].

ولمّا كان العبد مغلوبًا ومقهورًا في مقابل الله، فكيف يكون الفعل مفوّضًا إليه؟ وبعبارة أخرى: لمّا كان الله بسيط الحقيقة وصرف الوجود فلا يشذ عنه شيء من الوجود، فهو في ذاته ليس بفاقد شيئًا، وإلا لزم تركيبه من حيثية الوجدان والفقدان فهو ببساطته كلّ الوجود، فكلّ وجود انبجس من عين وجوده، وكل موجود هو ظل الله ومعلول الله، ولمّا كان وجوده عين قدرته، فكل قدرة هي ظل قدرته، فقدرة العباد ظلّ قدرته، وكما تقول: إنه داخل في كل شيء لا كدخول شيءٍ في شيء، وخارج عن كل شيء، لا كخروج شيءٍ عن شيءٍ، فكذا قدرته تعالى التي هي

(١) گلشن راز/ ٨٩.
(٢) بحار الأنوار ٥/٥٢.
(٣) المصدر نفسه/٨، مع زيادة.
(٤) سورة يوسف، آية ٢١.
(٥) سورة الأنعام، آية ١٨.
(٦) «ألف»: ينتفي.
(٧) سورة الأنفال، آية ١٧.

عن ذاته داخل في كل قدرة، وقوام كلّ قدرة بقدرته، فهو قائم على كلّ نفس بما كسبت.

ولذا قال[1] أبو جعفر أو أبو عبد الله عليهما السلام، لما استأذن أمويّ هو عدوّ لهما فخافت أصحابهما عليه، وقالوا له: لو تواريت وقلنا: ليس هو هاهنا! فقال عليه السلام: «بل ائذنوا له، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: إن الله عزّ وجل عند لسان كل قائل ويد كل باسط فهذا القائل لا يستطيع أن يقول إلا ما شاء الله، وهذا الباسط لا يستطيع أن يبسط يده إلا بما شاء الله»[2].

فكل قدرة ومشية ظل قدرته الأزلية ومشيته السابقة، كما قال الله تعالى في سورة المدّثر: ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاء ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاء اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[3]. وفي سورة الدهر: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاء اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾[4]. وقال أيضًا في سورة التكوير: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاء مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاء اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[5].

وفي رواية القميّ عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: لأن المشية إليه تبارك وتعالى، لا إلى الناس[6].

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاء اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «لأن المشية إليه تبارك وتعالى، لا إلى الناس»[7].

وما قاله عليه السلام واضح، فإن فعل العبد وإن كان بمشيته واختياره، لكن

---

(١) ليس في «ب».
(٢) التوحيد للصدوق/٣٣٧. والرواية عن الباقر عليه السلام.
(٣) سورة المدّثر، آية ٥٤، ٥٥، ٥٦.
(٤) سورة الدهر، آية ٢٩ – ٣٠.
(٥) سورة التكوير، آية ٢٧، ٢٨، ٢٩.
(٦) تفسير القمي ٢/٤٠٨ – ٤٠٩.
(٧) بحار الأنوار ٥/١١٥، والآية في سورة التكوير، آية ٢٩.

مشيته لا يمكن أن تكون بمشيته، لأنّا ننقل الكلام إلى مشية المشية ويتسلسل وهو باطل، على أنه خلاف الوجدان، فإنّا لا نشاء وإن شئنا شيئًا.

وفي رواية محمد بن إسحاق أنه قال: قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى علي بن يقطين: «يا يونس، لا تتكلم بالقدر... إلى أن قال: يا يونس، إنّ القدرية لم يقولوا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاء اللهُ﴾، ولا قالوا بقول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[1]، ولا قالوا بقول إبليس لعنه الله: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي...﴾[2]. ولا قالوا بقول نوح عليه السلام: ﴿وَلاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]، ثم قال عليه السلام: قال الله تعالى: «يا ابن آدم، بمشيّتي كنت أنت الذي تشاء، وبقوّتي أديت إلي فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعًا بصيرًا قويًّا، فما أصابك من حسنة فمني، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك أني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون، وقد نظمت لك كل شيء تريده» [4].

القول في المشية

وفي رواية عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام، قال: «قيل لعلي عليه السلام: إن رجلاً يتكلّم في المشية! قال له علي عليه السلام: ادعه لي، فدعي له، فقال عليه السلام: يا عبد الله خلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ فقال: لما شاء، فقال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء، قال فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء، قال: فيدخلك حيث يشاء الله أو حيث شئت؟ قال: حيث يشاء الله، فقال عليه السلام: لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عيناك [5].

---

(١) سورة الأعراف، آية ٤٣.
(٢) سورة الأعراف، آية ١٦.
(٣) سورة هود، آية ٣٤.
(٤) بحار الأنوار ٥/١٢٢، المحاسن للبرقي ٢٤٤- ٢٤٥ وآخر الحديث القدسي مروي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، كما في أصول الكافي ١/١٥٢ و ١٥٩ - ١٦٠.
(٥) التوحيد للصدوق/٣٣٧، بحار الأنوار ٥/١٠٦.

وفي خبر آخر أنه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر، قال عليه السلام: «بحرٌ عميق فلا تلجه قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر. قال عليه السلام: طريق مظلم فلا تسلكه، قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر، قال عليه السلام: سرّ الله فلا تكلّفه. قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا إذا أبيت فإني سائلك أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟ فقال الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قوموا فسلّموا على أخيكم فقد أسلم، وقد كان كافرًا، قال: انطلق الرجل غير بعيد، ثم انصرف إليه، فقال: يا أمير المؤمنين أبالمشيّة الأولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وإنك لبعيد في المشيّة [1] أما إنّي سائلك عن ثلاث لم يجعل الله لك في شيء منها مخرجًا: أخبرني، أخَلَق الله العباد كما شاء أو كما شاءوا؟ فقال: كما شاء، قال: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاءوا؟ فقال: لما شاء، قال عليه السلام: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاءوا؟ فقال: يأتونه كما شاء، قال عليه السلام: قم، فليس إليك من المشيّة شيء [2].

وبالجملة فكون مشية العبد دون فعله بغير اختياره وكونها من عند الله مما لا شبهة فيه، وهو واضح فإن مشيتنا مستندة إلى إدراكنا ما يلائمنا فينبعث منه الشوق والمحبة حتى يتأكد، ويكون الإرادة [3]. وواضح أن الإدراك والمحبة كله من عند الله لا باختيار العبد. قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ﴾[4]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[5].

فلعن الله القدرية، كيف اجترؤوا على الله ووهّنوا سلطانه، وما قدروا الله حق

---

(١) في بعض نسخ المصدر: «لبعد في المشية».
(٢) التوحيد للصدوق/٣٦٥ - ٣٦٦، بحار الأنوار ٥/١١٠.
(٣) ليست في «ب».
(٤) سورة الحجرات، آية ٧.
(٥) سورة التوبة، آية ٤٦.

قدره؟ وكيف يجري في ملكه ما لا يشاء؟ وكيف يكون له مضادّ ومنازع وقد ورد في الدعاء: الحمد لله الذي لا مضادّ له في ملكه، ولا منازع له في أمره، قهر بعزته الأعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء؟ (١).

وكيف جعلوا مشية الشيطان والنفس فوق مشية الله؟ وقالوا: إن الله لا يشاء أن يعصى والشيطان يشاء، فجعلوا الله مقهورًا ولم يعرفوا أن سلطانه علا كل شيء، وقوته قهرت كل شيء وخضع لها كل شيء.

هيچ كس در ملك او، بى امر او — در نيفزايد سر يك تار مو

مُلك، ملك اوست، فرمان آن او — كمترين سگ بر در آن شيطان او (٢)

فلو كان كما يقولون يكون الله مقهورًا والشيطان قاهرًا، فكيف نعوذ به من الشيطان الرجيم؟ وكيف ندعو عليه ونقول: «اللهم أخسأه عنا بعبادتك واكبته بدؤوبنا في طاعتك، اللهمّ لا تجعل له في قلوبنا مدخلاً، ولا توطنّ له فيما لدينا منزلاً» (٣).

وكيف لا تكون أفعال الشياطين بمشية الله تعالى وقدرته، والله تعالى يرسلهم إلى من يشاء، ويصرفهم عمّن يشاء؟ قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٥). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦). وبإذنه ومشيته تعالى يضلّون. قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ (٧). فالشياطين مسخّرات بأمره، وقد سخّرها لسليمان ولنبينا صلى الله عليه

---

(١) فقرة من دعاء الافتتاح، من أدعية ليالي شهر رمضان.

(٢) مثنوي ٤/١٨٨. وفي بعض النسخ: كمترين سگ بر درش شيطان او.

(٣) الصحيفة السجادية/ ١٢٠ من دعائه إذا ذكر الشيطان.

(٤) سورة مريم، آية ٨٣.

(٥) سورة الزخرف، آية ٣٦.

(٦) سورة الأعراف، آية ٢٧.

(٧) سورة الإسراء، آية ٦٤.

وآله، وللأئمة عليهم السلام، فلا يستطيعون إضلال أحد إلا بإذن الله تعالى، فهم مظاهر قهره، كما أنّ الملائكة مظاهر لطفه.

وفي الكافي بسنده عن ابن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ مما أوحى الله إلى موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة: أني أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق، وخلقت الخير، وأجريته على يدي من أحب، فطوبى لمن أجريته على يديه، وأنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق وخلقت الشر وأجريته على يدي من أريده، فويل لمن أجريته على يديه»[1].

وفي الكافي في رواية أخرى عن محمد بن مسلم أنه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ في بعض ما أنزل الله من كتبه: «أنّي أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخير وخلقت الشر، فطوبى لمن أجريت على يديه الخير، وويل لمن أجريت على يديه الشر، وويل لمن يقول: كيف ذا؟ وكيف ذا؟»[2].

وفيه أيضًا بسنده عن يونس عن بكّار عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال الله تعالى: أنا الله لا إله إلا أنا، خالق الخير والشر، فطوبى لمن أجريت على يديه الخير، وويل لمن أجريت على يديه الشر، وويل لمن يقول: كيف هذا؟ قال يونس: يعني من ينكر هذا الأمر بتفقّه فيه»[3].

ومعنى الحديث في قوله تعالى: «أني أنا الله لا إله إلا أنا» بمنزلة التعليل لما بعد؛ وهو خلق الخير والشر، فلو كان خالق الشر ومجريه غير الله لكان غيره إلهًا، لأن الله هو الملجأ والمفزع، فلو كان غير الله خالق الشر، فلا بدّ لنا أن نلجأ ونفزع وندعوه، ونتضرّع عنده، حتى لا يوقعنا في الشر، ولذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾[4].

---

(١) أصول الكافي ١/١٥٤.
(٢) نفس المصدر والموضع.
(٣) نفس المصدر /١٥٨.
(٤) سورة النساء، آية ٧٨.

فإن قلت: ذيل هذه الآية يناقض[1] هذا، لأنه تعالى قال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[2]. وكذا ينافي ما عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله تعالى يقول يا ابن آدم، بمشيتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبعصمتي وعفوي وعافيتي أدّيت إلي فرائضي، فأنا أولى بإحسانك منك، وأنت أولى بذنبك مني، فالخير منّي إليك بما أوليت بدأً، والشر مني إليك بما جنيت جزاءً، وبسوء ظنك بي قنطت من رحمتي، فلي الحمد والحجة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزاء الحسنى عندي بالإحسان، لم أدع تحذيرك، ولم آخذك عند عزتك، ولم أكلفك فوق طاقتك، ولم أحمّلك من الأمانة إلا ما قدرت عليه ورضيتُ منك لنفسي ما رضيت به لنفسك مني»[3].

وفي الدعاء: «الخير في يديك، والشر ليس إليك»[4].

[في أنّ الوجود خير محض]

قلنا قد تحقق في محلّه أن الشر الحقيقي عدم، والوجود بما هو وجود خير محض[5]، وإنما يتصف بالشر لما معه وفيه من الأعدام، وقد قلت في أوان الشباب:

إن الوجود خير محض عُلِما ... وإنما الشر لأمرٍ عُدِما

كما لو كان البيت مظلماً، وفيه نور ضعيف لاحتجابه عن الشمس، ونوره من وراء الحجاب، فلو قالت الشمس للبيت: ما أصابك من النور مني، وأنا أولى بنورك منك، والظلمة منك، وأنت أولى بظلمتك مني؛ لكان حقًّا.

---

(١) «ب»: في ذيل هذه الآية ما يناقض.
(٢) سورة النساء، آية ٧٩.
(٣) التوحيد للصدوق ٣٤٠- ٣٤١، بحار الأنوار ٥/٤٩.
(٤) وسائل الشيعة ٤/٧٢٤.
(٥) حكمة العين/٥٦.

وبعبارة أخرى: لما كان الشر من جهة فقدان الشخص الكمال؛ من العلم والحلم والشجاعة وأمثالها ليس[1] وجوديًّا[2]، وفقدانها ليس[3] من الله، بل من جهة عدم قابليته لإفاضة الكمالات.

هرچه هست از قامت ناساز بی اندام ماست ورنه تشریف تو بر بالای کس کوتاه نیست[4]

جهة الشر مستندة إلى عدم قابليته لإفاضة الكمال، وهو ذاتي له أسندها إلى نفسه وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[5]، ولما كان وجود هذا الشخص خيرًا وإيجاده من الله، قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[6]، ولما كان فهم هذا المعنى دقيقًا، قال: ﴿فَمَالِ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾[7]، فإن الفقه هو فهم دقائق المطلب، وبهذا الوجه يعرف أن لا منافاة بين الأخبار الواردة في وجوب الرضا بقضاء الله، والتهديد لمن لم يرض بقضائه، ووجوب كراهة الكفر.

فقد روي أن الله تبارك وتعالى قال: «إني أنا الله لا إله إلا أنا، من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي، ولم يشكر نعمائي، فليخرج من أرضي وسمائي وليطلب ربًّا سوائي»[8].

وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله تعالى»[9]. وهو واضح لأن العارف والعالم بالله، يعلم أن الله لا يفعل بعبده إلا ما هو أصلح له.

---

(١) «ب»: لا تكون.

(٢) وكأنه رحمه الله قال: الصفات الكمالية من العلم والقدرة والإرادة أمور وجودية فائضة من الله، والجهل والعجز وعدم الحلم وغيرها أمور عدمية مستندة إلى القابل، والشرور أعدام والأعدام غير مجعولة ولا مخلوقة (جلال الدين آشتياني).

(٣) «ب»: وليس فقديّته.

(٤) ديوان حافظ/٦٠.

(٥) سورة النساء، آية ٧٩.

(٦) سورة النساء، آية ٧٨.

(٧) سورة النساء، آية ٧٩.

(٨) بحار الأنوار ٥/٩٥

(٩) أصول الكافي ٢/٦٠.

[في الرضا بقضاء الله]

كما في التوحيد عن مولانا الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام: «إنه ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا تسألوني ممّ ضحكت؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: عجبت للمرء المسلم أنه ليس من قضاء يقضيه الله عز وجل إلا كان خيرًا له في عاقبة أمره»[1].

وعن الصادق عليه السلام قال: «فيما أوحى الله تعالى إلى موسى: يا موسى، ما خلقتُ خلقاً أحبّ إلي من عبدي المؤمن، فإني إنما أبتليه بما هو خير له، وأُعطيه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصدّيقين عندي، إذا عمل برضائي وأطاع أمري»[2].

وفي الكافي عن ابن سنان عمّن ذكره، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بأي شيء يعلم المؤمن بأنه مؤمن؟ قال: «بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط»[3].

وواضح أن من عرف أن ما يجري عليه من النعم والنقم من عند ربه الذي لا يريد بعبده إلا الخير يكون مبتهجًا به.

غم وشادى بر عارف چه تفاوت دارد ساقيا باده بده شادى آن كاين غم ازوست[4]

بل يكون ابتهاجه بالبلاء أكثر، لأن البلاء للولاء.

اگر با ديگرانش بود ميلى چرا ظرف مرا بشكست ليلى

ولذا كان الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء كلما اشتد الأمر وعظمت المصيبة والمحنة، اشتدت بهجته ومسرّته وأشرق لونه، حتى إن أصحابه يتعجبون من شدة بهجته ومسرّته، ويقول بعضهم لبعض: انظروا إليه، لا يبالي بالموت[5]! وكيف لا

(١) التوحيد للصدوق /٤٠١.
(٢) بحار الأنوار ٧١/١٦٠.
(٣) أصول الكافي ٢/٦٣، وفيه الحديث السابق أيضاً.
(٤) كليات سعدي/٧٨٧.
(٥) بحار الأنوار ٤٤/٢٩٧.

يزيده البلاء إلا النشاط والانبساط وهو يرى الله ظاهرًا في كل شيء وأن عطيته من عنده؟ ولذا لمّا وقع السهم في قلبه الشريف قال: «بسم الله وبالله...»[1].

ولقد قلت من لسان حاله:

گفت این از نزد یزدان آمده　　جان دهم بهرش ز جانان آمده

چون بود این تحفه از جانان من　　جا نگیرد، جز بقلب وجان من

وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لشيء قد مضى: لو كان غيره»[2].

وعن أنس بن مالك أنه قال: خدمت النبي صلى الله عليه وآله عشر سنين، وما قال لي لشيءٍ فعلته: «لمَ فعلت؟» ولا لشيءٍ لم أفعله: «هلاّ فعلت!» ولا في شيءٍ لم يكن: «ليته كان!» وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله يقول: دعوه، لو قضي شيء لكان[3].

وبالجملة: الرضا بالقضاء أكمل أركان الإيمان وأفضل أبواب الجنان، ولذا قال علي بن الحسين عليهما السلام: «الزهد عشرة أجزاء، أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا»[4].

وفي رواية الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لقي الحسن بن عليّ عليهما السلام عبد الله بن جعفر فقال: يا عبد الله، كيف يكون المؤمن مؤمنًا وهو يسخط قسمه ويحقّر منزلته والحاكم عليه الله؟ وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له»[5]. وواضح أن من لم يكن راضيًا بفعل الله وقضائه لا يكون مؤمنًا.

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف/١٧٢.
(٢) أصول الكافي ٢/٦٣.
(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣/٢٣١ مع اختلاف في الألفاظ، ومؤدّاه في حلية الأولياء ٦/١٧٩.
(٤) أصول الكافي ٢/٦٢.
(٥) المصدر والموضع نفسهما.

ولهذا لما سأل رسول الله صلى الله عليه وآله طائفة، فقال: «ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون، فقال صلى الله عليه وآله: ما علامة إيمانكم؟ فقالوا: نصبر عند البلاء، ونشكر عند الرخاء. فلمّا قالوا: «ونرضى بمواقع القضاء» قال رسول الله: مؤمنون، وربّ الكعبة»[1].

وفي خبر آخر قال: «حكماء علماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء»[2].

وفي رواية، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة، فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها، ويتنعّمون كيف شاءوا، فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ فيقولون: ما رأينا حسابًا، فيقولون لهم: هل جزتم الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطًا، فتقول لهم: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئًا، فتقول لهم الملائكة: من أمّة من أنتم؟ فيقولون: من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فيقولون: ناشدناكم الله حدّثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا؟ فيقولون: خصلتان كانتا فينا، فبلّغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته. فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنّا إذا خلونا نستحيي أن نعصيه، ونرضى باليسير مما قسم لنا، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا»[3].

وهذا الحديث حق، فإن من كان مبتهجًا ومستبشرًا في أفعال الله ويرى الله ظاهرًا في كل شيء وبيده الباسطة يفعل ما يفعل، لا يرى جهنم وتكوّن النيران في حقه روحًا وريحانًا..

قال الشيخ الرئيس في الإشارات: «العارف هشّ بشّ بسّام، يبجّل الصغير من تواضعه مثل ما يبجّل الكبير، وينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من النبيه وكيف لا يهشّ، وهو فرحان بالحق وبكل شيء فإنه يرى فيه الحق؟ وكيف لا يستوي والجميع عنده سواسيةٌ؟»[4].

---

(١) الحقائق للفيض/٧٦- ٧٧، جامع السعادات ٣/٢٠٣.
(٢) أصول الكافي ٢/٤٨، جامع السعادات ٣/٢٠٣.
(٣) جامع السعادات ٢/٢٠.
(٤) الإشارات والتنبيهات (مقامات العارفين) /١٥٦، شرح الإشارات ٣/٣٩١.

به جهان خرم از آنم كه جهان خرّم از اوست عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از اوست[1]

فأهل الرضا لفرط بهجتهم ونشاطهم وانبساطهم لا يرون نارًا، وتكون النيران في نظرهم روحًا وريحانًا.

وبالجملة: فلازم رضا العبد بقضاء الله رضا الله عنه، ولا ينفك كون العبد راضياً عن كونه مرضيّاً. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[2].

ولما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: سل لنا ربك أمرًا إن نحن فعلناه فيرضى به عنّا. فقال موسى عليه السلام: «إلهي، قد سمعت ما قالوا، فقال الله تعالى: يا موسى، قل لهم: يرضون عني حتى أرضى عنهم»[3].

وبالجملة: الرضا بقضاء الله أجلّ درجات السالكين، وأكمل مقامات المقرّبين، قال الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[4]. وعدم ذكر المفضّل عليه يدل على العموم، كما إذا قيل: فلان أعلم، أي من كل أحد، فرضوان الله أكبر من كل شيء.

وقد أشكل الأمر على بعض العلماء، بأنه كيف يجب الرضا بقضاء الله، والمعاصي والمنكرات والكفر والفسوق بقضاء الله، والكل من عنده؟

اندر اين شهر حوادث، مير اوست در ممالك مالك تدبير اوست[5]

وقد ورد في الخبر: «من شهد منكرًا ورضي به، فكأنه قد فعله»[6].

وفي خبر آخر: «لو أن رجلاً قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب، كان شريكه

(١) كليات سعدي/٧٨٧.
(٢) سورة الفجر، آية ٢٧- ٢٨.
(٣) المحجة البيضاء ٨/٨٨.
(٤) سورة التوبة، آية ٧٢.
(٥) مثنوي ١/٢٣٧.
(٦) جامع السعادات ٣/٢١١، المحجة البيضاء ٨/٩٥.

في قتله»[1].

وفي الخبر: «إن الله أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق»[2].

وفي الخبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لأصحابه: أيّ عُرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لكل ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عُرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، وتوالي أولياء الله، والتبرّي من أعداء الله»[3].

عن أبي جعفر عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرًا فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير، والله يحبّك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته، فليس فيك خير، والله يبغضك، والمرء مع من أحبّ»[4].

المرء يحشر مع من أحبّ

وفي الخبر: «من أحبّ حجرًا حشره الله معه»[5].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبّهم،

---

(١) بحار الأنوار ١٠٤/٣٨٤ مع اختلاف يسير.

(٢) جامع السعادات ٣/٢١١، المحجة البيضاء ٨/٩٥.

(٣) أصول الكافي ٢/١٢٥ - ١٢٦. وفي هامشه: وورد في حديث: العروة الوثقى الإيمان، وفي آخر: التسليم لأهل البيت. وفي الحديث عرى الإيمان والصلاة والزكاة والحجّ والعمرة، وأوثق عرى الإيمان الحب في الله. وفيه: لا تشتد العرى إلا على ثلاثة. والعرى: جمع عروة، يريد عرى الأحمال والرواحل، وعروة الكوز معروفة.

(٤) نفس المصدر ٢/١٢٦ - ١٢٧، المحاسن للبرقي/٢٦٣، مرآة العقول ٨/٢٦٤.

(٥) روضة الواعظين ٢/٤١٧، بحار الأنوار ٣٦/٣٣٥.

والقولِ فيهم، والوقيعة، وباهتوهم، كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام، ويحْذرهم الناس، ولا يتعلّمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[1].

وفي التوحيد عن الرضا عليه السلام في حديث: «من غاب من أمر فرضي به كان كمن شهده وأتاه»[2].

وفي الخصال عن جعفر بن محمد عن آبائه، عن علي عليهم السلام، أنه قال: «العامل بالظلم والراضي به والمُعين عليه شركاء ثلاثة»[3].

وفي المحاسن عن محمّد بن مسلم قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما يجمع الناس الرضا والسخط، فمن رضي أمرًا فقد دخل فيه، ومن سخط أمرًا فقد خرج منه»[4].

وعن محمّد [بن] الأرقط، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: «تنزل الكوفة؟»، فقلت: نعم قال: «فترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم؟» قال: قلت: جعلت فداك، ما رأيت منهم أحدًا، قال: «فإذا لا ترى القاتل إلا من قتل أو من ولي القتل! ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[5]، فأيّ رسول قتل الذين كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم ولم يكن بينه وبين عيسى رسول؟ وإنما رضوا قتل أولئك فسُمّوا قاتلين»[6].

---

(١) أصول الكافي ٢/٣٧٥

(٢) التوحيد للصدوق /٣٩٢.

(٣) الخصال/١٠٧.

(٤) المحاسن للبرقي/٢٦٢.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٨٣.

(٦) تفسير العياشي ١/٢٠٩، وسائل الشيعة ١١/٤١٢.

[وجوب إنكار المنكر]

قد ورد في الأخبار المتظافرة وجوب إنكار المنكر بالقلب واللسان واليد، فقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: «أيها المؤمنون، إنه من رأى عدوانًا يعمل به ومنكرًا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجِر، وهو أفضل من صاحبه... إلى آخر الحديث»[1].

وفي ذيل رواية العسكري عليه السلام، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من رأى منكرًا فلينكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره»[2].

ولمّا كثر عصيان بني إسرائيل أوحى الله إلى أرميا: «إن بني إسرائيل قد عملوا بالمعاصي، وغيّروا ديني، وبدّلوا نعمتي كفرًا، فبي حلفت لأمتحننّهم بفتنة يظل الحكيم فيه حيرانًا، ولأسلّطن عليهم شرّ عبادي ولادة، وشرهم طعامًا، فيقتل مقاتلهم، ويسبي حريمهم، ويخرب بيتهم الذي يعتزون به ويلقي حجرهم الذي يفتخرون به على الناس في المزابل مائة سنة». فأخبر أرميا أحبار بني إسرائيل ما أوحي إليه، فقالوا له: راجع ربّك، فقل له: فما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء؟ فصام أرميا سبعًا، ثمّ أكل أكلة فلم يوح إليه شيء، ثم صام سبعًا فأوحى الله إليه: «يا أرميا، لتكفّنّ عن هذا أو لأردّن وجهك إلى قفاك» ثم أوحى الله إليه: «قل لهم: لأنكم رأيتم المنكر فلم تنكروه»[3].

عتابه تعالى وتهديده لأجل أنه لوضوح الأمر عند أهل العلم أنّ من رضي بعمل قوم ولم ينكره كان كفاعله، وينبغي له أن يجيب الأحبار ولا يرجع إلى الله تعالى، فبذلك سلّط عليهم بخت نصّر، وصنع بهم ما قد صنع.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال لقوم من أصحابه: «إنه قد حقّ لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم، وكيف لا يحق ذلك لي وأنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح

(١) بحار الأنوار ١٠٠/٨٩.
(٢) المصدر نفسه /٨٥.
(٣) المصدر نفسه ١٤/٣٥٦.

فلا تنكرون عليه، ولا تهجرونه، ولا تؤذونه حتى يترك؟»[1].

[الجمع بين وجوب إنكار المنكرات وعدم الرضا بالكفر والعصيان، وبين الرضا بقضاء الله، ووجوب الرضا بقضائه]

وقد أجاب عن هذا الإشكال الغزالي، وتبعه الإمام الرازي[2]، واستصوبه المولى الرومي في المثنوي، بأن الكفر والعصيان مقضي لا قضاء، والرضا بالقضاء لا ينافي كراهية المقضي، قال العارف الرومي:

پس قضا را خواجه از مقضى بدان	تا شاكلت دفع گردد در زمان
راضيم بر كفر زآن رو كه قضاست	نى ازين رو كه نزاع وخبث ماست
كفر جهل است وقضاي كفر، علم	هر دو كي باشد آخر حلم وخِلم[3]

وزيّف هذا الجواب جماعة من أساطين الحكماء، منهم سلطان الحكماء نصير الدين الطوسي قدّس سره، قال: «والجواب بأن الكفر ليس نفس القضاء، بل هو المقضيّ، ليس بشيء فإن قول القائل: «رضيت بقضاء الله»، لا يعني به رضاه بصفة من صفات الله، إنما يريد رضاه بما يقتضي تلك الصفة وهو المقضي، قال قدّس سره: والجواب الصحيح أنّ الرضا بالكفر من حيث إنه قضاء الله طاعة، ولا من هذه الحيثية كفر»[4].

وقال السيد الداماد رحمه الله: «الفرق بين القضاء والمقضيّ هناك لا مرجع له إلى طائل، أليس اعتبار المقضيّ بما هو مقضي راجعًا إلى اعتبار القضاء؟ «ولا من هذه الحيثية» ليس هو اعتبارًا للمقضيّ، فإذًا إنما الجواب الصحيح على ما تحققته أن الرضا بالقضاء بما هو قضاء بالذات أو بالمقضي بما هو مقضي بالذات واجب، والكفر

---

(١) وسائل الشيعة ١١/٤١٥.
(٢) أنظر كلام الغزالي في: الحكمة المتعالية ٦/٣٨٠، وراجع أيضاً: المحصّل/٢٨٩.
(٣) مثنوي ٢/٧٧.
(٤) تلخيص المحصّل/٣٣٤.

بما هو كفر ليس هو بمقضي بالذات، إذ لم يتعلّق به القضاء بالذات، بل إنما تعلّق به القضاء، فكان مقضيًّا من حيث هو لازم للخيرات الكثيرة لا من حيث هو كفر، فإذًا إنما يجب الرضا به من تلك الحيثية لا من حيث هو كفر، وإنما الكفر الرضا بالكفر بما هو كفر، لا بما هو لازم خيرات نظام الوجود»[1].

وقال صدر الحكماء المتألهين، قدّس سره: «الحكم قد يراد به نفس النسبة الحكمية الإيجابية والسلبية، ولا شبهة أنها من باب الإضافات، وقد يراد به صورة علمية يلزمها تلك النسبة، وهكذا العلم والقدرة والإرادة وأشباهها، فعلى الأول: كون القضاء مرضيًّا به يوجب كون المقضي مرضيًّا به من غير فرق، لأن المعاني النسبية تابعة لمتعلقاتها، فإذا قيل: هذا القاضي أو الحاكم قضى أو حكم قضاءً شرًا أو حكمًا باطلاً، فالمراد به المقضي ولا معنى لكون القضاء بهذا المعنى خيرًا والمقضيّ شرًا. وأما على المعنى الثاني فقضاء الله تعالى عبارة عن وجود صور الأشياء الموجودة في هذا العالم الأدنى جميعًا في عالم علم الله تعالى، على وجهٍ مقدّسٍ عقليٍّ شريفٍ إلهيٍّ خالٍ من النقائص والشرور والأعدام والإمكانات.

ولا شبهة في أن لكل موجود في هذا العالم الكوني ما بإزائه في العالم الإلهي من جهة وجودية، هي علة صدوره ومبدأ تكوّنه، وهو لكونها في العالم الإلهي خير محض لا تشوبه شرية، لأن عالم الأمر كله خير. والشر لا يوجد إلا في عالم الخلق، لمخالطة الوجود بالأعدام والظلمات، ولذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[2]، حيث جعل الشر في ناحية الخلق.

ثم قال:... فإذا تقرّر هذا فصحّ الفرق بين القضاء والمقضيّ، واستقام قول من قال: إن الرضا بالقضاء واجب، لا بالمقضيّ...

ثم قال:... وأما ما ذكره ناقد المحصّل[3]: إن قول القائل «رضيت بقضاء

---

(١) القبسات، الميرداما، تحقيق د.مهدي محقق، جامعة طهران، انتشارات دنشكاه، خرداد ١٣٧٤، ص٤٦٩.

(٢) سورة الفلق، آية ١ – ٢.

(٣) تلخيص المحصّل/٣٣٤.

الله» لا يعني به رضاه بصفة من الصفات، ففيه أن القضاء الإلهي من قبيل النعوت والأعراض، بل هي أصول وذوات ولا نسلّم أن معنى قول القائل «رضيت بقضاء الله» ليس بمعنى رضاه بما سبق في علمه.

ثم قال: وأيضاً قوله: «الرضا بالكفر من حيث هو قضاء الله طاعة، ولا من هذه الحيثية كفر»، ففيه أن علمه تعالى لما كان فعليًّا فكل جهة وجودية في شيءٍ من هذا العالم هي بعينها حيثية معلومة له، فكما أن ذاته تعالى وعلمه بالأشياء شيء واحد بلا تغاير في الذات ولا في الاعتبار، فكذا حيثية كون الأشياء موجودة في أنفسها وحيثية كونها معلومة له مرتبطة به شيء واحد من غير تغاير»[1].

هذا ما ذكره أعاظم الحكماء والعرفاء في حل هذه العقدة، وأنا أقول: أمّا ما ذكره صدر المتألهين قدّس سره من أنّ قضاء الله هو وجود صور الأشياء بالوجود المجرّد الجمعي في العالم الأعلى، فهو حق لا شبهة فيه، فإنّ ما في عالم الشهادة من الأشياء رقائق ما في عالم الغيب، وحقائق الأشياء وأصلها وروحها هناك.

وقد رأيت في بعض المجموعات منقولاً عن ابن عباس: «أنّ كل ما في الدنيا اسم، وحقائقها في الآخرة».

ولعلّه معنى قولهم الأسماء تنزل من السماء. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[2]. ولكن الرضا بالحقيقة يستلزم الرضا بالرقيقة.

والأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وأمرهم عامة المسلمين بالرضا بقضاء الله لا يمكن حملها على القضاء الأمري فقط ووجوده العقلي التجرّدي، فإنّ كثيرًا من الناس غافلون بل منكرون له، بل يجب الرضا بكلا الوجودَين من وجوديه الشهودي والغيبي، والخلقي والأمري، وقد سمّى السيد المحقّق الداماد واصطلح على نسبة وجوده الشهودي بالقضاء الكوني.

---

(١) الحكمة المتعالية ٦/٣٨١- ٣٨٣.

(٢) سورة الحجر، آية ٢١.

والذي أعتقده في حلّ هذه الشبهة العويصة أن قضاء الله هو إيجاده، أعمّ من إيجاده في عالم الأمر والخلق وقد عرفت أن الوجود بما هو وجود خير محض، ليس فيه شرية حتى إن بعض الحكماء ادعى الضرورة، وقال: لا نحتاج إلى إقامة البرهان. والشرور سلوب وأعدام لا عدم محض، بل عدم ملكة، فلها باعتبار الملكات حظ من الوجود[1]. وبهذا الاعتبار يقال: خلق الشر، والله خالق الخير والشر، وإلا فبالحقيقة الشر عدم والأعدام لا تستند إلى قضاء الله، سواء أريد القضاء الأمري أو القضاء الكوني.

فإن قضاءه إيجاده، سواء كان في عالم الغيب أو عالم الشهادة. والعدم غير ممكن الإيجاد، فلا يكون متعلّق القضاء. فالرضا بالقضاء لا يستلزم الرضا بالنقائص، مثلاً: رضانا بإيجاد الله الكافر، بل بهجتنا به غير مستلزم لرضانا بكفره، لأن وجوده من نور فيضه المقدّس الذي أضاء كل شيءٍ وكفره هو عدم علمه وجهله بالله وملائكته وكتبه ورسله، والعدم ليس بقضاء الله. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[2]، فالله خلق الكافر لا خلق الكفر.

فنحن نرضى بفعل الله وإيجاده وقضائه، لما في إيجاده من الخير من عمارة الدنيا التي هي مزرعة الآخرة لأهلها، فإن قوام الدنيا ونظامها لا يكون إلا بنفوس قاسية ساهية لاهية مكّارة غدّارة. ونعم ما قيل:

اُستُن ابن عالم أي دل غفلت است　　هوشياري ابن جهانرا آفت است[3]

ولو لم تكن هذه النفوس الخسيسة التي همّها الحياة الدنيا، -ويرون ﴿ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[4]-، وكانت النفوس كلها همّها الآخرة ومعرفة الله لخربت الدنيا، ولم تتيسر هذه الصنائع من اختراع هذه السفن والمراكب

(١) شرح الإشارات ٣/٣٢٠، لمعات إلهية/٤٠٨.
(٢) سورة التغابن، آية ٢.
(٣) مثنوي ١/١٢٦.
(٤) مقتبس من سورة الروم، آية ٧.

النَّعْمَةِ﴾[1]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[2]، فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نالوه بالعظائم ورموه بها، فضاق صدره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[3]. ثم كذّبوه ورموه فحزن لذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[4]. فألزم النبي صلى الله عليه وآله نفسه بالصبر، فتعدّوا فذكروا الله تعالى وكذّبوه فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي، ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾[5]. فصبر النبي صلى الله عليه وآله في جميع أحواله ثم بشّر عترته بالأئمة ووُصفوا بالصبر. فقال جلّ ثناؤه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[6]. فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فشكر الله ذلك له، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[7]. فقال صلى الله عليه وآله: إنه بشرى وانتقام، فأباح الله عز وجل له قتال المشركين، فأنزل الله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[8]، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[9]. فقتلهم الله على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأحبائه، وجعل له ثواب صبره على ما ادّخر له في الآخرة. فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه في

---

(١) سورة المزمّل، آية ١٠- ١١.
(٢) سورة فصّلت، آية ٣٤- ٣٥.
(٣) سورة الحجر، آية ٩٧- ٩٨.
(٤) سورة الأنعام، آية ٣- ٣٤.
(٥) سورة ق، آية ٣٨- ٣٩.
(٦) سورة السجدة، آية ٢٤.
(٧) سورة الأعراف، آية ١٣٧.
(٨) سورة التوبة، آية ٥.
(٩) سورة البقرة، آية ١٩١.

أعدائه مع ما يدّخر له في الآخرة»[1].

فانظر وتأمّل في هذا الحديث الشريف حتى يتضح أن انتفاع المؤمنين بإيذاء الكافرين والمنافقين أكثر من كل شيء ومن كل طاعة وعبادة، حيث ذكر قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[2]، فأي درجة أعلى من جعلهم أئمة هداة؟ ولم ينالوا هذه الدرجة إلا بالصبر على أذى الكفّار والفجّار، ولذا قيل: إنّ لكل موسى فرعون، ولكل إبراهيم نمرود، ولكلّ محمّد صلى الله عليه وآله أبا جهل[3].

وورد في الأخبار المتكاثرة المتظافرة: «إن المؤمن يُبتلى بالبلاء على قدر إيمانه». و«أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأوصياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل»[4].

وبالجملة: فوجود كل شيء خير، وهو نور وجه الله الذي أضاء كل شيء، وإن اشتمل على نقائص فهي سلوب غير مستندة إلى قضاء الله. وإيجاده تبارك وتعالى هذه الأشياء، الخسيسة لازم في نظام الوجود وكمال الجود، وينتفع بها وحسنها بالقياس إلى ما فوقها كمعدن النفط والقار والنحاس والحديد بالقياس إلى معدن الذهب والفضة والألماس والياقوت، وهكذا الناس: وجود كل طبقة من السعداء والأشقياء لازم، ولا تترتب على وجود كل منهما خيرات لا تترتب على الآخر، كما أن الخيرات التي لا تترتب على النفط تترتب على الذهب.

وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: «الناس معادن، كمعادن الذهب والفضة»[5]. ولنعم ما قيل:

لا تحسب الناس طبعًا واحدًا، فلهم ... غرائزٌ لست تحصيها وخلاّن

ولمّا كان الله تعالى رب العالمين يربّي كلاً من السعداء والأشقياء، لذا قال الله تعالى:

---

(١) أصول الكافي ٢/٨٨.
(٢) سورة السجدة، آية ٢٤.
(٣) الأمثال والحكم (دهخدا) ٣/١٣٦٩.
(٤) الحديثان في: أصول الكافي ٢/٢٥٢.
(٥) علم اليقين ١/٢٠٤، سفينة البحار ٢/١٦٨.

﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[1]، فإن مقتضى الجود أن يعطي كل مستعد وقابل ما استعدّ له.

وقال الله تعالى في شأن الأشقياء: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾[3].

وتعبيره تعالى بالأمر وذكر اسم الرحمن يدل على أن مقتضى رحمته الرحمانية إعطاء كل موجود ما يسأله بلسان استعداده، وأن يبلّغه إلى كماله الذي يطلبه من السعادة والشقاوة.

وأما ما أجاب به الغزالي وارتضاه المولى الرومي من الفرق بين القضاء والمقضي، فمرجعه إلى ما ذكرنا، لأن المقضي هو الممكنات المركّبة من الوجدان والفقدان، فقضاؤه تعالى هو إيجاده، وهو خير ليس فيه شرية. وفقدانه هو حدّه الذاتي لا يستند إلى قضاء الله تعالى.

فما قاله سلطان الحكماء نصير الدين الطوسي في ردّه بأن قول القائل: «رضيت بقضاء الله»، لا يعني به صفة من صفاته، إنما يريد رضاه بما يقتضي تلك الصفة وهو المقضي، ليس بوارد، فإنّ قضاءه هو إيجاده الشيء، وهو المقضيّ لكن المقضيّ مركّب من الوجود الذي هو قضاؤه تعالى وفقده الذي هو ذاتي له غير مستند إلى شيء وليس من القضاء، كما أوضحنا.

وأما ما ذكر السيد الداماد قدّس سره من أن الرضا بالقضاء - بما هو قضاء بالذات، أو بالمقضيّ بما هو مقضيّ بالذات واجب، والكفر بما هو كفر ليس هو بمقضي بالذات، إذ لم يتعلق به القضاء بالذات، بل إنما تعلّق به القضاء فكان مقضيًّا من حيث هو لازم للخيرات الكثيرة، فهو حق ومرجعه إلى ما ذكرنا من أن الشرور أمور عدمية وهي ليست بقضاء الله، لأن قضاءه كما عرفت إيجاده، والأعدام غير قابلة للإيجاد ولكن عالم الدنيا والطبيعة - لضيقه - دار التزاحم والتعاند، فإيجاد

(١) سورة الإسراء، آية ٢٠.
(٢) سورة البقرة، آية ١٥.
(٣) سورة مريم، آية ٧٥.

صورة الهوائية وإعطاؤها للهيولى لاستعدادها بواسطة الحرارة المفرطة يستلزم بالعرض لإعدامها صورة المائية، وهكذا إيجاده وقضاؤه في خلق النار خير محض، ولازم ذلك إعدام صورة الخشبية، فمتعلّق القضاء بالذات هو إيجاد النار لإحراق الأجسام وإبطال صورها. وهو معنى «سبقت رحمتي غضبي»[1]، فإن غضبه تعالى عدم إعطائه الكمال الذي ينبغي له فهو عدم ملكة، وهو بعد، وجوده الذي هو رحمة الله الواسعة.

ولذا قال سيدنا ومولانا الباقر عليه السلام: «إن الله الحليم العليم إنما غضبه على من لم يقبل رضاه، وإنما يمنع من لم يقبل عطاه»[2]. فليس بالحقيقة قضاء شرّ، وليس بالحقيقة لله صفة ثبوتية هي غضبه، وإنما الشر والغضب عدم إعطاء الله الكمال لعدم قابليته ولياقته.

فبالحقيقة ما ذكره السيد قدّس سره، عند التحقيق، يرجع إلى ما حقّقه الغزالي من الفرق بين القضاء والمقضي. فثبت وتحقّق أنّ كل شيءٍ بقضاء الله، وكل طاعة ومعصية بمشيته النافذة، وأنه لا رادّ لقضائه، ولا معقّب في حكمه. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا ملجأ للعباد إلا إليه، ولا منجى من البلاء لهم إلا هو العزيز القهار.

ولذا استعاذ النبي صلى الله عليه وآله والتجأ في سجوده بمعافاته عن عقوبته، وبرضاه عن غضبه، ولمّا رأى صلى الله عليه وآله أن ليس في المبدأ تكثّر وتعدّد، وهو بسيط الحقيقة من كل جهة، قال في آخر الدعاء: «وأعوذ بك منك»[3]. ولنعم ما قيل:

أخاف منك وأرجو، وأستغيث وأدعو كه هم كمند بلائي، وهم كليد نجاتي

فمن زعم أنه يقوى على عمل لم يرده الله عز وجل، فقد جعل إرادته غالبة على إرادته تبارك وتعالى، وهو كفر مخالف للكتاب والسنة والعقل، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ

(١) صحيح البخاري ٨/٢١٦.
(٢) علم اليقين ١/٥٧.
(٣) فروع الكافي ٣/٣٢٤.

﴿الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[1].

وفي الكافي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر. أمر إبليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد، ولو شاء لسجد ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل، ولو لم يشأ لم يأكل»[2].

وفي خبر فتح بن يزيد عن أبي الحسن عليه السلام: «إن لله إرادتين ومشيتين؛ إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء. أوما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيتهما مشية الله تعالى، أمر إبراهيم أن يذبح إسحاق[3] ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشيّة إبراهيم مشية الله تعالى»[4].

فعلم أنه لا رادّ لقضائه ولا مانع من مشيته وإرادته الحقيقية وأمره التكويني. وأما أمره التكليفي بلسان أنبيائه ورسله فليس المقصود والمراد وقوع المأمور به، وإلا لم يعقل[5] المعصية والمخالفة. والمقصود من الأمر التكليفي أن يخرج ما في سرائرهم ويظهر ما في صدورهم ويحصّل ما في قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ﴾[6]، وقال أيضاً: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[7]. فالمقصود من بعث الرسل والتكاليف[8] وإنزال الكتب ليس إلا أن يصير ما بالقوة بالفعل، وما في باطنهم ظاهرًا، فإن الناس معادن ومنابت مختلفة، وكيف يشاء الحكيم من سقي الحنظل أن يجيء السكّر؟ ولذا قال

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٨.

(٢) أصول الكافي ١/١٥١ والمصنّف رحمه الله نقل الحديث بمعناه لا بلفظه.

(٣) قال العلامة الطباطبائي: كون المأمور بالذبح إسحاق دون إسماعيل خلاف ما تظافرت عليه أخبار الشيعة. وله أيضاً تعليق على هذا الحديث في انقسام المشية والإرادة إلى الإرادة التكوينية الحقيقية والإرادة التشريعية الاعتبارية (هامش نفس المصدر).

(٤) نفس المصدر.

(٥) «ب»: لم يفعل.

(٦) سورة محمد، آية ٢٩.

(٧) سورة محمد، آية ٣١.

(٨) ليس في «ب».

الله تعالى في شأن القرآن: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، فلا يراد من إنزال القرآن إلا هداية طائفة خاصة.

وأما بالنسبة إلى غير الأتقياء والسعداء من الأشقياء فلا يزيدهم إلا شقاوة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿وننزّل مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَ خَسَاراً﴾[3].

فالقرآن بمنزلة ماء الرحمة الذي نزل من السماء. فالله تعالى شاء أن يصير ما يختاره المكلّف من الطاعة والمعصية موجوداً، لأن الإنسان المظهر الأتم والمجلى الأعظم والصورة الإنسانية أكبر حجج الله على [خلقه][4]، وهو الكتاب الذي كتبه الله بيده، وجعله مختارًا في أفعاله، فإن اختار الطاعة فالله يشاء أن يصدر منه، وإن اختار المعصية فالله يشاء أن يصدر منه المعصية.

وبالجملة: فمشيّة الله تعلّقت بأن يكون الإنسان في فعله مختارًا، ويمدّه في ما يختاره من السعادة والشقاوة. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، آية ٢.
(٢) سورة التوبة، آية ١٢٤– ١٢٥.
(٣) سورة الإسراء، آية ٨٢.
(٤) ليست في النسختين.
(٥) سورة النساء، آية ١١٥.

[في أن واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع الجهات]

قال عليه السلام: «ولا لعطائه مانع».

وهو حق لا شبهة فيه، فإن واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته، فهو واجب العلم، واجب القدرة، واجب الإرادة والمشية، واجب الإعطاء والجود، وليس فيه تبارك وتعالى جهة إمكان، ولا فيه حالة منتظرة، فيجب عليه العطاء والجود. وهو معنى قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[1]، فإنه تامّ الفاعلية وهو العلة التامّة وليست بناقصة تحتاج إلى رفع مانع، فإنّه ليس له مضاد في ملكه ولا منازع في أمره، فعطاؤه لازم[2] على كل شيْ لا يتغيّر ولا يتبدّل، وإنما التغيّر والتبدل[3] من ناحية القابل ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[4] وما يبدّل القول لديه.

وأما توهّم بعض من لا خبرة وبصيرة له من أن الوجوب ينافي الاختيار فكيف يجب عليه العطاء؟ فمعنى الاختيار أن يكون كل من الفعل والترك ممكنًا، فهو باطل، فإنّه ليس في ناحية الواجب جلّت عظمته جهة إمكان، وكل ما يمكن في حقه تعالى بالإمكان العام فهو واجب، وهو لا ينافي الاختيار، فإن الوجوب بالاختيار اللازم له يؤكّد الاختيار، فإنّ الاختيارات والإرادات ظل اختياره وإرادته، وإرادتنا ومشيتنا كما عرفت مستندة إلى مشيته وإرادته اللازمة له.

وبعبارة أخرى وأوضح: كل ما بالعرض لا بدّ وأن ينتهي إلى ما بالذات، وواضح أنّ إرادتنا ومشيتنا ليستا لازمتين لذاتنا وإلا لم تتخلّفا عنا، وهو باطل بالضرورة، فلمّا كان اختيارنا وإرادتنا ليسا بذاتيّين، فلا بدّ أن ينتهيا إلى ما تكون الإرادة والمشية

(١) سورة الأنعام، آية ١٢.
(٢) «ب»: دائم.
(٣) «ب»: التغيير والتبديل.
(٤) سورة الرعد، آية ١١.

والاختيار ذاتيّةً له، لأن كل ما بالعرض لا بدّ أن ينتهي إلى ما بالذات.

وقال صلوات الله عليه: «ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع».

أما بيان أنه ليس صنع صانع كصنعه فواضح، فإنّ صنعه تعالى هو الإبداع وإيجاد الممكن وإخراجه من «ليس» إلى «أيس» وليس صنع صانع إيجاد شيء، فإنه لا مؤثر في الوجود إلا الله تبارك وتعالى.

قال بهمنيار في التحصيل: «لا يصحّ أن يكون علة الوجود إلا ما هو بريء من كل وجه من معنى ما بالقوة، وهذا هو صفة الأول تعالى لا غير»[1].

وفي رواية عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «في الربوبية العظمى والإلهية الكبرى لا يكوّن الشيء لا من شيء إلا الله، ولا ينقل الشيء من جوهريته إلى جوهر آخر إلا الله، ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلا الله»[2].

ولذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[3]، وقال أيضًا تبارك وتعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[4].

وصنع غير الله من الصانعين تركيب بعض الأشياء الموجودة ببعض، ليظهر آثار غريبة وفوائد عجيبة، أو إعداد بعض المواد لقبول صورة من الله.

ولذا لمّا دخل ابن أبي العوجاء على أبي عبد الله مخاصمًا له، قال لأبي عبد الله عليه السلام: أليس تزعم أن الله خالق كل شيء؟ فقال عليه السلام: «بلى»، فقال ابن أبي العوجاء: أنا أيضًا أخلق! فقال عليه السلام: «فكيف تخلق؟» فقال: أحدث في الموضع ثمّ ألبث عنه فيصير دوابّ فأكون أنا الذي خلقتها. فقال عليه السلام: «أليس خالق شيء يعرف ما خلقه؟» قال: بلى، قال: «فتعرف الذكر منها من الأنثى؟

---

(١) التحصيل/٥٢.
(٢) التوحيد للصدوق/٦٨.
(٣) سورة الزمر، آية ٦٢.
(٤) سورة الرعد، آية ١٦.

وتعرف كم عمرها؟»، فسكت[1]، وبهت الذي كفر.

ولمّا كان صنع الله هو الإيجاد وليس صنع غيره، استدل الإمام عليه السلام وأثبت وجوده تعالى به لأبي شاكر الدّيْصاني - وكان زنديقًا - فدخل على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: يا جعفر بن محمد، دلّني على معبودي فقال له أبو عبد الله: «إجلسْ»، فإذا غلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ناولني يا غلام البيضة»، فناوله إياها، فقال عليه السلام: «يا ديصاني، هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها، لم يخرج منها مُصْلِح فيخبر عن إصلاحها، ولم يدخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها لا يدري للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبّرًا؟» قال: فأطرق مليًّا ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه[2].

فمن تأمّل يعرف بالضرورة أن ليس في البيضة والنطفة مثلاً إلا الاستعداد والقابلية لقبول صورة الطاووسية والإنسانية، وليستا فعلاً موجودتين فيهما، فلا بدّ أن يكون صانعًا وموجدًا فوق الطبيعة. فقبح وبطل قول الطبيعيين الذين ينكرون عالم الغيب، ويستندون إلى الطبيعة فقط، ومعلوم بالضرورة أن ليس في الطبيعة غير القابلية والاستعداد.

غير استعداد اندر نطفه نيست　　پس نظر كن موجد اين شكل كيست؟

(١) التوحيد للصدوق/٢٩٥.

(٢) المصدر نفسه/١٢٢- ١٢٤. والرواية مفصّلة فيها تشكيك عبد الله الديصاني في الصانع تعالى، مخاطباً لهشام بن الحكم.

[الجواد الحقيقي هو الله تعالى فقط]

وأما قوله عليه السلام: «وهو الجواد الواسع» فتعريف الخبر باللام يشعر بحصره في المبدأ، كما في قول القائل: «هو العالم الكامل». وهو كذلك.

وبيانه يحتاج إلى بيان معنى الجود والسعة حتى يتضح انحصارهما في الله تعالى، فنقول كما قال الشيخ في «الإشارات»: «أما الجود فهو إفادة ما ينبغي لا بعوض، فلعلّ من يهب السكّين لمن لا ينبغي له ليس بجواد، ولعلّ من يهب ليستعيض معامل فليس بجواد، وليس العوض كله عينًا، بل وغيره حتى الثناء والمدح والتخلّص من المذمة والتوصّل إلى أن يكون على الأحسن أو على ما ينبغي، فمن جاد ليَشرف أو ليُحمد أو ليحسن به ما يفعل فهو مستعيض غير جواد. فالجواد الحق هو الذي يفيض منه الفوائد لا لشوق منه وطلب قصدي لشيء يعود إليه». ثم قال الشيخ: «واعلم أنّ الذي يفعل شيئًا لو لم يفعله قبح به، أو لم يحسن منه فهو بما يفيده من فعله متخلّص»[1].

وبعدما عرفت معنى الجود تعلم أنّ الجواد منحصر في الله تبارك وتعالى، فإنّ عطاء غيره إما لوقاية العِرض كما أعطى مولانا الحسين عليه السلام الكيسة مائة دينار للفرزدق، فقيل: إنه شاعر فاسق متهتّر [مشهّر][2]، فقال عليه السلام: «خير مالك ما وقيت به عِرضك، وقد أصاب رسول الله كعب بن زهير، وقال في عباس بن مرداس: اقطعوا لسانه عنّي»[3].

وإما لتحصيل الثواب والجزاء في النشأة الآخرة، فيُشترى متاع الحياة الدنيا بمتاع الآخرة. كما نقل عن الزُّهري أنه رأى علي بن الحسين عليه السلام، في ليلة باردة ممطرة وعلى ظهره دقيق وهو يمشي، فقال له الزهري: يا بن رسول الله، ما هذا؟ فقال عليه السلام: «أريد سفرًا، أُعدّ له زادًا أحمله إلى موضع حريز»، فقال الزهري: هذا

---

(١) شرح الإشارات ٣/١٤٥.
(٢) كذا في المصدر: «ب»: مشتهر.
(٣) المناقب ٤/٦٥.

غلامي يحمله عنك، فأبى، فقال الزهري: أنا أحمله عنك، فإني أرفعك عن حمله، فقال عليه السلام: «لكني لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري ويحسن ورودي على ما أرد عليه، سألتك بالله لمّا مضيت في حاجتك وتركتني» فانصرف عنه، فلمّا كان بعد أيام قال له: يا بن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثرًا قال عليه السلام: «بلى يا زهري، ليس ما ظننت، ولكنه الموت، وله كنت أستعدّ»[1]. وإنما الاستعداد للموت اجتناب الحرام وبذل الندى في الخير.

فهذا بالحقيقة ليس بجود، بل هو معاوضة أو ادخار ليوم الآخرة لنفسه، وليس بعطاء.

كما قال روح الله على نبينا وآله وعليه السلام: «بحق أقول لكم، إن قلوبكم حيث تكون كنوزكم، وكل الناس يحبون أموالهم وتتوق إليها أنفسهم، فضعوا كنوزكم في السماء حيث لا يأكلها السوس ولا ينالها اللصوص»[2].

وقال أبو ذر عند الموت، لما سئل له من الذهب والفضة: «لنا كندوج فيه خير متاعنا، سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كندوج المرء قبره»[3].

وبالجملة فعطاء المؤمنين أموالهم بل أنفسهم في سبيل الله بالحقيقة ليس بجود، بل هو معاوضة ومعاملة وتجارة، ولذا سمّي بالتجارة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[5].

---

(١) المناقب، ٤/١٥٤-١٥٣.
(٢) تحف العقول/٥٠٣.
(٣) سفينة البحار ١/٤٨٣. وفيه كندوج المؤمن قبره.
(٤) سورة الصف، آية ١٠-١١.
(٥) سورة البقرة، آية ١٦.

وسمع صلى الله عليه وآله ليلة المعراج من بطنان العرش قائلاً يقول:

من يشتري قبّةً في الخلد عالية ... في ظل طوبى، رفيعات مبانيها

دلّاها المصطفى، والله بانعها ... ممن أراد، وجبريلٌ مناديها؟![1]

وبالجملة فعطاء غير الله لغرض يعود إليه، ولو كان الغرض رضا الله جلّت عظمته، كما في إعطاء أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام الطعام المسكين واليتيم والأسير، فأخبر الله تعالى عنهم أو عن حالهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾[2]. فعطاؤهم الطعام، - مع شدة جوعهم وحبّهم للطعام -، مشتمل على عوض هو[3] رضا الله، وملاحظة وجهه المقدّس، وهو أعلى عوض وأغلى ثمن، فلا يكون بالحقيقة جودًا، لأنه مستكمل به، ويحصل بعطائه كمالاً ودرجة عالية لا ينالها إلا بالعطاء. ولمّا كان الله تبارك وتعالى غنيًّا، ولم يكن فاقدًا لشيءٍ وكمالٍ يحصّله بالعطاء، فليس لفعله تبارك وتعالى علة غائية غير ذاته المقدّسة، فإن العلة الغائية علة فاعلية الفاعل، وهو الكمال الذي كان الفاعل فاقدًا له فيحصّله بفعله، فهو مكمّل الفاعل، وحاشا جنابه تبارك وتعالى أن يكون فاقدًا لكمال شيءٍ[4]، وهو مبدأ الكل، كيف يكون شيء مكمّلاً له؟ ولهذا ورد في الأخبار المتظافرة أنه لا غاية له، وانقطعت عنه الغاية، وهو غاية كل غاية[5].

وبالجملة: لازم مبدأيته لكل شيء أن يكون غاية لكل شيءٍ ومبدأ المبادئ وغاية الغايات.

ولذا قال أبو جعفر الباقر سلام الله عليه، في حديث: «هو أحد صمد قدّوس، يعبده كل شيء، ويصمد إليه كل شيء»[6].

---

(١) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن ١٠/٥٤.

(٢) سورة الإنسان (الدهر)، آية ٩.

(٣) «ألف»: وهو.

(٤) «ألف»: ولشيء.

(٥) نهج البلاغة/١٣٩، أصول الكافي ١/٩٠.

(٦) المحاسن للبرقي /٢٤٢. وفيه: بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام إن الله تباركت أسماؤه التي يدعى بها... وتعالى في علوّ كنهه عن حدّ توحده. توحّد بالتوحيد في

فعطاؤه تعالى محض الجود، وليس غيره جوادًا. وتوصيفه بالواسع بمنزلة التعليل لكون عطائه جودًا محضًا، وليس لتحصيل غاية لم تكن حاصلة له وكان فاقدًا لها، فإنه تبارك وتعالى لمّا كان واسعًا فلم يكن له جهة فقد، فهو بوحدته حاوٍ لكلّ شيء ومحيط به، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات العُلى ولا في الأرضين السفلى، وبنور وجهه أضاء وأوجد كل شيء، فهو كل الوجود وكله الوجود.

ولذا قال أبو جعفر الباقر سلام الله عليه، في جواب من سأله وقال: أخبرني عن ربك متى كان؟ فقال له: «ويلك! إنما يقال لشيء لم يكن فكان: متى كان؟... إلى أن قال عليه السلام: ولا كان خِلواً من الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلواً منه بعد ذهابه»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته التي خطب بها بعد أن حشد الناس: «حدَّ الأشياء كلها عند خلقه، إبانة لها من شبهه، وإبانة له من شبهها. لم يحلل فيها فيقال: هو فيها كائن. ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن ولم يخل منها، فيقال له: أين؟ لكنّه سبحانه أحاط بها علمه...» إلى آخر الخطبة[2].

فهو تعالى في مرتبة ذاته لم يكن فاقدًا لشيءٍ يحصله، فعطاؤه محض الجود، وليس لغرض يعود إليه.

[في معنى الفاطر والبديع]

وقال صلوات الله عليه: «فطر أجناس البدائع وأحكم بحكمته الصنائع».

والفطر في أصل اللغة بمعنى الشق[3]. ولمّا كان الخلق عبارة عن شقّ ظلمة ليل

توحّده، ثم أجراه على خلقه، فهو أحد صمد قدوس يعبده كل شيء ويصمد إليه، وفوق الذي عيننا تبلغ، وسع كل شيء علماً. وفي «ألف» و «ب»: إنه واحد صمدي.

(١) التوحيد للصدوق/١٧٣.

(٢) أصول الكافي ١/١٣٥، عن أبي عبد الله عن أمير المؤمنين عليهما السلام. والخطبة مفصّلة في باب التوحيد. قال في الكافي بعد نقلها: وهي كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبّرها وفهم ما فيها.

(٣) لسان العرب ٥/٥٥.

العدم بنور نهار الوجود[1]، يقال للخالق: فاطر، والبدائع جمع بديع، وفي اللغة هو الذي لا عهد بمثله، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾[2] ومنه سمّيت البدعة بدعة. ولمّا لم يكن للأشياء قبل إيجاد الله تعالى إياها اسم ولا رسم ولم يكن ما خلقه شيئًا مذكورًا، فكل الأشياء من بدائع صنعه. ومن أسمائه الحسنى «البديع»، كما قال في كتابه المجيد: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[3]؛ أي موجدهما من غير مثال سابق.

وأما ما نوقش فيه بأنّ «فعيل» في لغة العرب لازم[4]، ولم يثبت بمعنى مُفعل، وإن ورد فشاذّ، فلا ينبغي حمل كلام الله في القرآن عليه، بل هو من باب الوصف بحال المتعلّق، كما يقال: حسن الغلام. فالمراد من بديع السموات والأرض: أن السماوات والأرض من بدائع خلقه، فغلط، فإنه قد جاء فعيل بمعنى مفعل في القرآن وغيره كعذاب أليم، وضرب وجيع، أي مُوجع، والسميع بمعنى مُسمع قال الشاعر:

أمنْ ريحانة الداعي السميع ... يؤرّقني وأصحابي هجوع[5]

وكذا ورد بديء بمعنى مبدئ قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة خطبها في مسجد: الحمد لله الذي هو الأول بلا بديء من ما، ولا باطن في ما، ولا يزال مهما، ولا ممازج مع ما، ولا خيال وهماً[6]. وأما في مصطلح بعض الحكماء[7]، فيطلق على موجود غير مسبوق بمادة ولا مدّة، كالعقول. وأما ما كان مسبوقًا بمادة دون المدة، فيطلق عليه المخترع، كالسماء وما فيها. وأما ما كان مسبوقًا بكلتيهما

---

(١) التعبير بالنور عن الوجود كثير في لسان الحكماء، واستشهدوا لذلك بقوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾.
(٢) سورة الأحقاف، آية ٩.
(٣) سورة البقرة، آية ١١٧. سورة الأنعام، آية ١٠١.
(٤) «ألف»: لازم لم يجئ.
(٥) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن ١/١٢٣.
(٦) التوحيد للصدوق/٧٨.
(٧) أسرار الحكم/١٤٢.

من المادة والمدة، فيسمّى بالمكوّن والمراد هنا معناه اللغوي، فإنّ جميع ما خلقه الله بديع لم يسبقه مثال، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ابتدأ ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق بشيءٍ مما خلق»[1].

والإحكام لغة هو الإتقان وعدم الفساد والخلل في العمل، وهو لازم كون الصانع حكيمًا، فإن الحكمة عبارة عن إدراك دقائق الأمور والقدرة على إعمالها، ويقال بالفارسية: «خورده بينى، خورده كارى». ويقال للأول: الحكمة النظرية، وللثاني: الحكمة العملية[2].

ولما كان علمه تبارك وتعالى نافذًا في كل شيءٍ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير، فكل علم وقدرة ظلّ علمه وقدرته وكل حكمة في الخلق ظل حكمته، فهو الحكيم الحقيقي فمصنوعاته تعالى أتقن وأحسن من كل صنعة تُتصوّر، ولا يمكن نظام أولى وأعلى من هذا النظام.

ولذا قال تبارك وتعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[3]. ولنعم ما قيل:

اندرين گردون مكرّر كن نظر	چونكه حق فرمود «ثم أرجع البصر»[4]
يك نظر قانع مشو زين سقف نور	بارها بنگر ببين «هل من فطور»
چونكه گفت كاندرين سقف نكو	بارها بنگر چو مرد عيبجو[5]

فأعطى كل شيءٍ ما يليق به، وهو مقتضى رحمانيته، ففي رحمته الرحمانية ليس تفاوت وفطور، وفي عطائه ليس منع وقصور، وكل شيءٍ في مرتبته متقن وحسن، ولنعم ما قيل:

---

(١) التوحيد للصدوق/٤٤.
(٢) إذ الحكمة تتعلق فيه بالعمل، وإن كانت نظرية من وجه آخر.
(٣) سورة الملك، آية ٣ - ٤.
(٤) مثنوي ٣/١٢٤.
(٥) المصدر نفسه ١/٤١٢.

جهان چون خط وخال وزلف وابرو است همه چيزى بجاي خويش نيكو ست[1]

وقال عليه السلام: «ولا يخفى عليه الطلائع».

الطلوع لغة هو ظهور الشيء يقال: طلع الكوكب، فهو ضد الغروب ومنه طليعة الجيش، وهو من يبعث ليطّلع على عدد العدو، ويقال له: الطليع. ومنه الحديث: «الطليع ليس بمحارب، لأنه عين القوم»[2].

والمراد هنا يظهر من أعمال وأفعال تدلّ على ما في السرائر والضمائر، ويعلم سرّنا وجهرنا، ويعلم أنّ هذه الطليعة من الأعمال طلع خالصًا لوجه الله، أو طلع طمعًا للجنّة والمثوبة، أو طلع من خوف النار والجحيم والعذاب الأليم، أو طلع لرئاء الناس وحب الثناء والجزاء منهم. ولا يعلم أنّ هذه الطليعة ممّ طلع، إلا الله، فيثيبه على ما طلع.

ولذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أول من يسأله يوم القيامة ثلاث: رجل آتاه الله العلم، فيقول الله تعالى: ماذا صنعت فيما علمت؟ فيقول: يا ربّ، كنت أقوم به آناء الليل والنهار فيقول الله عز وجل: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال: فلان عالم! ألا فقد قيل ذلك. ورجل آتاه الله مالاً، فيقول الله تعالى: قد أنعمت عليك، فماذا صنعت؟ فيقول: يا ربّ، كنت أتصدّق به آناء الليل والنهار فيقول الله عز وجل: كذبت، ويقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال: فلان جوادًا! ألا فقد قيل ذلك. ورجل قتل في سبيل الله، فيقول الله عز وجل: ماذا صنعت؟ فيقول: أمرت بالجهات فقاتلت في سبيلك حتى قتلت، فيقول الله عز وجل: كذبت، ويقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال: فلان شجاع! ألا فقد قيل ذلك»[3].

وفي الخبر: إنّ رجلاً قتل في سبيل الله، وكان يدعى قتيل الحمار، لأنه قاتل كافرًا

(١) گلشن راز /٩٧.
(٢) مجمع البحرين ٢/٣٦٩.
(٣) مستدرك الوسائل ١/١١١، مع اختلاف يسير.

ليأخذ سلبه وحماره، فقتله الكافر فسمّي به، لأنّ قتاله صدر وطلع عن نيته، وهو أخذ الحمار أضيف إليها[1].

فلينظر العبد وليتأمّل إلى نيته التي يطلع ويصدر منها العمل، فإنّ الله لا ينظر إلى صورتنا، بل ينظر إلى قلوبنا وسرائرنا.

قال صلوات الله عليه: «ولا يضيع عنده الودائع».

والودائع: جمع وديعة، وهي معروفة. ولمّا كانت الأشياء كلها ملكًا وليس مالكها بالحقيقة إلا وهو وليس بالحقيقة مالك سواه، فلا يكون عند الله وديعة، بل الأشياء التي في أيدينا وندّعي ملكيتها - عندنا - عارية ووديعة. ولنعم ما قيل:

وما النفس والأموال إلا وديعة ولا بدّ يومًا أن ترد الودائعا

اين جان عاريت كه بحافظ سپرت دوست روزى رخش ببينم وتسليم وي كم[2]

ولكن الله، من شدة رحمته وكثرة عطوفته، سمّانا مجازًا بالمالك، واستقرض منّا وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾[3].

وسمّى ما يأخذ منا باسم الصدقة، وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إن الله تعالى يقول: ليس من شيء إلا وكّلت به من يقبضه غيري إلا الصدقة، فإني أتلقفها بيدي تلقفًا، حتى أنّ الرجل والمرأة يتصدّق بتمرة وبشق تمرة، فأربّيها له كما يربّي الرجل فلوه وفصيله، فيلقاني يوم القيامة وهي مثل أحد وأعظم من أحد»[5]. وهو معنى قول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[6].

---

(١) جامع السعادات ٣/١١٣، مع اختلاف يسير.
(٢) ديوان حافظ/٢٢١.
(٣) سورة البقرة، آية ٢٤٥.
(٤) سورة التوبة، آية ١٠٣.
(٥) تفسير العياشي ١/١٥٣. والفِلْو: ولد الفرس، والفصيل: ولد الناقة.
(٦) سورة البقرة، آية ٢٧٦.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يربّي لأحدكم الصدقة كما يربّي أحدكم ولده، حتى يلقاه يوم القيامة وهو مثل أُحد»[1].

ومن فرط عطوفته ورحمته ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام: «إن الله تعالى قال: أنا خالق كل شيء، وكّلتُ بالأشياء غيري إلا الصدقة، فإني أقبضها بيدي، حتى إنّ الرجل يتصدّق بشق تمرة فأربّيها كما يربّي الرجل فِلْوه وفصيله، حتى أتركه يوم القيامة أعظم من أُحد»[2]. وفي هذا المعنى أخبار كثيرة تدل على أن الله تعالى يأخذ الصدقة بيده.

ولذا قال الصادق عليه السلام، في حديث طويل: «كان أبي إذا تصدّق بشيء وضعه في يد السائل، ثم ارتجعه منه، فقبّله وشمّه ثم ردّه في يد السائل، وذلك أنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل»[3].

وكذلك استودع واستعار منا أنفسنا وأموالنا مع أنه مالك الكل وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: «أعرِ الله جمجمتك»[5]. وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى* يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[6].

وكذا إيماننا من عطاياه ﴿مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[7]. وهو الذي حبّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا.

فإن أودعنا إيماننا عند الله وتضرعنا والتجأنا إليه يبقى سالمًا ولا يضيع، وإلا

---

(١) تفسير العياشي ١/١٥٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) وسائل الشيعة ٦/٣٠٣.
(٤) سورة المزمّل، آية ٢٠.
(٥) قاله عليه السلام: لما أعطى محمداً الراية يوم الجمل. نهج البلاغة/٥٥.
(٦) سورة الفجر، آية ٢٣- ٢٤.
(٧) سورة الأعراف، آية ٤٣.

كان في معرض الزوال والضياع، فإنّه يشكّل بقاء الإيمان مع هذه الأهواء المُردية والشياطين المُغوية.

دام سخت است مگر يار شود لطف خدا ورنه آدم نبرد صرفه زشيطان رجيم[1]

وخصوصًا عند سكرة الموت، «فإن الشيطان ليأتي الرجل من شيعة آل محمد عند موته عن يمينه ويساره ليصدّه عمّا هو عليه، فيأبى الله عز وجل ذلك له». كما رواه العياشي عن الصادق عليه السلام، قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[2].

وخصوصًا حين يمثّل له ماله، ولذا ورد في دعاء العديلة أن تقول: «إني أودعتك يقيني هذا وثبات ديني، وأنت خير مستودع، وقد أمرتنا بحفظ الودائع، فردّه عليّ وقت حضور موتي، وفي قبري عند مُسَاءَلَة منكر ونكير برحمتك يا أرحم الراحمين»[3].

ولذا ورد في الحديث، كما في الكافي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن الله جبَل النبيين على نبوّتهم، فلا يرتدون أبدًا، وجبل الأوصياء على وصايتهم، فلا يرتدون أبدًا، وجبل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدون أبدًا، ومنهم من أعير الإيمان عارية، فإذا هو دعا وألحّ في الدعاء مات على الإيمان»[4].

فلا بدّ لنا أن نودع إيماننا عند الله، ونتضرّع عنده، ونجتنب من المعاصي التي تذهب الإيمان عند الموت، كما ورد في ترك الحج والزكاة[5].

---

(١) ديوان حافظ/٢٢٨.

(٢) تفسير العياشي ٢/٢٢٥. والآية في سورة إبراهيم: ٢٧.

(٣) مستدرك الوسائل ١/٩٣.

(٤) أصول الكافي/٤١٩.

(٥) فقد روي في المحاسن للبرقي/٨٧- ٨٨، (باب عقاب الأعمال) بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «من مات ولم يحج حجة الإسلام، ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرضٌ لا يطيق معه الحج، أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً أو نصرانياً». وقال الصادق عليه السلام: «من منع قيراطاً من الزكاة فليس هو بمؤمن ولا بمسلم ولا كرامة».

[في فضل القرآن]

وقال صلوات الله عليه: «أتى بالكتاب الجامع».

وهو القرآن الجامع لكل علم ومعرفة، ولذا سمّي بالقرآن، فإنّ القرْء لغة هو الجمع. ولمّا كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم خاتمًا لكل الأنبياء، وكلهم يستضيئون بنوره، بل الكل خلقوا من فاضل نوره كما ورد في الحديث الطويل: «إن نور نبينا لما خلقه الله خر ساجدًا، فلما قام من السجود قطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، فخلق من كل قطرة من نوره نبيًّا فبتوسّطه صارت الأنبياء أنبياء، فكلهم يستضيئون من مشكاة نبوته ويقتبسون من ضياء معرفته، وكلهم يستظلون بظل لوائه وهو شهيد عليهم[1]، فلا بدّ أن يكون كتابه جامعًا وحاويًا لكل علم، ومهيمنًا على كل كتاب من كتب الأنبياء.

كما قال الله تعالى في شأن التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾[2]، وقال في شأن القرآن: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أُعطيت خمسًا لم يُعْطَهنّ نبي كان قبلي إلى أن قال: أعطيت جوامع الكلم». وسئل أبو جعفر: ما جوامع الكلم؟ فقال عليه السلام: «القرآن»[4].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه[5].

---

(١) مؤدّاه في: بحار الأنوار ١٥/٢٩.
(٢) سورة الأعراف، آية ١٤٥.
(٣) سورة النحل، آية ٨٩.
(٤) بحار الأنوار ١٦/٣٢٤.
(٥) أصول الكافي/٥٩ بزيادة «حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد»، بعد كلمة: «تبيان كل شيء».

وأيضًا فيه عن الصادق عليه السلام أنه قال: «قد وَلَدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق، وما هو كائن إلى يوم القيامة. وفيه خبر السماء، وخبر الأرض، وخبر الجنة، وخبر النار، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن. أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي، إن الله يقول فيه تبيان كل شيء»[1].

وفي نهج البلاغة في خطبة له عليه السلام إلى أن قال: «فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه، فإنه لم يُخْفِ عنكم شيئًا من دينه، ولم يترك شيئًا رضيه أو كرهه إلا وجعل له عَلَمًا باديًا، وآيةً محكمةً تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاه فيما بقي واحد، وسخطه فيما بقي واحد»[2].

وأيضًا لمّا كانت شريعة نبيّنا ثابتة إلى يوم القيامة ولا نبيّ بعده، فلا بدّ أن يكون كتابه محتويًا على أحكام كل ما يقع ويحدث إلى يوم القيامة، ولذا أمرنا بالتدبّر فيه، وأن نتمسّك به، ونعرض أعمالنا عليه.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فإذا التبستْ عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»[3]. بل ما من أحدٍ ولد أو يولد إلا وله آية في كتاب الله تدل على سعادته أو شقاوته[4].

ففي رواية أصبغ بن نباتة أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كسرت لي الوسادة فقعدتُ عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم، بقضاء يصعد إلى الله يزهر. والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار، إلا وعلمت فيمن أنزلت، ولا من مرّ على رأسه المواسي إلا وأنزلت فيه آية في كتاب الله تسوقه إلى الجنة أو إلى النار. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، ما الآية التي نزلت فيك؟ قال عليه السلام: أو ما سمعت الله يقول: ﴿أَفَمَنْ

---

(١) أصول الكافي/٦١ (باب الرد إلى الكتاب)، والآية هكذا ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. سورة النحل، آية ٨٩.
(٢) نهج البلاغة/٢٦٥، والخطبة مفصّلة، أولها: الحمد لله المعروفَ من غير رؤية.
(٣) أصول الكافي/٥٩٩.
(٤) المصدر نفسه ١/١٥٢ (باب السعادة والشقاوة).

كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[1] فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بيّنة من ربه، وأنا الشاهد له وأتلوه»[2].

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة متظافرة مؤيّدة بحكم العقل، فإن القرآن كتاب فيه ذكرنا [المؤمنين]، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[3]. وهو دواء لكل داء وشفاء لما في الصدور من الأمراض النفسانية، والآلام الباطنية من الجهل والكبر، والحسد وحب الجاه، والغضب والغيظ، والحقد وغير ذلك من المهلكات، وكل إنسان مبتلى ببعض هذه الأمراض أو بكلّها، فلا بدّ أن يكون له آية في كتاب الله بها يُ شفى من تلك الأمراض، ويبرأ من تلك الأعراض. فلا بدّ لكل إنسان أن يعرض أعماله وأحواله على كتاب الله.

ولذا قال أبو ذر لمّا سأله رجل، وقال له: كيف ترى حالنا عند الله تعالى؟: «اعرضوا أعمالكم على الكتاب، إنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[4]. فقال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال أبو ذر: رحمة الله قريبٌ من المحسنين»[5].

وبالجملة: فالقرآن كلام الذي أحاط بكل شيء، فكلامه محيطٌ بكل شيءٍ من الجزئيات التي حكم بها.

ولذا ورد: «إنّ للقرآن ظهرًا وبطنًا، فالظهر تنزيله، والبطن تأويله. منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد. يجري كما يجري الشمس والقمر كلّما جاء شيء وقع»[6].

ولذا ورد عن الصادق عليه السلام في تفسيره هذه الآية: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾[7]، أنّه عليه السلام فسّر

---

(١) سورة هود، آية ١٧.
(٢) بصائر الدرجات/١٣٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/١٢٦، الأربعين للرازي/٤٦٧.
(٣) سورة الزخرف، آية ٤٤.
(٤) سورة الانفطار، آية ١٣– ١٤.
(٥) أصول الكافي ٢/٤٥٨.
(٦) تفسير العياشي/١١.
(٧) سورة الإسراء، آية ٤.

«الإفسادين» بقتل علي بن أبي طالب وطعن الحسن عليه السلام، و«العلو الكبير» بقتل الحسين عليه السلام و«العباد أولي بأس» بقوم يبعثهم الله قبل خروج القائم لا يَدَعون...[1].

ومنه يعلم أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾[2] يشمل كلّ عاتٍ ومتكبّر ومن كان من سنخهم ورضي بفعلهم، فإنّ آيات الله وأحكامه وردت على الحقائق الكلية، وتحت كل حقيقة رقائق لا تحصى، فإذا نزلت آية في مدح شخص أو قدحه تشمل كل من كان من سنخه ورضي بعمله.

ولذا قال أبو جعفر عليه السلام، في ذيل حديث: «ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم، ثمّ مات أولئك ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء ولكنّ القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية يتلونها وهم من خير أو شر»[3].

وعن مولانا الباقر عليه السلام أنه قال لحُمْران: «إن ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم»[4]. يجري فيهم ما نزل في أولئك.

وفي رواية أبي بصير عن الصادق عليه السلام «ولو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب. ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى»[5].

فظهر أنّ القرآن حاوٍ لحكم كل واقعة وحادثة تقع إلى يوم القيامة، لأنه كتاب أنزله الله على نبيّنا الخاتم، ولا نبي بعده، فلا بدّ أن يكون مشتملاً على حكم كل ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة

(١) تفسير العياشي ٢/٢٨١.
(٢) سورة القصص، آية ٨.
(٣) تفسير العياشي ١/١٠.
(٤) تفسير العياشي/١١.
(٥) بحار الأنوار ٢٣/٤.

[في نسبة الإسلام]

وقال عليه السلام: «بشرع الإسلام النور الساطع»

الإسلام: هو التسليم، وهو دين الله الذي تديّن به جميع الأنبياء وأرباب الشرائع، سلام الله عليهم أجمعين.

ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾[1]، فلا دين غير الإسلام، وبه أمر جميع الأنبياء، وهو ملة إبراهيم الخليل التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ* وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2]. وواضح أن حقيقة العبودية والتعبّد والتديّن ليست إلا التسليم.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لأنسبنّ الإسلام نسبةً لا ينسبه أحدٌ قبلي ولا ينسبه أحد بعدي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل. المؤمن أخذ دينه عن ربه. إن المؤمن يعرف إيمانه في عمله، وإن الكافر يعرف كفره بإنكاره. يا أيها الناس دينكم دينكم، فإن السيّئة فيه خير من الحسنة في غيره، إن السيئة فيه تغفر، والحسنة في غيره لا تقبل»[3].

فحقيقة الإسلام هي تسليم العبد ذاته وجميع ماله إلى الله الواحد القهار، ولذا قال إبراهيم عليه السلام وعلى نبيّنا السلام، - في جواب أمره تبارك وتعالى، لما قال له أسلم - :﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4] و ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ

(١) سورة آل عمران، آية ١٩.
(٢) سورة البقرة، آية ١٣٠-١٣٢.
(٣) أصول الكافي ٢/٤٥-٤٦، مع اختلاف في اللفظ وزيادة.
(٤) سورة البقرة، آية ١٣١.

حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

ويستفاد من هذه الآية أن من لم يوجّه ولم يسلم ذاته إلى الله، ويرى لنفسه وجودًا وقدرة وأنانية يعدّ من المشركين.

فالمسلم الحقيقي من لا يرى لنفسه وجودًا ولا قدرة ولا ملكًا، بل يرى الكل مقهورًا لله الواحد القهار، له الملك وله الحمد، كما أمر الله تعالى نبيه وقال: ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ﴾[2].

ولذا قال في الحديث: «التسليم هو اليقين» فإن حدّ اليقين أن يرى الكل من عند الله، كما قال أبو عبد الله عليه السلام في جواب أبي بصير لمّا سأله عن حد اليقين، قال: «أن لا تخاف مع الله شيئًا»[3] ولا ينظر إلى ظواهر الأسباب في عالم الملك، بل يرى ملكوت الأشياء، ويرى أن ملكوت كل شيء بيد الله. ولذا قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[4]، ولذا قال الإمام عليه السلام: «ما من شيءٍ أعزّ من اليقين»[5].

وفي الحديث عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله خلق الإسلام وجعل له عَرْصة، وجعل له نورًا، وجعل له حصنًا، وجعل له ناصرًا، فأما عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتهم»[6].

فظهر من هذا الحديث، ومن هذه الفقرة من الدعاء، أن للإسلام نورًا، بل الإسلام هو النور، وهو واضح، فإن النور هو الظاهر بذاته المظهر لغيره، وظاهرٌ أن حقيقة

---

(١) سورة الأنعام، آية ٧٩.
(٢) سورة يونس، آية ٤٩.
(٣) أصول الكافي ٢/٥٧.
(٤) سورة الأنعام، آية ٧٥.
(٥) أصول الكافي ٢/٥١، في ذيل رواية عن الصادق عليه السلام.
(٦) أصول الكافي/٤٦.

العبودية والتديّن الإسلام الذي هو التسليم، وكون العبد كالميّت بين يدي الغسّال، وإذا صار العبد مسلمًا يستضيء قلبه بنور ربه، ويرى الأشياء كما هي عليها. كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[1].

ولذا قال في هذا الحديث: «ونوره الحكمة» والحكمة هي معرفة حقائق الأشياء كما هي سواء كان [نور الحكمة] متعلقًا بالعمل، - ويقال له الحكمة العملية -، أم غير متعلّق بالعمل، ويقال له الحكمة النظرية.

والغرض الأصلي من بعث الرسل وإنزال الكتب هو تكميل نفوس الناس بالعلم، والحكمة التي هي نور الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[2].

وقال أيضًا: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[3]. ولازم الإسلام هو شرح الصدر بنور الله.

ولمّا قرأ النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية قال: «إن النور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح» قالوا: يا رسول الله، فهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال: «التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله»[4]. فبازدياد درجة الإسلام يكون ازدياد درجة الحكمة والمعرفة.

قال صلوات الله عليه: «وهو للخليقة صانع، وهو المستعان على الفجائع».

يحتمل أن يكون الخليقة بمعنى المصدر، إشارة إلى ما مرّ من أن صنعه تعالى هو

---

(١) سورة الزمر، آية ٢٢.
(٢) سورة آل عمران، آية ١٦٤.
(٣) سورة الجمعة، آية ٢.
(٤) نور الثقلين ٤/٤٨٥، في تفسير الآية: أفمن شرح الله صدره للإسلام (الزمر: ٢٢).

الخلق والإيجاد، وأما صنع غيره فليس إلا تركيب الأشياء المخلوقة، فالخلق مختص به. وأما كونه تعالى مستعانًا على الفجائع لا غيره فواضح، لأنه ربّ العالمين، ولا يرحم ولا يعين المربوب إلا الربّ.

ففي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أوحى الله تعالى إلى داود على نبيّنا وآله وعليه السلام: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهنّ وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته، إلا قطعت أسباب السماوات من يديه، وأَسَختُ الأرض من تحته، ولم أبال بأي وادٍ هلك»[1].

وعن الثمالي عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكيت عليه، فإذا رجلٌ عليه ثوبان أبيضان ينظر في اتجاه وجهي، ثم قال: يا علي بن الحسين ما لي أراك كئيبًا حزينًا؟ أعلى الدنيا؟ فرزق الله حاضر للبر والفاجر. قلت: ما على هذا أحزن، وإنه لَكما تقول. قال: فعلى الآخرة؟ فوعدٌ صادق يحكم فيه ملك قاهر، - أو قال: قادر[2] -، قلت: ما على هذا أحزن، وإنه لَكما تقول. قال: فممّ حزنك؟ قلت: مما نتخوّف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس قال: فضحك، ثم قال: يا علي بن الحسين، هل رأيت أحدًا دعا الله فلم يجبه؟ قلت: لا. قال: فهل رأيت أحدًا توكّل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا. قال: فهل رأيت أحدًا سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم غاب عني»[3].

وفي الكافي عن الحسين بن علوان، قال: كنا في مجلس نطلب فيه العلم، وقد نفدت نفقتي في بعض أسفاري، فقال لي بعض أصحابنا: من تؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلانًا، فقال: إذًا والله لا تسعف حاجتك ولا يبلّغك أملك، ولا تنجح طلبتك. قلت: وما علّمك رحمك الله؟ قال: إنّ أبا عبد الله عليه السلام حدّثني أنه قرأ في بعض الكتب أنّ الله تعالى يقول: «وعزتي وجلال ومجدي وارتفاعي على عرشي،

(١) أصول الكافي ٢/٦٣.
(٢) كذا في المصدر.
(٣) أصول الكافي ٢/٦٣، م.س، وفي هامشه احتمل كون الرجل الخضر.

لأقطعنّ أمل كل مؤمّل غيري باليأس، ولأكسونّه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحّينّه من قربي ولأبعدنّه من فضلي، أيؤمّل غيري في الشدائد، والشدائد بيدي؟ ويرجو غيري، ويقرع بالفكر باب غير، وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني؟ فمن ذا الذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها؟ ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني؟ جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي! وملأت سماواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي! ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري، إلا من بعد إذني؟ وما لي أراه لاهيًا عني؟ أعطيته بجودي ما لم يسألني، ثم انتزعته عنه فلم يسألني ردّه، وسأل غيري! افيراني أبدًا بالعطاء قبل المسألة، ثم أسأل فلا أجيب سائلي؟ أبخيل أنا فيبخّلني عبدي؟ أوليس الجود والكرم لي؟ أوليس العفو والرحمة بيدي؟ أوليس أنا محل الآمال؟ فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري؟ فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعًا، ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرّة. وكيف ينتقص ملك أنا قيّمه؟ فيا بؤسًا للقانطين من رحمتي! ويا بؤسًا لمن عصاني ولم يراقبني»[1].

[في تمثل الأعمال وتجسّمها]

قال صلوات الله عليه: «جازي كل صانع، ورائش كل قانع».

أما جزاؤه تعالى على الأعمال فهو ثمرة الأعمال، فإنّ الأعمال والأفعال بمنزلة البذور. لكل بذر ثمرة وحاصل، فالمرء مجزيّ بعمله إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

والدنيا مزرعة الآخرة[2] فكل عامل يرى عمله في الآخرة مصورًا بصورة تناسبه، قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[3]. وقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ

(١) أصول الكافي/ ٦٦-٦٧.
(٢) مفاتيح الغيب/٤٦٣.
(٣) سورة الكهف، آية ٤٩.

نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾[1]. وقال: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[2].

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، مثّل له ماله وولده وعمله... إلى أن قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله، إني كنت فيك لزاهدًا، وإنك كنت عليّ لثقيلاً، فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك، حتى أعرض أنا وأنت على ربك. وقال عليه السلام: وإن كان لله وليًّا أتاه أطيب الناس ريحًا وأحسنهم منظرًا وأحسنهم رياشًا، فيقول: أنا عملك الصالح»[3].

وفي المحاسن عن أحدهما عليهما السلام، قال: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور، فيهنّ صورة أحسنهنّ وجهًا، وأبهاهنّ هيئة، وأطيبهنّ ريحًا، وأنظفهنّ خلقًا. قال: فيقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجله. وتقف التي هي أحسنهنّ فوق رأسه، فإن أتي عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست. قال: فتقول التي هي أحسنهنّ صورة: من أنتم؟ جزاكم الله عني خيرًا فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجله: أنا برُّ من وصلتَ من إخوانك. ثم يقلنّ: من أنتِ؟ فأنتِ أحسننا وجهًا، وأطيبنا ريحًا وأبهانا هيئة. فتقول: أنا الولاية لآل محمد، صلوات الله عليهم أجمعين»[4].

وفي حديث قيس بن عاصم، - المعروف -، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يا قيس لا بدّ لك من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريمًا أكرمك، وإن كان لئيمًا أسلمك ثم لا يحشر إلا معك، ولا تحشر إلا معه،

(١) سورة آل عمران، آية ٣٠.
(٢) سورة النبأ، آية ٤٠.
(٣) فروع الكافي ٣/٢٣١- ٢٣٢.
(٤) المحاسن للبرقي/٢٨٨.

ولا تسأل إلا عنه، ولا تبعث إلا معه، فلا تجعله إلا صالحًا، فإنّه إن كان صالحًا لم تأنس إلا به، وإن كان فاحشًا لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك». فقال قيس: يا رسول الله، لو نظم هذا شعراً لافتخرنا به على من بيننا من العرب فقال رجل من أصحابه يقال له الصلصال: قد حضر فيه شيء، يا رسول الله، أفتأذن لي بإنشائه؟ فقال صلى الله عليه وآله: «نعم»، فأنشأ يقول:

تخيَّرْ قرينًا من فعالك، إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

فلا بدّ للإنسان من أن يعدّه ... ليوم ينادى المرء فيه فيُقبل

فإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تُشغل

فما يصحب الإنسان من بعد موته ... ومن قبله إلا الذي كان يعمل

ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله ... يقيم قليلاً بينهم، ثم يرحل[1]

وفي أول الحديث «إن مع الدنيا آخرة»[2]، دلالة على أن كل عمل من الأعمال الدنيوية له صورة أخروية.

وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إذا دخل المؤمن في القبر كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبر مظل عليه. قال عليه السلام، يتنحّى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: «دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه»[3].

وفي الكافي عن سدير الصيرفي أنه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام، في حديث طويل: «إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثالٌ يقدّمه أمامه، كلما رأى المؤمن هولاً من أهوال القيامة قال له المثال: لا تفزع ولا تحزن وأبشر بالسرور والكرامة من الله، حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيحاسبه حسابًا يسيرًا، ويأمر به إلى الجنة والمثال أمامه فيقول له المؤمن: يرحمك الله، نعم الخارج خرجت معي من قبري،

(١) الأمالي للصدوق/ ١٢- ١٣، بحار الأنوار ١١٢/٧٧.
(٢) هو جزء الحديث السابق. ذكرنا مصدره.
(٣) أصول الكافي ٩٠/٢.

وما زلت تبشّرني بالسرور والكرامة من الله، حتى رأيت ذلك. فيقول من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلت على أخيك المؤمن في الدنيا، خلقني الله عز وجل منه لأبشرك»[1].

وفي الحديث النبوي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنما هي أعمالكم تُردُّ إليكم»[2].

وبالجملة: فتجسّم الأعمال وتصورها بصور مناسبة لها بل تصوّر العقائد كذلك، ظاهر الآيات الكثيرة، بل صريحها وصريح الأخبار المتواترة معنى مما لا شكّ فيها، وهي مطابقة لاعتقاد أساطين الحكماء المتألهين.

قال فيثاغورس: إنك ستعارض في أفعالك وأقوالك وأفكارك، وسيظهر لك في كل حركة فكرية أو قولية أو عملية صورة روحانية وجسمانية، فإن كانت الحركة غضبية أو شهوية، صارت مادةً لشيطان يؤذيك في حياتك ويحْجِبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك، وإن كانت الحركة عقلية صارت ملكًا تلتذ بمنادمته في دنياك، وتهتدي به في أخراك إلى جوار الله ودار كرامته[3].

قال الله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4]. وقال تبارك وتعالى: ﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ* وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[5].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم»[6].

ويوضح لك هذا حال الرؤيا والحلم، وما ترى أنّ الحلم كيف يتمثّل ويتصوّر

---

(١) أصول الكافي ٢/١٩٠.
(٢) معاني الأخبار/٢٣٣، الخصال ١/٥٦، بحار الأنوار ٧١/١٧٠.
(٣) مفاتيح الغيب/٦٤٧، الحكمة المتعالية ٩/٢٩٤، الشواهد الربوبية/٢٩٥.
(٤) سورة النمل، آية ٩٠.
(٥) سورة العاديات، آية ٩-١٠. يكون الصدر من لطائف النفس الإنسانية إذا بلغت إلى كمالها وتصدّرها على البدن وقواها، وإذا استكمل واتصل بمقام العقل الفعّال يقال: شرح الله صدره، (جلال الدين آشتياني).
(٦) نهج البلاغة/٤٧٠ (باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه وعلى أولاده السلام).

بصورة حور العين، والشهوة والغضب بصورة الكلب والخنزير[1].

ولنعم ما قيل:

اي دريده پوستن يوسفان	گرگ برخيزي از اين خواب گران
گشته گرگان يك بي خوهاي تو	ميدرانند از غضب اعضاي تو[2]
باش تا از خواب بيدارت كند	در نهاد خود گرفتارت كند[3]

وفي الحديث: «النوم أخ الموت»[4]. بل قال محمد بن علي الباقر سلام الله عليه: «الموت هو النوم الذي يأتيكم في كل ليلة، إلا أنه طويل مدّته، لا ينتبه منه إلا يوم القيامة فمنهم من رأى في منامه أصناف الفرح ما لا يقادر قدره، ومنهم من رأى في منامه من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره...»[5].

والعجب ممن يستعظم ذلك وينكره ويقول: كيف يصير العرض جوهرًا؟ ولا يتأمّل أنّ لكل نشأة من النشآت حكمًا غير الآخر، فإن الأعمال توجب ملكة للنفس ينشأ بها صور مناسبة للأعمال.

ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قال: «لا إله إلا الله» غرس الله بها شجرةً في الجنة، ومن قال: «سبحان الله» غرس الله بها شجرةً في الجنة، ومن قال: «الحمد لله» غرس الله بها شجرةً في الجنة، ومن قال: «الله أكبر» غرس الله بها شجرةً في الجنة، قال رجل من قريش: يا رسول الله، إن شجرنا في الجنة لكثير! قال:

---

(١) والمراد بالشهوة مطلق المشتهيات النفسانية التي توجب توغّل الإنسان فيما يجعل نفسه متصورة بالصور البهيمية، ويحشره على صور مناسبة لأعماله وهو يطوف بيت الله ورأسه رأس خنازير أو قردة أو غيرهما. قال عبد الرحمن بن كثير: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام، فلما صرنا في بعض الطريق صعد على جبل، فنظر إلى الناس فقال: ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج! **بصائر الدرجات**/١٠٥، **بحار الأنوار** ٢٧/١٨٠. ويناسبه أيضاً ما في نفس المصدر ٤٧/٧٩ من حديث أبي بصير عنه عليه السلام.

(٢) **مثنوي** ٢/٤٩٥.

(٣) المصدر نفسه ٤/٩٦.

(٤) **كنز العمال** ١٤/٤٧٥.

(٥) **معاني الأخبار**/٢٨٩، مع اختلاف يسير، **بحار الأنوار** ٦/١٥٥.

«نعم، وإياكم أن ترسلوا عليها نيرانًا فتحرقوها، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[1].

وأما قوله عليه السلام: «ورائش كل قانع» فالريش هو اللباس الفاخر. وراشه وهو رائش أي أعطاه ما يُزيّن به وأما كون القناعة ممّا يُزيّن بها ويعزّز بها فواضح ولهذا ورد «عزّ من قنع، وذلّ من طمع»[2].

وفي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أتى رجلٌ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، علّمني شيئًا، فقال: عليك باليأس عمّا في أيدي الناس، فإنه الغنى الحاضر، قال: زدني، يا رسول الله قال: إياك والطمع، فإنه الفقر الحاضر»[3].

وفي خبر آخر عن علي عليه السلام قال: «جاء خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا رسول الله أوصني وأقلّه لعلّي أحفظ. قال صلى الله عليه وآله وسلّم: أوصيك بخمس: باليأس عما في أيدي الناس، فإنه الغنى، وإياك والطمع، فإنه الفقر الحاضر»[4] الحديث.

وفي خبر آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حُرِم الحريص خصلتين، ولزمته خلصتان: حُرِم القناعة فافتقد الراحة، وحُرِم الرضا فافتقد اليقين»[5].

وما قاله عليه السلام واضح، فإن الراحة لا تكون لأحد إلا بالقناعة بما آتاه الله. ولنعم ما قيل:

إنّ القناعة مَنْ يَحُلُ بساحتها ... لم يلقَ في ظلها همّا يؤرّقُهُ[6]

فالراحة والغنى في القناعة، والكدّ والفقر في الحرص الذي هو ضدّ القناعة، فإنّ

---

(١) ثواب الأعمال/٢٦، نور الثقلين ٥/٤٥، مع اختلاف يسير. والآية في سورة محمد: ٣٣.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/١١٤، شرح غرر الحكم ٤/٤٧٧. ١/١٢١ بتفاوت.
(٣) المحاسن للبرقي/١٦، بحار الأنوار ٧٧/١٣١- ١٣٢.
(٤) بحار الأنور ٧٧/١٢٥.
(٥) الخصال/٨٠.
(٦) إحياء علوم الدين ٣/٢٣٩. وعجز البيت فيه: «لم يلق في دهره شيئاً يؤرّقه».

الحريص على الدنيا كشارب ماء البحر، كلّما شرب ازداد عطشه.

ولذا ورد: «منهومان لا يشبعان: طالب الدنيا، وطالب العلم»[1].

ولذا قال أبو عبد الله عليه السلام، في جواب رجل شكا إليه، أنه يطلب شيئًا فيصيب ولا يقنع، وتنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه، وقال: علّمني شيئًا أنتفع به فقال عليه السلام: «إن كان ما يكفيك يغنيك فأدنى ما فيها يغنيك، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك، فكل ما فيها لا يغنيك»[2].

وفي الحديث دلالة على أنّ الغنى لا يحصل إلا بالقناعة بالكفاف.

[فضل التواضع]

وقال عليه السلام: «ورافع كل ضارع».

وفي بعض النسخ بدل «رافع»، «راحم»، وكلاهما صحيح، فعلى نسخة «رافع» يكون الضارع بمعنى المتواضع، فمن تواضع رفعه الله فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من تواضع لله رفعه الله ومن تكبّر وضعه الله»[3].

وفي حديث عن أبي عمّار أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن في السماء ملكين موكّلين بالعباد، فمن تواضع رفعاه، ومن تكبّر وضعاه»[4].

وفي الحديث عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام: «إنّ عليًّا عليه السلام قال: «ما من أحد من ولد آدم إلا وناصيته بيد ملك، فإن تكبّر جذبه بناصيته إلى الأرض، ثم قال: تواضع، وضعك الله وإن تواضع جذبه بناصيته، ثم قال له: ارفع

---

(١) نهج البلاغة/٥٥٦، النهاية في غريب الحديث والأثر ١٣٨/٥. وفي المصدرين: طالب علم وطالب دنيا.

(٢) أصول الكافي ١٣٩/٢.

(٣) المصدر نفسه/١٢٢، وفيه «خفضه» بدل «وضعه»، وانظر أيضاً: إحياء علوم الدين ٣٤٠/٣.

(٤) أصول الكافي ١٢٢/٢.

رأسك رفعك الله ولا وضعك بتواضعك لله»[1].

وفي خبر آخر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما من عبد إلا وفي رأسه حَكَمَةٌ[2] ومَلَك يمسكها، فإذا تكبّر قال له: اتّضع، وضعك الله. فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس، وإذا تواضع رفعه الله عز وجل. ثم قال له: انتعش نعشك الله، فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس»[3].

وفي مواعظ المسيح على نبيّنا وآله وعليه السلام أنه قال: «بحقٍّ أقول لكم: إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار. ألم تعلموا أن من شمخ برأسه إلى السقف شجّه، ومن خفض برأسه عنه استظلّ تحته وأكنّه؟ وكذلك من لم يتواضع لله خفضه، ومن تواضع لله رفعه»[4].

وقال أيضًا: «طوبى للمتواضعين في الدنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيامة»[5]. وقال أيضًا: «التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا رحمكم الله»[6].

وعن أبي سلمة المزني، عن جده أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندنا بقبا، وكان صائمًا، فأتيناه عند إفطاره بقدح من لبن، وجعلنا فيه شيئًا من العسل. فلمّا رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل، فقال: «ما هذا؟» فقلنا: يا رسول الله، جعلنا فيه شيئًا من العسل، فوضعه على الأرض، وقال: أما إنّي لا أحرّمه، ومن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبّر وضعه الله، ومن اقتصد أغناه الله، ومن بذّر أفقره الله»[7].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة؟ قالوا: وما

---

(١) وسائل الشيعة ١١/٣٠٠.
(٢) الحكمة: اللجام وما أحاط بحنكي الفرس (محيط المحيط/١٨٥).
(٣) أصول الكافي ٢/٣١٢.
(٤) تحف العقول/٥٠٤.
(٥) المصدر نفسه/٥٠١ مع اختلاف يسير، مجموعة ورّام ١/٢٠١.
(٦) مجموعة ورّام ١/٢٠١.
(٧) المصدر نفسه/٢٠٠، أصول الكافي ٢/١٢٢، بحار الأنوار ٧٥/١٢٦.

حلاوة العبادة؟ قال: التواضع»[1].

وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام أنه قال: «التواضع أصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في خفيّات العواقب. والتواضع ما يكون لله وفي الله،وما سواه مكر. ومن تواضع لله شرّفه الله على كثير من عباده. ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة وأهل الأرض من العارفين. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ﴾[2]. وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عبادة يرضاها ويقبلها إلا وبابها التواضع. ولا يعرف ما في حقيقة التواضع إلا المقرّبون من عباده المتصلين بوحدانيته. قال الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾[3]. وقد أمر الله عز وجل خير خلقه وسيّد بريّته محمدًا صلى الله عليه وآله بالتواضع، فقال عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]. والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء، وإنهنّ لا يأتين إلا منها وفيها، ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلا للتواضع في ذات الله»[5].

وعن الإمام الهمّام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام: «ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصدّيقين، وهو من شيعة أمير المؤمنين حقاً»[6].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ الله أوحى إلى موسى أن: يا موسى أتدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا ربّ، ولِمَ ذاك؟ قال: فأوحى الله إليه أن: يا موسى إنّي قلّبت عبادي ظهرًا لبطن، فلم أجد فيهم أحدًا أذل نفسًا منك، إنّك إذا

---

(١) مجموعة ورّام ١/٢٠١.
(٢) سورة الأعراف، آية ٤٦.
(٣) سورة الفرقان، آية ٦٣.
(٤) سورة الشعراء، آية ٢١٥.
(٥) مصباح الشريعة/٧٢- ٧٤، بحار الأنوار ٧٥/١٢١.
(٦) بحار الأنوار ٧٥/١١٧.

صلّيت وضعتَ خدّك على التراب أو قال: على الأرض»[1].

وفي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب، وعليه خُلْقان الثياب قال: فقال جعفر: فأشفقنا منه حين رأينا ذلك منه، فلما رأى ما بنا وتغيُّر وجوهنا قال: الحمد لله الذي نصر محمدًا وأقرّ عينه ألا أبشّركم؟! فقلت: بلى أيها الملك. قال: إنّه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني فأخبرني أن الله قد نصر نبيّه محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم، وأهلك عدوّه، وأسر فلان وفلان، التقوا بوادٍ يقال له: بدر، كثير الأراك. لكأنّي أنظر إليه حيث كنت أرعى لسيدي هناك [2]، وهو رجل من بني ضمرة. فقال له جعفر عليه السلام أيّها الملك، فمالي أراك جالسًا على التراب، وعليك هذه الخلقان؟ فقال: يا جعفر إنّا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام، أنّ من حق الله على العباد أن يُحْدثوا له تواضعًا عند ما يحدث لهم من نعمة. فلمّا أحدث لله لي نعمة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، أحدثتُ لله هذا التواضع. فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة، فتصدّقوا يرحمكم الله. وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة، فتواضعوا، وإن العفو يزيد صاحبه عزًا، فاعفوا يعزكم الله»[3].

وعن الصادق عليه السلام: «فيما أوحى الله إلى داود: يا داود، كما أنّ أقرب الناس إلى الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبّرون»[4].

[في أن التضرّع والإلحاح يوجب الاستجابة]

هذا على نسخة «رافع كل ضارع» وأما على نسخة «وراحم كل ضارع» فهو أيضًا واضح، فإن من تضرّع وألحّ في السؤال فالله يرحمه ويغفر له ذنوبه، فمن قرع

---

(١) أصول الكافي/١٢٣. والترديد في ذيل الحديث من الراوي.
(٢) من كلام العين، (عن هامش المصدر).
(٣) أصول الكافي ٢/١٢١.
(٤) أصول الكافي ٢/١٢٣، بحار الأنوار ٧٥/١٢٢.

بابًا ولجّ، وَلَجَ.

گفت پیغمر که چون کوبی دری　　عاقبت زان در برون آید سری

سایه حق بر سر بنده بود　　عاقبت جوینده یا بنده بود[1]

ولكن شرط الإجابة التضرّع والإلحاح قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[2].

وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال له: «سلْ حاجتك وألحّ في الطلب، فإن الله يحبّ إلحاح المُلحّين [من عباده المؤمنين]»[3].

وعن وليد بن عقبة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «والله لا يُلحّ عبد مؤمن على الله عز وجل في حاجته إلا قضاها له»[4].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «رحم الله عبدًا طلب من الله عز وجل حاجته فألحّ في الدعاء، استُجيب له أم لم يستجب، وتلا هذه الآية: ﴿وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[5].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عز وجل كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة، وأحبّ ذلك لنفسه»[6].

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «لا والله، لا يُلحّ عبد على الله عز وجل إلا استجاب الله له»[7].

وبالجملة: التضرّع والإلحاح يوجب الرحمة، بل موجب لرفع العذاب النازل،

---

(١) مثنوي ٣/٣٣٦.
(٢) سورة الأنعام، آية ٤٣.
(٣) وسائل الشيعة ٤/١١٠، وما بين المعقوفتين من المصدر.
(٤) أصول الكافي ٢/٤٧٥ وراوي الحديث في نسخة الكافي: وليد بن عقبة، ولعلّه تصحيف وليد بن عروة وكان من أصحابهما عليهما السلام. أنظر ترجمته في آخر الكتاب.
(٥) أصول الكافي ٢/٤٧٥، وما بين المعقوفتين من المصدر والآية في سورة مريم: ٤٨.
(٦) المصدر نفسه وللحديث ذيل.
(٧) المصدر نفسه.

كما في قصة يونس على نبيّنا وآله وعليه السلام، مع إخبار النبي بنزول العذاب، وقد نزل العذاب قريبًا من أكنافهم[1].

وعن عبد الرحمن الدوسي أنه قال: دخل معاذ بن جبل على رسول الله صلى الله عليه وآله باكيًا، فسلّم، فردّ عليه السلام ثم قال: ما يبكيك يا معاذ؟ فقال: يا رسول الله، إنّ بالباب شابًّا طريّ الجسد، نقي اللون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أدخل عليّ الشاب يا معاذ»، فأدخله عليه، فسلّم فردّ عليه السلام، ثم قال: «ما يبكيك يا شاب؟» قال: لِمَ[2] لا أبكي وقد ركبت ذنوبًا إن أخذني الله عز وجل ببعضها، أدخلني نار جنهمَ؟ ولا أراني إلا سيأخذني بها، ولا يغفر لي أبدًا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هل أشركت بالله شيئًا؟» قال: أعوذ بالله أن أشرك بربي شيئًا.

قال: «أقتلت النفس التي حرّم الله؟» قال: لا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي»[3]، فقال الشاب: هي أعظم من الجبال الرواسي.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «يغفر الله لك ذنوبك، وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق»، قال: فإنها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت ذنوبك مثل السماوات ونجومها، ومثل العرش والكرسي»، قال: فإنها أعظم من ذلك، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وآله كهيئة الغضبان، ثم قال: «ويحك ذنوبك أعظم أم ربك؟» فخرّ الشاب لوجهه، وهو يقول: سبحان ربي، ما من شيء أعظم من ربي، ربي أعظم يا نبي الله من كل عظيم فقال النبي صلى الله عليه وآله: «فهل يغفر

---

(١) مجمع البيان ٣/١٣٥، بحار الأنوار ١٤/٣٨٠.
(٢) في المصدر: كيف لا أبكي.
(٣) أي: الجبال الثوابت الرواسخ.

الذنب العظيم إلا الرب العظيم؟» قال الشاب: لا والله يا رسول الله، ثم سكت الشاب، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ويحك يا شاب، ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟».

قال: بلى، أخبرك: إنّي كنت أنبش القبور سبع سنين، أخرج الأموات وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلمّا حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنَّ عليهم الليل، أتيت قبرها فنبشتها، ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجرّدة على شفير قبرها، ومضيت منصرفًا فأتاني الشيطان، فأقبل يزيّنها لي ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وركيْها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت إليها، ولم أملك نفسي حتى جامعتها، وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوتٍ من ورائي يقول: يا شابّ! ويل لك من ديّان يوم الدين، يوم يقضي وإياك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي وسلبتني أكفاني وتركتني أقوم جُنُبة إلى حسابي، فويل لشبابك من النار! فما أظنّ أني أشم ريح الجنة أبدًا فما ترى لي يا رسول الله؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «تنحّ عني يا فاسق، إني أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار!»، ثم لم يزل عليه السلام يقول، ويشير إليه حتى أمعن من بين يديه.

فذهب وأتى المدينة، فتزوّد منها، ثم أتى بعض جبالها فتعبّد فيها ولبس مسحًا، وغلّ يديه جميعًا إلى عنقه، ونادى: يا ربّ، هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول. يا ربّ أنت الذي تعرفني وزلّ مني ما تعلم سيدي يا ربّ إني أصبحت من النادمين، وأتيت نبيّك تائبًا فطردني وزادني خوفًا، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تخيِّب رجائي سيدي، ولا تبطل دعائي، ولا تقنّطني من رحمتك.

ولم يزل يقول ذلك أربعين يومًا وليلة، تبكي له السباع والوحوش، فلما تمّت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السماء وقال: اللهمّ ما فعلت في حاجتي؟ إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوحِ إلى نبيّك، وإن لم تستجب دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي فعجّلْ بنارٍ تحرقني، أو عقوبة في الدنيا

تهلكني، وخلّصني من فضيحة يوم القيامة فأنزل الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ﴾[1].

فانظر إلى هذا الحديث، وإلى حكمة طرد رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الشاب بهذا الطرد العنيف، وقوله: «تنحّ عني يا فاسق، فما أقربك من النار»، فإنه سبّب أن يتخلّص تضرعه إلى الله، وهو سبّب الرحمة.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[2]، فشرط التضرّع التام أن يعتقد أن لا ملجأ إلا إليه وأن ييأس من غير الله.

وقال صلوات الله عليه: «ومُنزِل المنافع، والكتاب الجامع بالنور الساطع».

قد بيّنا ما ينزل من عند الله ليس إلا الخير. والشرور والنقائص من عندنا [3]، فالله تبارك وتعالى منزل المنافع. والمضارّ هنا من عندنا وبالعرض، ولذا قال خليل الرحمن: ﴿الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[4]، ولم يقل: والذي يُمرضني ثم يشفين.

وأما كون [5] القرآن كتابًا جامعًا لكل شيء وحقيقة، فقد سبق بيانه في شرح قوله عليه السلام: «أتى بالكتاب الجامع» وإنما ذكره عليه السلام ثانيًا، ليبيّن كونه جامعًا بذكر سببه، وهو كونه نورًا ساطعًا، فإن النور هو الظاهر لذاته المظهر لغيره، فإذا كان الكتاب نورًا ساطعًا؛ أي مرتفعًا على الأشياء، فيُرى به تمام الأشياء ولا يخفى شيء. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِينا﴾[6].

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢٣- ٢٦، نور الثقلين ١/٣٢٤. والآية في سورة آل عمران: ١٣٥.
(٢) سورة التوبة، آية ١١٨.
(٣) لأن الشرور ناشئة من نقص الإمكان، وهو ذاتي لنا.
(٤) سورة الشعراء، آية ٧٩- ٨٠.
(٥) «ب»: وأما بيان كون.
(٦) سورة النساء، آية ١٧٤.

في الدعاء وفضله

وقال عليه السلام: «وهو للدعوات سامع، وللمطيعين نافعٌ»[1].

ويظهر من هاتين الفقرتين أن سماعه تعالى وإجابته للدعوات عام لا يختص بأحد من المطيع والعاصي، بل مقتضى رحمته الواسعة وعطيته السابغة أن يجيب كل من دعاه من برٍّ وفاجر[2]، ولكن نفعه مختص بالمطيعين. كما قال الله تعالى، فيما أوحى إلى عيسى بن مريم على نبيّنا وآله وعليه السلام: «يا عيسى، قل لظلمة بني إسرائيل: لا تدعوني والسُّحت تحت أحضانكم، والأصنام في بيوتكم، فإني آليت أن أجيب من دعاني، وأن أجعل إجابتي إياهم لعنًا عليهم، حتى يتفرّقوا»[3].

ولا بدّ للداعي أن يزكّي قلبه ويطهّره من لوث الذنوب والآثام، حتى لا تصير الإجابة له لعنًا، فإن إجابة الله هي نزول الرحمة على قلبه، وإذا كان القلب خبيثًا زاده خباثة، كآيات القرآن. قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾[4]. ولا بدّ للداعي بعد تصفية قلبه بالتوبة والإنابة أن يُقبل بقلبه إلى الله.

وفي الحديث عن سليمان بن عمرو، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: «إن الله عز وجل لا يستجيب دعاءً بظهر قلب ساهٍ، فإذا دعوتَ فأقبل بقلبك، ثم استيقن بالإجابة»[5].

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام، أنه قال: إذا دعوت فأقبل بقلبك وظنّ حاجتك بالباب»[6]. فالعمدة هو الإقبال والتوجه التام.

---

(١) هكذا في النسختين، وفي البلد الأمين ٢٥١: «... وللدعوات سامع وللكربات دافع وللدرجات رافع، وللجبابرة قامع...» وليس فيه: «وللمطيعين نافع».

(٢) «ب»: أو فاجر.

(٣) روضة الكافي/١٣٣.

(٤) سورة الإسراء، آية ٨٢.

(٥) بحار الأنوار ٣٠٥/٩٣.

(٦) أصول الكافي ٤٧٣/٢.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خير الدعاء ما صَدَر عن صدر نقيّ وقلب تقيّ»[1].

وفي الحديث عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لمّا استسقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسقي الناس حتى قالوا: إنّه الغرَق! قال رسول الله بيده[2] وردّها: اللهم حوالينا ولا علينا، قال: فتفرّق السحاب، فقالوا: يا رسول الله استسقيت لنا فلم نُسْقَ، ثمّ استسقيت لنا فسُقينا قال: إنّي دعوت الله وليس لي في ذلك نية، ثم دعوت ولي في ذلك نية»[3].

فانظر إلى هذا الحديث بالتأمّل، فليس مراده صلى الله عليه وآله إنّي دعوت أولاً بلا نية ولا قصد، فإنه لا يمكن أن يستسقي أحد ويدعو الله بلا قصد خصوصًا رسول الله المعصوم من السهو، فأفعاله كيف تكون بلا نية؟ فالمراد من النية هو الإقبال التام والتوجه الخاص، فإذا كانت دعوة رسول الله مشروطةً بذلك، فما ظنّك بدعوة غيره؟

إذا عرفت هذا فاعلم أن الدعاء من أفضل الطاعات والعبادات، بل هو حقيقة العبادة. كما قال الصادق عليه السلام: «إنّ الدعاء هو العبادة قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[4]. وفي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية، قال عليه السلام: «هو الدعاء»[5].

وعن أبي جعفر عليه السلام في حديث أنه قال: «ما أحد أبغض إلى الله عز وجل ممّن يستكبر عن عبادته، ولا يسأل ما عنده»[6].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «الدعاء مُخّ العبادة»[7].

---

(١) أصول الكافي/٤٦٨.
(٢) القول هنا بمعنى الفعل توسّعاً، أي حرّك يده، كما في هامش المصدر.
(٣) أصول الكافي/٤٧٤.
(٤) المصدر نفسه/٤٦٧، والآية في سورة المؤمن: ٦٠.
(٥) المصدر نفسه/٤٦٦.
(٦) المصدر نفسه والموضع نفسه.
(٧) بحار الأنوار ٩٣/ ٣٠٠. وآخر الحديث: ولا يهلك مع الدعاء أحد.

ولمّا كان الدعاء مخّ العبادة كان الأنبياء والأولياء مواظبين عليه، حتى سمّي بسلاح الأنبياء. فعن الرضا عليه السلام أنه كان يقول لأصحابه: «عليكم بسلاح الأنبياء. فقيل: وما سلاح الأنبياء؟ قال: الدعاء»[1]. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، فقد ورد تفسير «الأوّاه» بـ «الدعاء»[2].

وفي الحديث: «كان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاءً»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في رسالة طويلة يوصي أصحابه: «أكثروا من أن تدعوا الله، فإن الله يحبّ من عباده المؤمنين أن يدعوه وقد وعد الله عباده المؤمنين بالاستجابة، والله مصيّر دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم به في الجنّة»[4].

وعن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الدعاء يردّ القضاء بعدما أُبرم إبرامًا، فأكثر من الدعاء، فإنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله عزّ وجل إلا بالدعاء، وإنه ليس باب يكثر قرْعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه»[5].

ويستفاد من هذا الحديث الشريف أنه لا ينال عبدٌ درجة ولا يتقرّب إلى الله تعالى إلا بالدعاء وهو كذلك، فإن الممكن من شأنه الفقر، وليس له شيء إلا من عند الله.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[6]. ولا بدّ للفقير أن يجبر فقره بالسؤال من الغني والتضرع إليه، والذلة عنده. ولذا ورد في الحديث عن حنّان بن سدير عن أبيه، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أيّ العبادة أفضل؟ فقال: «ما من شيء أفضل عند الله عز وجل من أن يسأل ويطلب مما عنده»[7].

---

(١) أصول الكافي ٢/٤٦٨.
(٢) المصدر نفسه/٤٦٦.
(٣) المصدر نفسه/٤٦٧.
(٤) وسائل الشيعة ٤/١٠٨٦.
(٥) أصول الكافي ٢/٤٧٠.
(٦) سورة فاطر، آية ١٥.
(٧) أصول الكافي ٢/٤٦٦ وفي ذيله: وما أحد أبغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل

وقال الصادق عليه السلام: «عليكم بالدعاء، فإنكم لا تقرّبون بمثله»[1]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل في الأرض الدعاء»[2]. قال النبي صلى الله عليه وآله: «أفضل العبادة الدعاء، وإذا أذن الله للعبد في الدعاء فتح له أبواب الرحمة، وإنه لن يهلك مع الدعاء أحد»[3].

وعن باقر علوم الأولين والآخرين سلام الله عليه، لبريد بن معاوية[4]، وقد سأله: كثرة القراءة أفضل، أم كثرة الدعاء؟ قال: «كثرة الدعاء أفضل. ثم قرأ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ﴾[5].

ويستفاد من هذا الحديث، واستشهاده بالآية أن الله لا يعبأ ولا يعتدّ بأحد ولا ينظر نظرة رحمة إلا للداعين.

[اختلاف درجات العباد في العقل والإيمان]

قال صلوات الله وسلامه عليه: «وللدرجات رافع»

أما كونه تعالى رافع الدرجات فواضح، قال الله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾[6]. وقال أيضًا: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾[7].

ومفاد الآية أنه ترى في الدنيا تفاوت الناس في سعادة الدنيا وشقاوتها، فبعضهم أصحّاء سليمو الأعضاء والجوارح، وبعض منهم مرضى مأوفون[8]، ناقصو الأعضاء

ما عنده.

(١) أصول الكافي/ ٤٦٧.

(٢) المصدر نفسه والموضع نفسه.

(٣) بحار الأنوار، ٣٠٢/٩٣.

(٤) النسختان: «يزيد» والصحيح ما أثبتناه كما في المصدر.

(٥) البرهان في تفسير القرآن ١٧٨/٣، بحار الأنوار ٢٩٩/٩٣، والآية في سورة الفرقان: ٧٧.

(٦) سورة النساء، آية ٩٥.

(٧) سورة النساء، آية ٢١.

(٨) المأوف: الذي أصابته الآفة والعَرَض المفسد. (محيط المحيط/٢١).

والجوارح، وجعلت بعضهم أغنياء ذوي الثروة، وجعلت بعضهم فقراء محتاجين، وجعلت بعضهم أعزّة وبعضهم أذلّة، فإذا كانت درجات الناس في الدنيا - مع ضيق الدنيا - متفاوتةً بهذا النحو من التفاوت الفاحش فكيف تكون الآخرة مع سعتها؟ فإن نسبة الدنيا إلى الآخرة كنسبة الرحم إلى الدنيا، بل أضيق بمراتب. فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: «إن ما بين أعلى درجات الجنة وأسفلها ما بين السماء والأرض»[1].

وعن الصادق عليه السلام: «لا تقولنّ إنّ الجنة واحدة، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[2]، ولا تقولنّ درجة واحدة إنّ الله تعالى يقول: «درجاتٌ بعضُها فوْقَ بعض»[3]، إنما تفاضل القوم بالأعمال. قيل له عليه السلام: إن المؤمنين يدخلان الجنة، فيكون أحدهما أرفع مكانًا من الآخر، فيشتهي أن يلقى صاحبه، قال: من كان فوقه فله أن يهبط، ومن كان تحته لم يكن له أن يصعد، لأنه لم يبلغ ذلك المكان، ولكنّهم إذا أحبّوا ذلك واشتهوا التقوا على الأسرّة»[4].

وما قاله صلوات الله عليه واضح عند أرباب المعرفة، فإنّ الجاهل الصالح وإن بلغ بعمله ما بلغ وكان من أهل الجنة، لا يمكنه أن يبلغ درجة العلماء ويتحمّل ما حملوا من المعارف والحكم، ولما كان العالي محيطًا بالسافل له أن يهبط ويستأنس بالسافل[5].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «وإنما يرتفع العباد غدًا في الدرجات، وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم»[6].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: «إن الثواب على قدر العقل»[7].

---

(١) مجمع البيان ٤٠٧/٣، نور الثقلين ١٤٧/٣.
(٢) سورة الرحمن، آية ٦٢.
(٣) أصل الآية هكذا: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾، سورة الزخرف، آية ٣٢.
(٤) نور الثقلين ١٤٧/٣.
(٥) أنس العالي بالسافل إنما يكون بالتجلي والظهور مع تحفظ المرتبة العالية، لا التجافي عن مقامه.
(٦) بحار الأنوار ١٦٠/٧٧.
(٧) أصول الكافي ١٢/١. والرواية مفصّلة، فيها قصة عابد تمنّى أن لو يكون لربه حمار يرعاه.

وأنت تعلم أن التفاوت في العقول ودرجاتها غير محصور، فالدرجات في الجنة كذلك. ولنعم ما قيل:

اين تفاوت عقلها را نيك دان　　در مراتب از زمين تا آسمان[1]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث، قال: «المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان»[2].

وواضح أن درجات الإيمان غير محصورة، وأما تحديدها بالسبعة، أو العشرة فباعتبار المعتبر، فلا منافاة؛ كما يقال إن العوالم ثلاثة، عالم المادّيات، وعالم المجرّدات عن المادة دون المقدار، وعالم المجرّدات عن المادة والمقدار، وواضح أن درجات كل منها غير محصورة.

وتأمّل هذا الحديث الشريف الذي رواه ثقة الإسلام (الكليني) قدّس سره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عزّ وجل وضع الإيمان على سبعة أسهم: على البر، والصدق، واليقين، والرضا، والوفاء، والعلم، والحلم، ثم قسّم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه الأسهم السبعة فهو كامل محتمل، وقسّم لبعض الناس السهم، ولبعضٍ السهمين، ولبعضٍ الثلاثة، حتى انتهوا إلى السبعة ثم قال: لا تحملوا على صاحب السهم سهمين، ولا على صاحب السهمين ثلاثة فتبهظوهم[3]، ثم قال: كذلك حتى ينتهي إلى السبعة»[4].

فإذا تأمّلت هذا الحديث تعرف أن درجات الإيمان غير محصورة، فإنّ مراتب العلم والحلم، وكذا الصدق والرضا والبر غير متناهية.

وفي الكافي عن شهاب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لو علم الناس كيف خلق الله تبارك وتعالى هذا الخلق لم يَلُمْ أحدٌ أحدًا». فقلت: أصلحك

---

(١) مثنوي ٣/٣١. أقول: عدم حصر الدرجات إنما يحصل من ناحية المعرفة الحاصلة بالعمل، ولذا قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، لا المعرفة الحاصلة من العقل النظري.

(٢) سفينة البحار ٢/١٨٠.

(٣) أي فتثقلوا عليهم وتوقعوهم في الشدة.

(٤) أصول الكافي ٢/٤٢.

الله، فكيف ذاك؟ فقال: «إن الله تبارك وتعالى خلق أجزاءً بلغ بها تسعة وأربعين جزءًا ثم جعل الأجزاء أعشارًا، فجعل الجزء عشرة أعشار، ثم قسّمه بين الخلق فجعل في رجل عُشر جزء، وفي آخر عُشْري جزء، حتى بلغ به جزءًا تامًا، وفي آخر جزءًا وعُشر جزء، وآخر جزءًا وعُشْري جزء، وآخر جزءًا وثلاثة أعشار جزء، حتى بلغ به جزءين تامّين، ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأرفعهم تسعة وأربعين جزءًا، فمن لم يجعل فيه إلا عُشر جزء لم يقدر أن يكون مثل صاحب العُشرَين، وكذلك صاحب العُشرَين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار، وكذلك من تمّ له جزء لا يقدر أن يكون مثل صاحب الجزءين، ولو علم الناس أن الله عز وجل خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحدٌ أحدًا»[1].

وفي الكافي عن سدير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «إن المؤمنين على منازل؛ منهم على واحدة، ومنهم على اثنتين، ومنهم على ثلاث، ومنهم على أربع، ومنهم على خمس، ومنهم على ست، ومنهم على سبع، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثِنْتين لم يقْوَ، وعلى صاحب الثِّنتين ثلاثًا لم يقوَ، وعلى صاحب الثلاث أربعًا لم يقو، وعلى صاحب الأربع خمسًا لم يقوَ، وعلى صاحب الخمس ستًا لم يقوَ، وعلى صاحب الست سبعًا لم يقوَ، وعلى هذه الدرجات»[2].

فتبيّن أن درجات الإيمان والقرب إلى الله متفاوتة غير محصورة، وأنه لا يمكن أن ينال ذو الدرجة السفلى الدرجة العليا، فإذا كان مثل أبي ذر رضي الله عنه مع علو شأنه ورفعة مكانه حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: «أبو ذر في أمتي شبيه عيسى بن مريم في زهده»[3] ومع هذا لا يمكنه أن يبلغ درجة سلمان وينال ما عنده ويتحمل عليه، حتى قال زين العابدين سلام الله عليه: «والله، لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما، فما ظنكم بسائر الناس؟ إن علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل

(١) أصول الكافي/٤٤.
(٢) أصول الكافي/٤٥.
(٣) الغدير ٨/٣١٤، وانظر: الاستيعاب بهامش الإصابة ٤/٦٤.

أو ملك مقرّب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: إنما صار سلمان من العلماء، لأنه امرؤ منا أهل البيت فلذلك نسبته إلى العلماء»[1]. وتعبيره عليه السلام، بـ «لو» يدلّ على امتناع أن يتحمّل أبو ذر علم سلمان.

وفي رواية الكشيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «دخل أبو ذر على سلمان، وهو يطبخ قِدرًا له، فبينما هما يتحادثان إذ انكبت على وجهها على الأرض، فلم يسقط من مرَقها ولا من ودَكها [2] شيء، فعجب من ذلك أبو ذر عجبًا شديدًا، وأخذ سلمان القِدر فوضعها على حالها الأولى على النار ثانية، وأقبلا يتحادثان، فبينما هما يتحادثان إذ انكبّت القِدر على وجهها، فلم يسقط منها شيء من مرَقها ولا من وَدَكها قال: فخرج أبو ذر وهو مذعور من عند سلمان، فبينما هو متفكر إذ لقي أمير المؤمنين عليه السلام على الباب، فلمّا أن بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال له: يا أبا ذر، ما الذي أخرجك من عند سلمان؟ وما الذي ذعرك؟ فقال له أبو ذر: يا أمير المؤمنين، رأيت سلمان صنع كذا وكذا فعجبت من ذلك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا ذر، إن سلمان لو حدّثك بما يعلم لقلت: رحم الله قاتل سلمان! يا أبا ذر، إن سلمان باب الله في الأرض من عرفه كان مؤمنًا ومن أنكره كان كافرًا، وإنّ سلمان منا أهل البيت»[3].

فظهر أن الدرجات عند الله غير محصورة، بل غير متناهية.

قال الله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[4]. ومن هذه الآية يستفاد أن ارتفاع الدرجات بواسطة مراتب العلم[5]. ولمّا كانت مراتب

---

(١) أصول الكافي ١/٤٠١.

(٢) الودَك: الدسم.

(٣) بحار الأنوار ٢٢/٣٧٣.

(٤) سورة يوسف، آية ٧٦.

(٥) واعلم أن العلم الذي حصل من ناحية العمل وبلغ إلى المشاهدة لا يمكن إحصاؤه، وأما العلم النظري الحاصل من البرهان من دون البلوغ إلى حقائق الإيمان فهو محصور جداً. ولعَمْر الحبيب إن الشرح الكامل المناسب لبيان بعض ما أفاده سيد العشّاق الذي قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حسين مني وأنا من حسين» يحتاج إلى تضلّع في العرفان النظري والعملي، (جلال الدين آشتياني).

العلم غير متناهية فالدرجات في الجنان كذلك، حتى درجات الأنبياء والرسل. قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1].

[في أن الله هو دافع كل كرب وكاشف كل غمّ]

قال صلوات الله عليه: «وللكربات دافع».

الكربات: الشدائد، والكرْب: الغم الذي يأخذ بالنفس. وواضح أن لا يقع ولا يوجد شيء إلا بمشيته، فلا يقدر أحد أن يدفع الكربات ويرفعها غير الله. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

ولما كتب يعقوب - على نبينا وآله وعليه السلام - إلى العزيز يستعطفه ويسأله أن يخلّص ابنه «بن يامين» نزل عليه جبرائيل، فقال: يا يعقوب، إن ربك يقول لك: «من ابتلاك بمصائبك التي كتبت بها إلى عزيز مصر؟» قال يعقوب: أنت بلوتني بها، عقوبة منك وأدبًا لي. قال الله تعالى: «فهل كان يقدر أحدٌ صرفها عنك غيري؟» قال يعقوب: اللهم لا. قال: «فما استحييت مني حين شكوت مصائبك إلى غيري، ولم تستغث بي وتشكو ما بك إلي؟» فقال يعقوب: أستغفرك يا إلهي وأتوب إليك وأشكو بثي وحزني إليك. فقال الله تعالى: «قد بلغت بك يا يعقوب وبولدك الخاطئين الغاية في أدبي، ولو كنت يا يعقوب شكوت مصائبك إلي عند نزولها بك واستغفرت وتبت إلي من ذنبك لصرفتها عنك بعد تقديري إياها عليك، ولكن الشيطان أنساك ذكري، فصرت إلى القنوط من رحمتي، وأنا الله الجواد الكريم، أحبُّ عبادي المستغفرين التائبين الراغبين إليّ فيما عندي يا يعقوب، أنا رادٌّ إليك يوسف وأخاه، ومعيد إليك ما ذهب من مالك ولحمك ودمك، ورادٌّ إليك بصرك، ومقوّم لك ظهرك، فطِبْ نفسًا وقرَّ عينًا وإنّ الذي

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٣.
(٢) سورة يونس، آية ١٠٧.

فعلته بك كان أدبًا مني لك، فاقبل أدبي»[1].

فلا دافع للكربات إلا الله. قال الله تعالى: ﴿وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾[2].

وسمّى الله كرب نوح عظيمًا، فإن قومه كانوا يكذّبونه ويقولون إنه مجنون، وكانوا يضربونه حتى يسيل مسامعه دمًا ويغشى عليه، فيحمل على باب داره مغشيًّا عليه، فيلقونه هناك، وكان هذا دأبهم، ونوح يدعوهم إلى الله ليلاً ونهارًا وجهرًا وإسرارًا، فلمّا بلغ الكرب الشديد منتهاه دعا الله، فاستجاب وكشف الكرب عنه[3]، وكذا أيوب إذ بلغ البلاء إلى نهايته قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[4]، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾[5].

وفي الأدعية المأثورة في شهر رمضان: «اللهم وأنت ثقتي في كل كربة، وأنت رجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقةٌ وعدة كمن كرب يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل عنده القريب، يشمت به العدو وتعييني فيه الأمور، أنزلته بك وشكوت إليك، راغبًا إليك فيه عمن سواك، ففرّجته وكشفته؟ فأنت وليُّ كل حاجةٍ ومنتهى كل رغبةٍ، فلك الحمد كثيرًا، ولك المنّ فاضلاً»[6].

[في ذم التكبّر]

وقال صلوات الله عليه: «وللجبابرة قامعٌ»

والجبابرة جمع الجبّار، وهو المتكبّر القاهر. وهو من أسماء الله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ

---

(١) تفسير العياشي ٢/١٩١، بحار الأنوار ١٢/٣١٢- ٣١٤.
(٢) سورة الأنبياء، آية ٧٦.
(٣) بحار الأنوار ١١/٢٩٩.
(٤) سورة الأنبياء، الآية ٨٣.
(٥) مجمع البيان ٤/٥٩، والآية الأولى والثانية في سورة الأنبياء: ٨٣- ٨٤.
(٦) بحار الأنوار ٩٤/٢١١.

عِبَادِهِ﴾[1]، ﴿هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]، ﴿الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾[3].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «العز رداء الله والكبر إزاره، فمن تناول شيئًا منه أكبّه الله في جهنّم»[4]. والرداء والإزار كناية عن اختصاصه تعالى بتلك الصفة وليست مثل سائر الصفات، مثل الرأفة والرحمة والعلم والقدرة التي يتصف بها الخلق مجازًا، لأن كل الأسماء الحسنى لله تبارك وتعالى، وظهورها في الخلق من باب مظهريتها لله تعالى.

خلق را چون آب دان صاف وزلال واندر آن تابان صفات ذو الجلال[5]

ولكن هذه الصفة لا يليق أن يتصف بها غيره تعالى، كما أن الرداء والإزار لشخص لا يشاركه فيه غيره، فكذا العز والكبرياء[6]، وكما أن الرداء والإزار لا يشمل لشخصين ولا يكون رداء أحدٍ رداء غيره إلا بانتزاعه عنه، [فكذلك العز والكبرياء][7]. ولذا قال أبو عبد الله عليه السلام: «الكبر رداء الله تعالى، فمن نازع الله شيئًا من ذلك أكبّه الله في النار»[8].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «الكبر رداء الله، والمتكبّر ينازع الله رداءه»[9]؛ ولذلك يقمع الله ويذل كل جبار في الدنيا، قبل عذاب الآخرة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾[10]. وقال أيضًا: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي

(١) سورة الأنعام، آية ١٨
(٢) سورة آل عمران، آية ٦.
(٣) سورة الحشر، آية ٢٣.
(٤) أصول الكافي ٢/ ٣٠٩.
(٥) مثنوي ٣/٤٥٣.
(٦) المتكبّر في الخلق عبارة عمّن يصف نفسه بصفة الكبرياء وكمال العظمة، وليس فيه منها نصيب.
(٧) الظاهر سقوط شيء من العبارة، مثل الذي أضفناه بين المعقوفتين.
(٨) أصول الكافي ٢/٣١٠.
(٩) المصدر نفسه/٣٠٩.
(١٠) سورة إبراهيم، آية ١٥- ١٦.

تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ﴾[1].

وهذه السورة المباركة من أدلّ الدلائل وأوضح البراهين على رد من أنكر المعجزات والكرامات، فإنه لا شبهة أنّ هذه السورة مما قرأه النبي صلى الله عليه وآله، وهي من جملة القرآن المتواتر صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن بين وقعة الفيل وولادته صلى الله عليه وآله إلا أربعون سنة[2]. وكان أزيد من ألف رجل عند نزول هذه السورة في مكة وما حولها مشاهدين هذه الوقعة، فلو كان كذبًا كيف يخبر به من يدّعي النبوة ويأمر الناس بمتابعته وتصديقه؟ وكيف يكذّبه أحدٌ في إخباره عن تلك الحادثة مع كثرة أعدائه ومنكري نبوّته؟ فالمنصف يقطع ويتيقن بحدوث هذه الحادثة الخارقة للعادة، كرامةً وشرفًا لبيت الله. ويقول العارف الرومي:

قوّت حق بوده مر بابيل را ورنه مرغى چون كُشد مر فيل را[3]

ومن جملة قمعه للجبابرة قمعه تبارك وتعالى لسلطان الروس المسمّى بـ «نيكلا» الذي وقع في زماننا بواسطة تكبّره وتجبّره وسوء أدبه وجسارته بالنسبة إلى المشهد المقدّس الرضوي، - على ساكنه ومشرّفه آلاف التحيّة والسلام -، حيث جعل ذلك المشهد المقدّس والبقعة المباركة هدفًا وغرضًا لبنادق التوب[4] وقصد تخريبها وهدمها، فقمعه الله تبارك وتعالى بأشد القمع، بحيث لم يبق من هذا الملعون ولا من عشيرته وقومه أحد، مع شدة بأسه وكثرة عساكره، وجنوده وسعة ممالكه، بحيث لم يكن على بسيط الأرض أحدٌ من السلاطين يماثله في القوة والشدة وسعة المملكة، فصار كأن لم يكن شيئاً مذكورًا[5]. وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى إنّ بشطه أليم شديد.

---

(١) سورة الفيل، ١-٣.

(٢) كذا في النسختين، وهو خلاف ما هو المشهور من كون ولادته صلى الله عليه وآله في عام الفيل. أنظر قصة أصحاب الفيل والأقوال في سنة وقوعها في: مجمع البيان ٥/٥٤٢.

(٣) مثنوي ١/٤٤٠.

(٤) يريد بها: المدافع.

(٥) منتخب التواريخ/٥٧١- ٥٧٢.

[فضل البكاء من خشية الله]

قال صلوات الله وسلامه عليه: «وراحم عبرة كل ضارع، ورافع ضرعة كل ضارع».

أما كونه تبارك وتعالى راحم عبرة كل ضارع فواضح؛ فقد ورد في الحديث: «إنّ العبد إذا قام في الليل يبكي من خشية الله، باهى الله تعالى به ملائكته، فيقول لجبرائيل: يا جبرائيل، إنّ عبدي فلانًا قام يبكي من خشيتي، اشهدْ أني غدًا أعتقه من النار، ونادى في السماوات والأرض وسكانها: إنّي أحبّه، فإذا نادى بذلك، فلا يبقى حجر ولا مدر ولا شجر ولا ذو روح إلا وقد أحبّه»[1].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لو أن باكيًا بكى في أمةٍ لرحمهم»[2].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلّم: «طوبى لصورةٍ نظر الله إليها تبكي على ذنب، من خشية الله»[3].

وعنه صلى الله عليه وآله: «كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين: عين بكت من خشية الله تعالى، وعين غضّت عن محارم الله، وعين باتت ساهرةً في سبيل الله»[4].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحثّ أصحابه على البكاء، حتى إنه أتى يومًا على شبابٍ من الأنصار، فقال: «إني أريد أن أقرأ عليكم، فمن بكى فله الجنة»، فقرأ صلى الله عليه وآله آخر سورة الزمر: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾... إلى آخر السورة فبكى القوم جميعًا إلا شابًا، فقال: يا رسول الله، قد تباكيت فما قطرت عيني، فقال صلى الله عليه وآله: «إني معيدٌ

(١) مؤدّاه في لآلئ الأخبار ٤/٦٣.
(٢) أصول الكافي ٢/٤٨٢ بتفاوت.
(٣) ثواب الأعمال/٢٠٠.
(٤) الخصال/٩٨.

عليكم، فمن تباكى فله الجنة»، فأعادها عليهم، فبكى وتباكى الفتى. قال الصادق عليه السلام بعد حكايته ونقله: «فدخلوا الجنة جميعًا»[1].

ولمّا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل عن أبواب جهنم وسكّانها وأخبره، حتى بلغ الباب السابع، ثم أمسك جبرئيل عن الخبر، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ألا تخبرني من سكان الباب السابع؟ قال: يا محمد، لا تسألني عنه. فقال: بلى يا جبرئيل، أخبرني عن الباب السابع، قال: فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا، فخرّ النبي صلى الله عليه وآله مغشيًّا عليه، فوضع جبرئيل عليه السلام رأسه في حجره حتى أفاق فلما أفاق قال: يا جبرئيل، عظمت مصيبتي، واشتدّ حزني، أوَيدخل من أمتي النار؟ قال: نعم، أهل الكبائر من أمتك.

فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى جبرئيل. ودخل رسول الله منزله، واحتجب عن الناس، فكان لا يخرج إلا إلى الصلاة يصلّي ويدخل ولا يكلّم أحدًا، ويأخذ في الصلاة ويبكي ويتضرّع إلى الله تعالى.

فلما كان يوم الثالث: أقبل أبو بكر حتى وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، هل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبيل؟ فلم يجبه أحدٌ، فتنحّى باكيًا. فأقبل عمر فصنع مثل ذلك، فلم يجبه أحد، فتنحّى وهو يبكي.

وأقبل سلمان الفارسي رضي الله عنه، فوقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة هل إلى مولاي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سبيل؟ فلم يجبه أحد، فأقبل مرة يبكي، ويقع مرة، ويقوم أخرى، حتى أتى بيت فاطمة عليها السلام، فوقف بالباب ثم قال: السلام عليكم يا أهل بيت المصطفى، - وكان علي عليه السلام غائبًا -، فقال سلمان: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن رسول الله احتجب عن الناس، فليس يخرج إلا إلى الصلاة، ولا يكلّم أحدًا، ولا يأذن لأحد أن يدخل عليه.

فاشتملت فاطمة عليها السلام بعباءة قطوانية، وأقبلت حتى وقفت على باب

---

(١) الأمالي للصدوق ٤٣٨، بحار الأنوار ٣٢٨/٩٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم سلّمت وقالت: يا رسول الله، أنا فاطمة – ورسول الله صلى الله عليه وآله ساجد، وهو يبكي –، فرفع رأسه وقال: ما بالُ قرّة عيني فاطمة حُجبت عني؟ افتحوا لها الباب. ففتح الباب، فلما نظرت إلى النبي صلى الله عليه وآله بكت بكاءً شديدًا لما رأت من حاله مصفرًا متغيّرًا لونه مذابًا لحم وجهه من البكاء والحزن، فقالت: يا رسول الله، ما الذي نزل عليك؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: جاءني جبرئيل، ووصف لي أبواب جهنم، وأخبرني بأنّ في أعلى بابها أهل الكبائر من أمتي، فذلك الذي أبكاني وأحزنني.

قالت: يا رسول الله، أولم تسأله: كيف يدخلونها؟ قال: تسوقهم الملائكة إلى النار ولا تسودّ وجوههم، ولا تزْرقّ عيونهم، ولا يختم على أفواههم، ولا يُقرنون مع الشياطين، ولا يوضع عليهم السلاسل والأغلال.

قالت: يا رسول الله، كيف تقودهم الملائكة؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أمّا الرجال فبِاللّحى، وأما النساء فبالذوائب والنواصي، فكم من ذي شيبة من أمتي قد قبض على شيبته يقاد إلى النار، وهو ينادي: واشيبتاه، واضعفاه! وكم من شابٍّ من أمتي يقبض على لحيته ويقاد إلى النار، وهو ينادي: واشباباه واحسن صورتاه! وكم من امرأة من أمتي يقبض على ناصيتها تقاد إلى النار، وهي تنادي: وافضيحتاه، واهتك سِتراه! حتى يُنتهى بهم إلى مالك.

فإذا نظر إليهم مالك قال للملائكة: ما هؤلاء؟ فما ورد عليّ من الأشقياء أعجب من هؤلاء: لم تسودّ وجوههم، ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم! فتقول الملائكة: هكذا أمرنا أن نأتيك بهم على هذه الحال، فيقول لهم: يا معشر الأشقياء، من أنتم؟ فيقولون: نحن ممّن أنزل القرآن عليهم، ونحن ممّن نصوم شهر رمضان. فيقول مالك: ما نزل القرآن إلا على محمد صلى الله عليه وآله وسلم: فإذا سمعوا اسم محمد صلى الله عليه وآله صاحوا وقالوا: نحن من أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول لهم مالك: ما كان لكم في القرآن زاجرٌ عن معاصي الله؟ فإذا وقف بهم على شفير جهنّم ونظروا إلى النار والزبانية، فقالوا: يا مالك ائذن لنا نبكي على أنفسنا! فيبكون الدموع، حتى لم يبق لهم الدموع، فيبكون دمًا فيقول مالك: ما

أحسن هذا لو كان في الدنيا! فلو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله تعالى ما مستكم النار.. الحديث[1].

فانظر وتأمّل في هذا الحديث، حتى يتبين لك فضيلة البكاء، وأنه من الرحمة ودافع كل بلية. ولذا كان سيّد الساجدين عليه السلام يقول في دعائه[2]: «وما لي لا أبكي ولا أدري إلى ما يكون مصيري وأرى نفسي تخادعني وأيامي تخاتلني وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت؟ فما لي لا أبكي؟ أبكي لخروج نفسي. أبكي لظلمة قبري أبكي لضيق لحدي أبكي لسؤال منكر ونكير إيايّ، أبكي لخروجي من قبري عريانًا ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري، أنظر مرةً عن يميني وأخرى عن شمالي». وكان صلوات الله وسلامه عليه في الليالي يبكي ويناجي ربه، ويقول: «جئتك لتغفر لي وترحمني وتُرِيَني وجه جدّي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة».

وكان يبكي ويقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي، ثم أين محبّتي[3]

وكان عليه السلام من البكّائين[4]، وكان شعيب عليه السلام بكى حتى عميت عيناه، فردّ الله تعالى عليه بصرة، ثم بكى حتى عمي ثانيًا، فردّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي ثالثًا، فردّ الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: «يا شعيب، إلى متى يكون هذا أبدًا منك؟ إن يكن هذا خوفًا من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقًا إلى الجنة فقد أبحتك». فقال: إلهي وسيدي، إنك تعلم أني ما بكيت خوفًا من

---

(١) علم اليقين ٢/١٠٤٠ - ١٠٤٦.

(٢) وهو دعاء أبي حمزة الثمالي في أسحار شهر رمضان.

(٣) المناقب ٤/١٥١، بحار الأنوار ٤٦/٨١. واعلم أن من علامات شدة حب الله البكاء، فهو من أعظم الوسائل للاجتناب عن الذنوب، وربّ تائب أناب إلى الله وأعرض عن المعاصي، ومع ذلك لم تقبل توبته، إلا إذا انضمّت بالبكاء، وعندئذٍ يشمله عفو الله تبارك وتعالى، وربّ بكاءٍ ينال به العبد إلى القرب التام بالحق كما في الأولياء.

(٤) بحار الأنوار ٤٦/١٠٩.

نارك، ولا شوقًا إلى جنتك، ولكن عقد حبّك قلبي، فلست أصبر أو أراك[1].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام في الليالي يبكي بكاء الحزين، ويتململ تململَ السليم، ويقول: «آه آه لبعد السفر، وقلة الزاد، وخشونة الطريق»[2].

وروي عن حبّة العُرَني[3] أنه قال: بينما أنا ونَوْف نائمين في رحبة القصر إذ نحن بأمير المؤمنين عليه السلام في بقية الليل واضعًا يده على الحائط شبيه الواله، وهو يقرأ هذه الآية الشريفة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ إلى آخر الآية. قال: ثم جعل يقرأ هذه الآيات ويمرّ شبه الطائر عقلُه، فقال لي: أراقدٌ أنت يا حبّة أم رامق؟» قال: قلت: رامق هذا. أنت تعمل هذا العمل، فيكف نحن؟ قال: فأرخى عينيه وبكى، ثم قال لي: «يا حبّة، إن لله موقفًا، ولنا بين يديه موقفٌ، لا يخفى عليه شيء من أعمالنا. يا حبّة، إن الله أقرب إليّ وإليك من حبل الوريد. يا حبة، إنه لن يحجبني ولا إياك عن الله شيء».

قال: ثم قال عليه السلام: «أراقدٌ أنت يا نوف؟» قال: لا يا أمير المؤمنين، ما أنا براقد. ولقد أطلت بكائي هذه الليلة. فقال: «يا نوف، إن طال بكاؤك هذه الليلة مخافة من الله تعالى قرّت عيناك غدًا بين يدي الله عز وجل. يا نوف، إنه ليس من قطرة قطرت من عين رجل من خشية الله إلا أطفأت بحارًا من النيران. يا نوف إنه ليس من رجل أعظم منزلة عند الله من رجل بكى من خشية الله...»[4] الحديث. فتبيّن أن الرحمة مسبّبة عن العبرة.

والضّرعة: هي السقوط والزلّة. وكونه تبارك وتعالى رافع كل ضرعة، لأنه لا مؤثر في الوجود إلا هو، ولا إله غيره. ولذا فرّع عليه صلوات الله عليه قوله: «فلا إله غيره، وليس شيء يعدله، وليس كمثله شيء».

---

(١) أي: برؤية القلب دون البصر، ويحتمل كونه إشارة إلى الموت. راجع في ذلك: نفس المصدر ١٢/٣٨٠- ٣٨١.

(٢) نهج البلاغة/ ٤٨٠ مع اختلاف.

(٣) العرني بالضم فالفتح: نسبة إلى عرينة وهي بطن من قضاعة (سفينة البحار/ ١/٢٠٤).

(٤) بحار الأنوار ٤١/٢٢- ٢٣.

في التوحيد ومعاني الأسماء

قوله عليه السلام: «فلا إله غيره، وليس شيء يعدله، وليس كمثله شيء».

والإله: اسم جنس بمعنى المألوه مثل الكتاب، من أَلِهَ إليه، إذا فزع ولجأ إليه، إذ هو الملجأ والمفزع بالحقيقة، ولا ملجأ إلا إليه، ولا مفزع غيره، وإن توهّم وزعم بعضٌ بوسوسة الشيطان والوهم أنّ غيره ملجأ، ولكنّ العقل المنوّر بنور العرفان والإيمان يعلم باليقين والبرهان أنه لا يمكن أن يكون سواه ملجأً ومفزعًا، فإن الممكن في ذاته غير موجود، وليس له وجود، ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولا يقدر على كشف الضر عن نفسه، فكيف يكون ملجأً لغيره وكاشف السوء عنه؟

ذات نا يافته از هستى بخش كي تواند كه شود هستى بخش[1]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[2]. ولذا، إذا انقطعت الأسباب الظاهرية التي جعلها الله عللاً معدّة، يتوجه الإنسان بغريزته وبالفطرة التي فطره الله عليها إلى الله ويدعوه مخلصًا: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[3].

ولذا لما سئل الصادق عليه السلام وقال السائل: يا بن رسول الله، دلّني وعرّفني، - وما يشابهه -، إلى الله، أحاله صلوات الله عليه وآله إلى فطرته التي فطرت على التوحيد، وقال: «هل ركبت البحر؟»، قال: بلى. قال: «هل تلاطمت الأمواج، واختلفت عن اليمين واليسار والجنوب والشمال، وانقطعت أسباب النجاة ونفدت الحيل لحياتك ويَئست من كل سبب وسيلة؟ فهل يتوجه قلبك ويشهد أن هناك قادرًا وملجأً ومنجيًا؟» قال: نعم. فقال صلوات الله عليه: «ذلك هو الله تبارك وتعالى»[4].

---

(١) سبحة الأبرار/٤١.

(٢) سورة الحج، آية ٧٣.

(٣) سورة العنكبوت، آية ٦٥.

(٤) التوحيد للصدوق/٢٣١، بحار الأنوار ٣/٤١، والحديث مشهور نقله أكثر أصحاب التفسير والحديث.

وبالجملة كون الله ملجأً وانحصار الملجأ فيه، فضروري، ولذا قال سيد الساجدين صلوات الله عليه وآبائه الطاهرين في دعائه: «لا يجير، يا إلهي، إلا رب على مربوب، ولا يؤمن إلا غالبٌ على مغلوب، ولا يعين إلا طالب على مطلوب، وبيدك يا إلهي جميع ذلك السبب»[1]. فإنه لو كان ملجأ غيره فيكون ربًّا غيره، وهو شكر وكفر.

وقوله عليه السلام: «وليس شيء يعدله، وليس كمثله شيء»، نفي جميع أنحاء الشرك، فإنّ التماثل يقتضي الشرك في الماهية النوعية، ولمّا لم يكن لله تبارك وتعالى ماهية، بل هو إنّية صرفة ووجود بحت، فكيف يكون له مثل؟ وكيف يكون له عديل وشبيه؟ فإنّ العديل إما بمعنى المتكافئ له في درجة الوجود، ولا يتعقل أن يكون له مكافئ، فإن وجودات الممكنات عكوس جماله ومرائي كماله، وبنور وجهه تعالى استضاء وظهر كل شيء. وإمّا العديل بمعنى الشبيه، وهو يستلزم الشركة في الكيف، ولما لم يكن لله تبارك وتعالى كيف وصفة، فلا يكون له مشابه، فإن تجمّله وتزيّنه تبارك وتعالى بصرف ذاته، لا بكيفية وصفة»[2].

وبالجملة ليس شيء يشاركه في معنى: «ويعادله». ولذا روى الصدوق في التوحيد عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّه سُئل عن التوحيد فقال: «هو أن لا تجوّز على ربّك ما جاز عليك»[3].

فليس يشبهه شيء في صفة ونعت. ولذا لمّا أشكل الأمر واشتبه على فتح بن يزيد الجرجانيّ قال لأبي الحسن عليه السلام: جعلني الله فداك، قلت: الله الأحد الصمد، وقلت: لا يشبهه شيء. والله واحد والإنسان واحد، أليس قد تشابهت الوحدانية؟ فقال عليه السلام: «يا فتح، أَحَلْتَ[4] ثبّتك الله. إنما التشبيه في المعاني، وأما في الأسماء فهي واحدة، وهي دالّة على المسمّى، وذلك أن الإنسان وإن قيل واحد،

---

(١) الصحيفة السجادية/١٤٢.
(٢) «ب»: لا بكيفه وصفته.
(٣) التوحيد للصدوق/٩٦.
(٤) أي أتيت بشيء محال. (هامش المصدر نفسه/٦٢).

فإنّه يخبر أنه جثة واحدة، وليس باثنين، والإنسان نفسه ليس بواحد، لأن أعضاءه مختلفة، وألوانه مختلفة ومَن ألوانه مختلفة غير واحد. وهو أجزاء مجزّأة ليست بسواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى، والله جلّ جلاله هو واحد لا واحدَ غيره، ولا اختلاف فيه، ولا تفاوت ولا زيادة فيه ولا نقصان. فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف، فمن أجزاء مختلفة وجواهر شتى، غير أنه بالاجتماع شيء واحد». قلت: جعلت فداك، فرّجت عني فرّج الله عنك، فقولك: اللطيف الخبير، فسّره لي كما فسّرت الواحد، فإني أعلم أن لطفه على خلاف لطف خلقه للفصل، غير أنّي أحب أن تشرح لي ذلك.

فقال عليه السلام: «يا فتح، إنما قلنا: اللطيف، للخلق اللطيف ولعلمه بالشيء اللطيف، أو لا ترى - وفّقك الله وثبّتك - إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف، ومن الحيوان الصغار، ومن البعوض ومن الجِرْجِس[1]، وما هو أصغر منها، ما لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذّكر من الأنثى، والحَدَث المولود من القديم. فلمّا رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد[2]، والهرب من الموت، والجمع لما يصلحه، وما في لجج البحار وما في لحاء[3] الأشجار، والمفاوِز والقفار، وإفهام بعضها عن بعض منطقها، وما تفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة، وبياض مع حمرة، وأنه ما لا تكاد عيوننا تستبينه، لدمامة خلقها، لا تراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا، علمنا[4] أنّ خالق هذا الخلق لطيف، لَطُفَ بخلق ما سمّيناه بلا علاج ولا أداة ولا آلة، وأنّ كل صانع شيءٍ فمن شيءٍ صنع، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع من لا شيء»[5].

وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام، في حديثٍ طويل: «ثمّ وصف نفسه تبارك

---

(١) الجرجس بكسر المعجمتين: البعوض الصغار. (لسان العرب ٦/٣٧).
(٢) السّفاد: نزو الذكر على الأنثى (المصدر نفسه ٣/٢١٨).
(٣) لحاء الشجر: قشره.
(٤) هنا جواب لقوله عليه السلام: فلمّا رأينا...
(٥) أصول الكافي ١/١١٨- ١٢٠، التوحيد للصدوق/٦٠- ٦١ مع تفاوت يسير.

وتعالى بأسماء دعا الخلق - إذ خلقهم وتعبّدهم وابتلاهم - إلى أن يدعوه بها، فسمّى نفسه سميعًا، بصيرًا، قادرًا، قائمًا، ناطقًا، ظاهرًا، باطنًا، لطيفًا، خبيرًا قويًّا، عزيزًا، حكيمًا، عليمًا، وما أشبه ذلك، فلما رأى ذلك من أسمائه الغالون[1] المكذّبون وقد سمعونا نحدّث عن الله أنه لا شيء مثله ولا شيء من الخلق في حاله قالوا: أخبرونا إذا زعمتم أنه لا مثل لله ولا شبه له كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى، فتسمّيتم بجميعها؟ فإن ذلك دليلاً على أنكم مثله في حالاته كلها أو في بعضها دون بعض، إذ جمعتكم الأسماء الطيّبة؟

قيل لهم: إن الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماءً من أسمائه على اختلاف المعاني، وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين. والدليل على ذلك قول الناس الجائز عندهم الشائع، وهو الذي خاطب الله به الخلق فكلّمهم بما يعقلون، (إلى أن قال): وإنما سمّي الله تعالى بالعلم[2] بغير علم حادث، عَلِمَ به الأشياء، استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره والروي فيما يخلق من خلقه، (إلى أن قال): كما أنّا لو رأينا علماء الخلق إنما سمّوا بالعلم، لعلم حادث إذ كانوا فيه جَهَلة، وربما فارقهم العلم بالأشياء فعادوا إلى الجهل وإنما سمّي الله تعالى عالمًا، لأنّه لا يجهل شيئًا، فقد جمع الخالقُ والمخلوق اسم العالم واختلف المعنى على ما رأيت.

إلى أن قال: وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كَبَد كما قامت الأشياء، ولكن «قائم» يخبر بأنه حافظ، كقول الرجل: القائم بأمر فلان، والله هو القائم على كل نفس بما كسبت. وأيضاً القائم في كلام الناس: الباقي، والقائم أيضًا يخبر عن الكفاية كقولك للرجل: قُمْ بأمر بني فلان، أي اكفهم. والقائم منا قائم على ساقٍ، فقد جمعنا الاسم ولم نجمع المعنى[3].

وأما اللطيف: فليس على قلة وقضافة[4] وصِغَر، ولكن ذلك على النفاذ في

---

(١) في «أ» و «ب»: القالون.

(٢) في التوحيد: نسمّي الله بالعالم.

(٣) كذا في أصول الكافي. وفي التوحيد للصدوق: ولم يجمعنا المعنى.

(٤) القضافة: قلة اللحم. (لسان العرب ٩/٢٨٤).

الأشياء والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل: «لَطُف عني هذا الأمر، ولَطُف فلان في مذهبه وقوله»، يخبرك بأنه غمض فيه العقل وفات الطلب، وعاد متعمّقًا متلطفًا لا يدركه الوهم، فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحدٍّ أو يحدَّ بوصف. واللطافة منا: الصغر والقلة فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وأما الخبير: فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته، ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء، فعند[1] التجربة والاعتبار علمان، ولولاهما ما عَلِم، لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً، والله لم يزل خبيرًا بما يخلق والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وأما الظاهر: فليس من أجل أنه علا الأشياء بركوب فوقها، وقعود عليها، وتسنّم لذراها، ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء، وقدرته عليها، كقول الرجل: «ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي»، يخبر عن الفلج والظفر والغلبة، فهكذا ظهور الله تعالى على الأشياء. ووجه آخر أنه الظاهر لمن أراده، ولا يخفى عليه شيء، وأنه مدبِّرٌ لكل ما برأ. فأي ظاهر أظهر وأوضح من الله تبارك وتعالى؟ لأنك لا تعدم صنعته حيثما توجهت، وفيك من آثاره ما يغنيك. والظاهر منّا: البارز بنفسه المعلوم بحدّه، فقد جَمَعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأما الباطن: فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها، وذلك منه على استبطانه للأشياء علمًا وحفظًا وتدبيرًا، كقول القائل: أبطنته، يعني خَبَرته وعلمت مكتوم سره. والباطن منا: الغائب[2] في الشيء المستتر، فقد جَمعنا الاسم واختلف المعنى.

وأما القاهر: فليس على معنى علاج ونصب واحتيال، ومرارة ومكر، كما يقهر العباد بعضهم بعضًا، والمقهور منهم يعود مقهورًا، ولكن ذلك من الله تعالى على أنّ جميع ما خلق ملبّس به الذلّ لفاعله وقلةُ الامتناع لما أراد به. لم يخرج منه طرفة عين أن يقول له: كن فيكون. والقاهر منا: على ما ذكرت ووصفت، فقد جمعنا الاسم

(١) كذا في أصول الكافي. وفي التوحيد للصدوق: فيفيده.
(٢) في التوحيد للصدوق: الغائر في الشيء المستتر به.

واختلف المعنى.

وهكذا جميع الأسماء، وإن كنا لم نستجمعها كلها، فقد يكتفي الاعتبار بما ألقينا إليك، والله عونك وعوننا في إرشادنا وتوفيقنا[1].

فظهر من هذين الحديثين الشريفين أن لا مشارك لله تعالى في شيء من المعاني، فلا مماثل ولا مجانس ولا مكافئ ولا مساوي[2] ولا مناسب له. وإطلاق هذه الأسماء على الله وغيره على معنيين، لا على معنى واحد.

إذا عرفت هذا فاعلم أنه ليس المراد أن هذه الألفاظ التي وضعت للمعاني العامّة وتطلق على الله تبارك وتعالى وعلى غيره مشترك لفظي لا معنوي مثل الوجود والوحدة والعلم والقدرة والسميع والبصير، فإن ذلك باطل يوجب التعطيل، فإنا إذا قلنا: يا موجود يا واحد يا سميع يا بصير، إما أن يراد ويفهم منها هذه المعاني أو نقيضها، أو لا يراد ولا نفهم شيئًا.

وعلى الأول لا بدّ أن تكون هذه الألفاظ وضعت لمعنى جامع يطلق على الله وعلى غيره بالحقيقة، وعلى الثاني يلزم الكفر والإلحاد. وعلى الثالث يلزم تعطيل عقولنا بالمرة، ويلزم أن يكون ذكرنا لهذه الأسماء مجرّد لقلقة على اللسان، وأيضًا يلزم أن لا يصح استعمال صيغة أفعل التفضيل، فإنّ في أفعل التفضيل لا بدّ أن يكون معنى جامع بين المفضّل والمفضّل عليه، ويكون في المفضّل أشدّ وأكثر، فكيف ورد في الأدعية المأثورة: يا أسمع السامعين، ويا أبصر الناظرين؟

فالمراد من اختلاف المعنيين في هذين الحديثين الشريفين هو أن هذه الأسامي المشتقة قد تطلق على نفس المبادئ المشتقة صرفًا، من غير اعتبار شيء معها، كما يطلق المتصل على الصورة الجسمية، فإنها صرف الاتصال. قال الشيخ الرئيس: «لو فرضت الحرارة قائمة بنفسها، فإطلاق كونها حارّة أولى من إطلاقه على جسم قامت الحرارة به وعرضت عليه»[3].

---

(١) أصول الكافي ١/١٢٠- ١٢٣، التوحيد للصدوق/١٨٦- ١٩٠.

(٢) «ب»: ولا مساوي له.

(٣) أنظر: الحكمة المتعالية ٤/٧٠- ٧١.

فمراد الإمام عليه السلام من أن إطلاق هذه الأسامي على الله تعالى وعلى الخلق بمعنيين ولزوم التشبيه إنما يكون إذا كان إطلاق الاسم بمعنى واحد، هو أنّ إطلاق العالم على الله مثلاً ليس بمعنى ذات ثبت لها العلم، وكذا الموجود ليس بمعنى شيء ثبت له الوجود، وكذا القادر وسائر صفاته وأسمائه الحسنى التي بإزاء كمالاته الحقيقية، فإنه يلزم منه الشرك؛ لأنه لو كانت الذات وراء العلم والعلم عارضٌ لها لزم أن يكون ثبوته وعروضه معللاً، إذ إن كل عرض معلّل، فالعلة إما أن تكون ذاته جلّ جلاله، وقد فرض أن العلم عارض له، فهو في مرتبة الذات خالٍ عن العلم وفاقد له، فكيف تكون علته موجدة معطية له؟ ومعطي الشيء لا يكون فاقدًا له. وإما أن تكون علة العلم غيره، فيلزم أن تكون ذاته المقدّسة عن جميع النقائص ناقصة، وغيره مكمّلاً لها وهو كفر محض، لأنه يلزم أن يكون الغير أولى بالإلهية، لأنه تبارك وتعالى على هذا التقدير يكون فقيرًا ومحتاجًا في هذه الصفة الكمالية إلى غيره، فلم يكن الله مبدأ المبادئ، لأن مبدأ العلم حينئذٍ غيره تعالى، وكذا إطلاق الموجود عليه تبارك وتعالى ليس بمعنى أنه ذات ثبت لها الوجود، كما في إطلاقه على غيره، بل بمعنى أنه تعالى صرف ومحض التحقق والثبوت، فإنه لو كانت ذاته وراء الوجود وكان ماهية غير معلولة، - كما زعمه بعض وتفوّهوا بهذا الخلط -، يلزم أن يكون الوجود عارضًا، فمن يكون علة وجوده؟ فإن قيل: ذاته، فهو ضروري البطلان، فإن الشيء لا يكون موجدًا لنفسه، وإن كان سبب وجوده غيره فلا يكون واجب الوجود بالذات، بل واجب الوجود بالغير، فذلك الغير يكون واجب الوجود، نعوذ بالله من هذه العقائد الفاسدة والآراء الكاسدة.

وبهذا البيان تبيّن أن كل كمال حقيقي يكون عين ذاته تبارك وتعالى، فلا يطلق العالم والقادر عليه تبارك وتعالى لأنه ذو علم وقدرة، بل يطلق عليه لأنه تعالى نفس العلم. وبهذا تعرف أن عموم الآية الشريفة: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1]. لم يخصّص بشيء، فإنّ غير الله تبارك وتعالى من الممكنات؛ العلماء منهم كلاً، ذو علم. وفوقهم الله العليم.

---

(١) سورة يوسف، آية ٧٦.

ولذا روى الصدوق رحمه الله بإسناده عن الصادق عليه السلام أنه قيل له: إنّ رجلاً ممن ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول: إن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعًا بسمع، وبصيرًا ببصر، وعليمًا بعلم، وقادرًا بقدرة فغضب عليه السلام، ثم قال: «من قال ذلك ودان به فهو مشرك، وليس من ولايتنا على شيءٍ إن الله تبارك وتعالى ذاتٌ علامةٌ سميعةٌ بصيرةٌ قادرةٌ»[1].

وفي رواية أخرى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «من قال ذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى، وليس من ولايتنا على شيء، ثم قال عليه السلام: لم يزل الله عز وجل عليمًا قادرًا حيًّا قديمًا بصيرًا سميعًا لذاته، تعالى عما يقول المشركون والمشبِّهون علوًا كبيرًا»[2].

وروى الصدوق أيضًا بإسناده عن هشام بن سالم، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: «أتنعت الله؟»، فقلت: نعم. قل عليه السلام: «هات»، فقلت: هو السميع البصير. قال عليه السلام: «هذه صفة يشترك فيها المخلوقون». قلت: فكيف تنعته؟ فقال: «هو نورٌ لا ظلمة فيه، وحياةٌ لا موت فيه، وعلمٌ لا جهل فيه، وحق لا باطل[3] فيه». قال: فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد[4].

وبإسناده أيضًا عن الصادق عليه السلام قال: «هو نورٌ ليس فيه ظلمة، وصدق ليس فيه كذب، وعدلٌ لس فيه جور، وحقٌ ليس فيه باطل، كذلك لم يزل ولا يزال أبد الآبدين، وكذلك كان إذ لم يكن أرضٌ، ولا سماءٌ، ولا ليلٌ، ولا نهارٌ، ولا شمسٌ، ولا قمرٌ، ولا نجومٌ، ولا سحابٌ، ولا مطرٌ، ولا رياحٌ»[5].

وبإسناده أيضًا عن محمد بن عرفة، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: خلق الله الأشياء بالقدرة أم بغيرة القدرة؟ فقال عليه السلام: «لا يجوز أن يكون

---

(١) التوحيد للصدوق/١٤٤.
(٢) المصدر نفسه/١٣٩.
(٣) لعلّ مراده عليه السلام عينية الصفات للذات، ونفي الصفات الزائدة فإنه تعالى علم كله، وقدرة كله.
(٤) التوحيد للصدق/١٤٦.
(٥) التوحيد للصدق/١٢٨.

خلق الأشياء بالقدرة، لأنك إذا قلت: خلق الله الأشياء بالقدرة، فكأنك قد جعلت القدرة شيئًا غيره، وجعلتها آلة له، بها خلق الأشياء، وهذا شرك وإذا قلت: خلق الأشياء بقدرة، فإنما تصفه أنه جعلها باقتدار عليها وقدرة، ولكن ليس هو بضعيف، ولا عاجز، ولا محتاج إلى غيره، بل هو سبحانه قادر بذاته لا بالقدرة»[1].

وفي الكافي بسنده عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لم يزل الله تعالى ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور. فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور»[2].

فثبت أن لامشابهة له في شيء.

[في معنى السميع والبصير]

قال عليه السلام: «وهو السميع البصير».

ثبوت هذين الاسمين الشريفين لله تبارك وتعالى من الضروريات، وقد ورد في الكتاب والسنة والأدعية المأثورة عن الأئمة سلام الله عليهم.

ولكنّ العلماء اختلفوا في كيفية ثبوت السمع والبصر وإطلاقهما على الله تبارك وتعالى، فكثير من العلماء، والمحقّق الطوسي قدّس الله أرواحهم، أرجعوهما إلى العلم، فقالوا: علمه تعالى بالمبصرات بصر، وعلمه بالمسموعات سمع[3]، فبالحقيقة أنكروا حقيقة السمع والبصر، فإنهما علْمان خاصّان غير مطلق العلم، فإنّا نعلم يقينًا بأمورٍ غائبةٍ عنّا لا نراها ولا نسمعها، فليس مجرّد العلم سمعًا وبصرًا، وأنهما كمالان للوجود بما هو وجود، فكيف لا يكونا في مبدأ الكمال وأصله؟ فإن الرؤية

(١) عيون أخبار الرضا ١/١١٧- ١١٨.
(٢) أصول الكافي ١/١٠٧ وللحديث تتمّة.
(٣) تلخيص المحصّل/٢٨٧- ٢٨٩.

ليس حقيقتها ومعناها انطباع صورة المرئيّ في الجليدة، وكذا السمع ليس وصول الصوت إلى الصماخ، بل حقيقة السمع والبصر حضور الشيء بصورته وحقيقته عند النفس. فالمرئيّ بالحقيقة والمسموع: هما الصورة التي في لوح النفس المسمّاة بالحس المشترك والبنطاسيا[1]. نعم، انطباع الصورة في الجليدية أو خروج الشعاع[2]، من المعدّات للنفس على إنسان الصورة، ولمّا كانت في اليقظة ضعيفة، لكثرة اشتغالها وتفرّق حواسها، لا تقدر على الرؤية والسماع بدون هذه المعدّات، ولكن عند فراغها عن الشواغل، ترى وتسمع من دون هذه المعدّات.

فعلم أن حقيقة الرؤية والسماع ليست انفعالاً من الجليدية والصماخ، بل ليست إلا شهود الشي والإحاطة، ولمّا كان الله شاهد كل نجوى، وقائمًا على كل نفس، ومقوّم كل شيء، فلا يعزب عنه شيء، وهو أقرب إلى كل شيء من نفسه، فكيف ينكر حقيقة السمع والبصر في الله ويرجعان إلى العلم؟ مع أن في الأخبار التي ذكرناها أنهما جعلا مقابل العلم، وقال [الصادق عليه السلام]: «العلم ذاته، والسمع ذاته، والبصر ذاته»[3]. بل العكس من إرجاع العلم إلى السمع والبصر أولى وأحق. كما ذكر الشيخ شهاب الدين: «إنّ علمه يرجع إلى بصره»[4]، لأنّ علمه تعالى بحضور الأشياء لديه وشهوده لها، وهو معنى الرؤية.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[5] وهذا الأمر عندي من الواضحات. والعجب ممّن ينكر السمع والبصر في الله، وقد قال الله تعالى في مقام الاستفهام التقريري عن الكافر المنكر للرسالة: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾[6].

---

(١) الحس المشترك ما يسميه الطب اليوناني بـ «البنطاسيا».

(٢) إشارة إلى اختلاف القول بين الطبيعيين والرياضيين في كيفية الإبصار، فإن الطبيعيين قالوا بالأول، والرياضيين بالثاني، على اختلافهم فيه. قال الحكيم السبزواري:

قد قيل الإبصار بانطباع ... وقيل بالخارج عن شعاع

شرح المنظومة/٢٨٨.

(٣) أصول الكافي ١/١٠٧.

(٤) شرح حكمة الإشراق/٣٥، الحكمة المتعالية ٦/٤٢٣.

(٥) سورة يس، آية ٣٢.

(٦) سورة العلق، آية ١٤.

[في معنى اللطيف والخبير]

قال صلوات الله عليه: «اللطيف الخبير، وهو على كل شيءٍ قدير».

اللطيف من أسمائه الحسنى، وهو إمّا من اللطافة مقابل الكثافة والغلظة والكدورة، فإطلاقه على الله تبارك وتعالى صحيح، لأنّه مجرّد عن كثافة المادة وامتداد الجسم، وعن كدورة النقص، وظلمة العدم، لأنه عزّ وجلّ صرف الوجود ومحض النور.

ولعله المراد بقوله تعالى: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

فقوله: هو اللطيف، بمنزلة التعليل لعلمه تبارك وتعالى، فإنّ كل مجرّدٍ عن كثافة المادة والتجسّم عقل وعاقل ومعقول[2].

ولعله المراد من قول الرضا عليه السلام، وتفسيره اللطيف، ولطافته تعالى بنفوذه في الأشياء والامتناع عن أن يدرك، كما مرّ ذكره سابقًا، فإن لازم لطافته وعدم كدورته بكدر المادة والتجسّم وكدورة النقائص؛ أن يكون صرف النور وبحت الوجود بلا ماهية ولا حدّ، فإذا كان كذلك فهو نافذٌ في كل شيء، ولا يخلو عنه شيء، ومحيطٌ بكل موجود، ويمتنع عن أن يدرك ويُعلم ويُعرف، لأنّ تعريف الشيء إنما يكون بماهيته وحدّه، وما لا حدّ له ولا ماهية، ويكون صرف الوجود لا يمكن معرفته، فإنّ الوجود لا يمكن إدراكه إلا بشهوده والإحاطة به، وكلاهما ممتنعان في حقه تبارك وتعالى.

أو من اللطف بمعنى البر والإحسان والرفق بهم. وكونه تبارك وتعالى لطيفًا بهذا المعنى من أوضح الواضحات، فإنّ عظمة نعمته وسعة رحمته التي وسعت كل شيء لا تحتاج [إلى بيان] ولا يمكن عدّها وحصرها ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[3].

---

(١) سورة الملك، آية ١٤.

(٢) الحكمة المتعالية ٣/٣٤٦، لمعات إلهية/٣١٨.

(٣) سورة إبراهيم، آية ٣٤.

از دست وزبان كه برآيد كز عهدهء شكرش بدر آيد[1]

ومن لطفه تبارك وتعالى أنّه يفعل ويسلك بهم إلى ما هو أصلح له وأرفق وأوفق بحالهم.

كما روى الصدوق في التوحيد بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عن جبرئيل عليه السلام، عن الله تبارك وتعالى، قال: «قال الله تبارك وتعالى من أهان وليًّا لي فقد بارزني بالمحاربة، وما تردّدت في شيء أنا فاعله مثل ما تردّدت في قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بدّ له منه، وما تقرّب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتنفّل لي حتى أحبه، ومتى أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيّدًا، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه لئلا يدخله العُجب فيفسده، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالغناء ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإنّي أدبّر عبادي لعلمي بقلوبهم، فإنّي عليم خبير»[2]. فلا يفعل بأحد من عباده إلا بما هو أصلح بحاله. وبهذا تبيّن كونه خبيرًا، فإنّ الخبير هو العليم ببواطن الأمور وخفاياها.

[في معنى الربّ]

قال صلوات الله عليه: «اللهم إني أرغب إليك وأشهد بالربوبية لك مقرًّا بأنك ربّي».

الربوبية: التربية وهو تبليغ الشيء إلى حدّ كماله وتمامه تدريجاً وهذه الفقرة،

(١) گلستان سعدي (المقدّمة).
(٢) التوحيد للصدوق/٣٩٩.

- وهي الشهادة بربوبيته تبارك وتعالى -، بمنزلة التعليل للفقرة الأولى، فإنّ رغبة المربوب والمربّي لا بدّ وأن تكون إلى ربه ومربّيه، فإنّه لا ملجأ للمربوب إلا ربه. كما قال سيد الساجدين سلام الله عليه: «لا يجير، يا إلهي، إلا ربٌّ على مربوب»[1].

والربّ من أعظم الأسماء الحسنى، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه[2]. وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، أنه قال: «من دعا الله تعالى وقال سبع مرّات: «يا الله يا ربّ» استجاب له كل حاجةٍ سألها»[3].

وفي رواية أُخرى: «من كان له حاجة ودعا الله، وقال خمس مرات: «ربنا» استجاب له»[4].

وفي خبر آخر: «من رفع يديه بالدعاء، وقال ثلاث مرات: «ربي» وتضرّع إليه ملأ الله كفه من الرحمة»[5].

وفي حديث آخر: «فإذا قال العبد ثلاثًا: «يا رَب»، قال الله تبارك وتعالى: لبيك عبدي، سلْ تعْطَ»[6].

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام: أنه سأله رجلٌ عن أعظم أسماء الله الذي يدعى به، وكان عنده عليه السلام حوض ماء، وكان يوم بارد، فقال الصادق عليه السلام: «أدخل في هذا الحوض، واغتسل حتى أخبرك عنه». فلمّا دخل الماء واغتسل وأراد الخروج قال الصادق عليه السلام لأصحابه الذين كانوا هناك: «أن يمنعوه من الخروج»، فمكث في الماء، فلمّا اشتد به البرد قال: رب أغثني، فقال الإمام: «ذلك الذي سألني عنه»[7].

---

(١) الصحيفة السجادية/١٤٢ (الدعاء/٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/١٣٧، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن ١/٦٩.
(٣) الدعوات للراوندي/٤٤، المحاسن للبرقي/٣٥-٣٦.
(٤) مصباح الكفعمي/٣٠٧، المحاسن للبرقي/٣٠٥، تفسير الصافي ١/٣٢٢.
(٥) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن ١/٤٩، وفيه الرواية السابقة.
(٦) المصدر نفسه، كنز العمال ٢/٦٤.
(٧) روض الجنان، ورح الجنان في تفسير القرآن ١/٦٩.

ومقصود الإمام من هذا العمل أن ينبّهه ويحيله إلى فطرته التي فطر عليها، فإن فطرة المربوب والمربّي أن يستغيث إلى ربه الذي يربّيه ويلي تربيته في الشدائد والنوائب والمصائب.

وحكي عن أبي هاشم الواسطي، قال: كنت في مسجد واسط مع صديقٍ لي، فإذا برجلٍ دخل المسجد في زيّ المسافر، وذهب إلى أسطوانة في المسجد وصلى ركعتين، فلما فرغ من صلاته أقبل إلينا وقال: إن في هذا المسجد لا بدّ من التيامن إلى القبلة، فقلنا: هكذا يقولون، فقال: إنّي ما صلّيت في هذا المسجد قبل هذا اليوم، ثم قال لنا: إني أرى أناسًا يقولون في دعائهم: اللهم إنّي أسألك باسمك المكتوم، أولا يرون أن آدم وحوّاء لمّا تابا والتجأا إلى الله عز وجل قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾[1] فتاب الله تعالى عليهما وقبل توبتهما.

ولمّا تأذّى نوح من كفرة قومه دعا الله تعالى عليهم بهذا الاسم، وقال: ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[2]، فاستجاب الله تبارك وتعالى دعاءه وأهلك أعداءه.

وإبراهيم خليل الله عند مسألته وحاجته دعا الله بهذا الاسم، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[3] فاستجاب له.

وموسى كليم الله لما قتل القِبْطي، قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[4] فاستجاب له ربه وغفر له.

وسليمان لما سأل المغفرة، وطلب المُلك من الله تعالى، دعاه بهذا الاسم، وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[5]، فاستجاب له.

وزكريا لما سأل الله ولدًا يرثه دعا الله تعالى بهذا الاسم، وقال: ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً

(١) سورة الأعراف، آية ٢٣.
(٢) سورة نوح، آية ٢٦.
(٣) سورة الشعراء، آية ٨٣.
(٤) سورة القصص، آية ١٦.
(٥) سورة ص، آية ٣٥.

وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[1] فاستجاب له ربه ووهب له.

وخاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، دعا الله تعالى بهذا الاسم وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[2] فاستجاب له ربه وقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3].

والصالحون من أمته يدعون الله بهذا الاسم، ويقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[4].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[5]. ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[6]، فاستجاب لهم ربهم.

وإبليس اللعين طريد رب العزة، دعا الله بهذا الاسم، وقال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[7] فاستجاب الله تعالى دعاءه وقال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[8].

قال: فأي اسم أعظم وأكرم من هذا الاسم؟ فلما قال ذلك غاب عن أعيننا، فعلمنا أنه الخضر عليه السلام»[9].

قال صلوات الله عليه: «وأن إليك مردّي».

بعد شهادته عليه السلام وإقراره بربوبية الله جلّت عظمته، أقرّ بالمعاد الذي هو من أركان الدين، وبه أمر وبعث[10] جميع الأنبياء والمرسلين وهو لازم ربوبيته

---

(١) سورة الأنبياء، آية ٨٩.
(٢) سورة المؤمنون، آية ١١٨.
(٣) سورة الفتح، آية ١ – ٢.
(٤) سورة آل عمران، آية ١٩١.
(٥) سورة آل عمران، آية ١٩٣.
(٦) سورة آل عمران، آية ١٩٤.
(٧) سورة الحجر، آية ٣٦.
(٨) سورة الحجر، آية ٣٧.
(٩) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن ١/٧٠– ٧١.
(١٠) «ألف»: أمروا وبعثوا.

تبارك وتعالى، وإلا لزم أن تكون خلقة الإنسان لغوًا وعبثًا، ولذا قال تبارك وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[1] فلو لم يكن مرجع العباد ومردّه إليه، لزم العبث واللغو والسفه، فإن الحياة الدنيوية لا فائدة فيها يتعلق غرض الحكيم بها، فإنها لهو ولعب. قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[2].

گفت دنيا لعب ولهو است وشما　　كودكيد و راست فرموده خدا[3]

فأي فائدة في هذه الحياة التي ليس لها ثبوت وقرار وبقاء واستقرار؟

ولنعم ما قيل:

إنما الدنيا فناء　　ليس للدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيتٍ　　نَسَجته العنكبوت
ولعمري عن قريبٍ　　كل من فيها يموت[4]

فكيف يكون غرض الحكيم من إيجاد هذه النشأة الدنيوية[5] نفسها، ولا يكون الغرض منها نشأة أخرى فوقها؟ فإنه لا خير في الدنيا، فإن عيشها نكد، وصفوها كدر، بل الحق كما حقّقه بعض الحكماء: أنه لا نعمة ولا لذة بالحقيقة في الدنيا، وأن ما يسمونه لذة هو دفع الألم[6]، كما أنّ من صرد في الهواء البارد وكان مصرادًا[7]، يستلذ بالنار ويصطلي بها، وواضح أنه لذة ولا حظ له في النار إلا دفع ألم البرد، وكذا العطشان يستلذ بشرب الماء البارد ويتوهم أنه لذة بالحقيقة، وواضح أنه ليس إلا دفع ألم العطش، وهكذا الجائع وكذا لا لذة في السفاد والوقاع إلا دفع ألم دغدغة آلات الوقاع، فلا لذة في الدنيا، وإنما لذتها دفع الألم أو قلته.

---

(١) سورة المؤمنون، آية ١١٥.
(٢) سورة محمد، آية ٣٦.
(٣) مثنوي ١/٢١١.
(٤) ديوان الإمام علي بن أبي طالب/٥٦.
(٥) ليست في «ب».
(٦) راجع في هذا المعنى: رسائل إخوان الصفا ٣/٥٩، شرح المصطلحات الفلسفية/٣٣١.
(٧) المصراد هو الذي يشتد عليه البرد، أو القوي على البرد. لسان العرب ٣/٢٤٨.

ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[1]، مع أنه لو لم يكن لأهل الدنيا هم وغم إلا العلم بزوالها وفنائها لكفى أن لا يستلذوا منها، ولا يأنسوا بها ولا يركنوا إليها. ولنعم ما قيل:

أشدّ الغم عندي في سرورٍ ... تيقّن عنه صاحبه انتقالا

وبالجملة لو لم تكن نشأة أخرى هي دار الجزاء، لزم مع العبث واللغو الظلم والجور على العباد، فإن مصائب الدنيا ونوائبها من الأمراض، والأعراض، والجوع، وفقد الأولاد، والأحفاد، والأقرباء، والأحبّاء، لا تعدّ ولا تحصى، فلو لم تكن دار أخرى ونشأة أخرى يثاب فيها أصحاب البلايا وأرباب الرزايا لزم الجور والظلم.

ولذا جعلت كلمة الاسترجاع تسليةً للمصابين، فإنه إذا كان رجوع الكل إلى الله تبارك وتعالى الذي لا يخفى عليه شيء وليس بظلام للعباد، هان على أصحاب المصائب مصائبهم.

وأول من تكلّم بهذه الكلمة الطيبة وسلّى نفسه: أمير المؤمنين عليه السلام، حين بلغه شهادة أخيه جعفر بموته، فجعل الله تعالى هذه الكلمة سنّة لكل مصاب[2]. وهذه الفقرة وكون مردّه عليه السلام إلى الله تبارك وتعالى هو لازم ربوبية الله وتربيته له عليه السلام، فإن التربية كما مرّ هي تبليغ الشيء إلى حد كماله المقصود من خلقه، والمقصود من خلق الإنسان: الكامل الذي هو خليفة الله ومظهر صفاته وأسمائه، بل هو الاسم الأعظم، وسائر الأشياء خلق لأجله وبالعرض، ووجود الأشياء طفيليّ، فهو ثمرة شجرة الإيجاد، وباقي الأشياء بمنزلة الأوراق التي خلقت لوقاية الثمرة، وليست منظورًا إليها إلا بالعرض وقد قلت في أوان الشباب في قصيدة أنشأتها في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

گيتي به حقيقت نبود غير نهالی ... كورا بجز از ميوهء انسان نبرد بار

مقصود بود بار درخت وبطفيلش ... گرديده بسی شاخه واوراق پديدار

(١) صحيح البخاري ٢/٢٢٢ (باب مناقب الأنصار).
(٢) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين/١٧٥.

ولذا قال الله تعالى في الليلة التي أسري بعبده ورسوله: «يا أحمد، أنا وأنت، خلقت الخلق لأجلك»[1] أي أنا المحب وأنت المحبوب، وأنا الطالب وأنت المطلوب، فإنّ الغرض من الإيجاد، أن يخرج من مقام الخفاء والعمى الذي لا اسم ولا رسم له، ويتجلى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، كما قال: «كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف»[2].

ولا ريب أن المجلى الأعظم والمظهر الأتم هو الإنسان الكامل، ولنعم ما قال العارف الكامل محيي الدين في خطبته: «الحمد لله الذي خلق الإنسان، ثم جعل من فضالته سائر الأكوان»[3].

وفي كتاب كتبه أمير المؤمنين عليه السلام جوابًا عن كتاب معاوية لعنه الله: «فدع عنك من مالت به الرميّة، فإنّا صنائع ربنا والخلق بعدُ صنائع لنا»[4].

فتربية الله تبارك وتعالى لهذا الإنسان أن يبلّغه إلى وصله وقربه كما قال الله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[5]، وأن يبلّغه إلى درجة ومرتبة يكون الله تعالى يده التي يبطش بها، وعينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ورجله التي يمشي بها، قد فني عن نفسه وبقي بربه.

او زوهم واز خيالت برتر است　　او زخود فانی شد واز حقّ پر است

كما خرج عن الناحية المقدّسة المباركة عجّل الله فرج صاحبها، على يد عثمان بن سعيد رضي الله عنه، في أدعية شهر رجب، في وصف الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: «فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركانًا لتوحيدك وآياتك، ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، ولا فرق بينك وبينها إلا

(١) ينظر: كنز الدقائق ٥/٤٥٦.
(٢) إحقاق الحق ١/٤٣١.
(٣) رسائل الحكيم السبزواري/٢٥٦ نقلاً عنه.
(٤) نهج البلاغة/٣٨٦.
(٥) سورة القمر، آية ٥٥.

أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك»[1].

فتربية الله تبارك وتعالى لهم أن يجعلهم المثل الأعلى، وأن يتجلى بتمام صفاته فيهم، بحيث لا تكون بينونة ولا تفرقة بينهم وبين ربهم إلا بأنهم خلقه. ولذا خاطب الله تعالى صاحب هذا الدعاء روحي وروح العالمين فداه بقوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[2]. فإن هذه الآية نزلت في الحسين عليه السلام[3].

[في بدء خلق الأئمة عليهم السلام]

قال عليه السلام: «ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً».

وهذا موافق لقوله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[4]. والاستفهام هنا استفهام تقريري[5]، ولذا فسّر «هل» هنا[6] بـ «قد» فإنه واضح أنه [قد] أتى على الإنسان حين من الدهر لم يك شيئًا مذكورا. وتوصيف «الشيء» وتقييده بـ «مذكورًا» يدل على كونه شيئاً ولكن غير مذكور، وهو كذلك.

كما في رواية العياشي عن زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية قال: «كان شيئًا، ولم يكن مذكورًا»[7]. وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «كان مذكورًا في العلم، ولم يكن مذكورًا في الخلق»[8]. وفي الكافي عن الصادق

(١) البلد الأمين/١٧٩.
(٢) سورة الفجر، آية ٢٧ – ٢٨.
(٣) تفسير الصافي ٢/٨١٨، نور الثقلين ٥/٥٧٧.
(٤) سورة الدهر، آية ١.
(٥) مجمع البيان ٥/٤٠٦.
(٦) ليس في «ب».
(٧) مجمع البيان ٥/٤٠٦.
(٨) المصدر نفسه.

عليه السلام: «كان مقدّرًا غير مذكور»[1]. وفي رواية أخرى: «كان شيئًا مقدورًا، ولم يكن مكوّنًا»[2].

وتوضيحه: أن الشيئية مساوقة للوجود بل هي[3] عينه، وواضحٌ أن الأشياء قبل وجودها الكوني موجودة بوجودها العلمي في مرتبة علم الله تبارك وتعالى، فإنّ علمه تعالى لا يكون حصوليًّا بصور حاصلة كما زعمه بعض، بل علمه حضوري، وهو كون الأشياء حاضرة عنده، ولا يعزب عنه ذرةٌ في الأرض ولا في السماء، فكلّ الأشياء حاضرة موجودة بالوجود الجمعي العلمي. وقولنا: «معدوم» باعتبار وجودها الكونيّ التفصيلي، كما يقال للأشياء المتصوّرة في الذهن التي ليست موجودة في خارج الذهن، هو معدوم، مع أنها موجودة بالوجود الذهني وكيف لا تكون الأشياء في صقع الربوبية ومقام علمه الذي هو عين ذاته، وهو تبارك وتعالى معطيها، أعطى كل شيء خلقه، ومعطي الشيء لا يكون فاقدًا له؟

ولذا قال أبو جعفر عليه السلام في حديث رواه الكليني بسنده عن أبي بصير، قال: جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: أخبرني عن ربك: متى كان؟ فقال: «ويلك! إنما يقال لشيء لم يكن: متى كان؟ إلى أن قال: ولا كان خِلْوًا من المُلك قبل إنشائه، ولا يكون منه خلوًا بعد ذهابه»[4].

فهذه الفقرة صريحة في أن الأشياء قبل كونها وإيجادها بوجودها الكوني كانت موجودة في الأزل في علم الله الذي هو عين ذاته، فذاته تبارك وتعالى حاوية وجامعة لكل وجود، ولم تكن خالية عن وجود، وإلا لزم تركيبها من الوجدان والفقدان.

ولعلك تُنكر وتصول، وتستشكل وتقول: يلزم على هذا قِدَم الأشياء، وهو خلاف الضرورة! فإنّا نقول: مهلاً مهلاً، فإن الضروري هو حدوث وجوداتها المضافة إلى أنفسها، وبها يمتاز بعضها عن بعض. وأما وجودها العلمي فهو بالحقيقة

---

(١) أصول الكافي ١/١٤٧.
(٢) مجمع البيان ٥/٤٠٦.
(٣) «ب»: هو.
(٤) أصول الكافي ١/٨٨، التوحيد للصدوق/١٧٣.

وجود الله، كما أنّ وجود الأشياء في الذهن بالحقيقة وجود الذهن، ولذا يقال لما ليس منها في الخارج: معدوم.

والابتداء بالنعمة والعطية أن يكون قبل سؤال المعطى له وإظهاره، والمراد بنعمته التي ابتدأ هو إيجادها وخلقها، فهي أول نعمة أنعمها الله عليه، بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا. ومراده صلوات الله عليه إيجاد[1] روحه الطيبة ونوره المقدّس في عالم الأرواح والأنوار. كما ورد في الرواية عنهم صلوات الله عليهم: «إن الله خلقنا قبل الخلق بألفي ألف عام، فسبّحنا فسبّحت الملائكة لتسبيحنا»[2].

وعن أبي سعيد الخدريّ أنه قال: كنا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ أقبل إليه رجل، فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[3]، فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، كنا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا، قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يؤمروا بالسجود إلا لأجلنا، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس، فإنه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾. أي من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش، فنحن باب الله الذي يؤتى منه بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبّنا أحبه الله وأسكنه جنته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبّنا إلا من طاب مولده»[4].

وبالجملة، فالأخبار والأحاديث في بدء أرواحهم وسبقها على تمام الأشياء كثيرة متظافرة، وفي نقلنا كفاية، وعلى هذا يكون قوله: «وخلقتني من التراب» بيان خلق بدنه المقدّس وذاك مادته، ولا يكون بيانًا لقوله: ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئًا مذكورًا.

---

(١) في الأصل: إما إيجاد.

(٢) بحار الأنوار ٢٥/١ ومؤدّى الحديث يوجد في تفسير الفرات/١٣٤، إحقاق الحق ٩٢/٥.

(٣) سورة ص، الآية ٧٥.

(٤) البرهان في تفسير القرآن ٦٤/٤، فضائل الشيعة/٨.

[في انعقاد النطفة ومراحل كمالها]

قال عليه السلام: «خلقتني من التراب، ثم أسكنتني الأصلاب آمنًا لريب المنون واختلاف الدهور، فلم أزل ظاعنًا من صلب إلى رحم في تقادم الأيام الماضية والقرون الخالية».

ذكر عليه السلام أولاً مادة بدنه، ولما كان العنصر الغالب لأبدان الإنسان هو التراب ذكره ولم يذكر سائر العناصر، ولما كان الغالب بعد التراب هو الماء ذُكر في مواضع من القرآن المجيد هذان العنصران الثقلان، وعبّر بالطين المركّب من التراب والماء. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾[1] وقال فيما حكاه عن إبليس لعنه الله ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[2].

وقوله عليه السلام: «ثم أسكنتني الأصلاب» موافق لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[3].

فإنه تبارك وتعالى عطف تبدّل[4] الطين إلى النطفة بـ «ثمّ»، وكذا تبدّل النطفة إلى العلقة، وكذا التبدّل الآخر، وعطف سائر التبدّلات بالفاء والواو العاطفتين لا بـ «ثمّ»، لأن التبدّل الأول، التبدّل من صورة البساطة العنصرية إلى الصورة الضعيفة المركّبة المعدنية، وتبدّل النطفة إلى العلقة ترقيها إلى عالم النباتية والنماء، وسائر التبدّلات من صيرورتها مضغة، وصيرورتها عظمًا، وتكسية العظم لحمًا، كلها من مراتب عالم واحد، وهو عالم النبات. ثم عطف ترقّيها إلى عالم الحياة بـ «ثم»، فافهم واغتنم هذه النكتة فإني لم أر أحدًا من المفسّرين تعرّض له.

---

(١) سورة المؤمنون، آية ١٢.
(٢) سورة ص، آية ٧٦، وسورة الأعراف، آية ١٢.
(٣) سورة المؤمنون، آية ١٢ – ١٤.
(٤) «ب»: تبديل.

والمنون: إما بمعنى الدهر كما في اللغة، أو بمعنى الموت والمنية كما هو أحد معنييه في اللغة أيضًا[1]. وريبه: هو الحوادث التي يضطرب[2] فيها الإنسان وتوجب ريبه وتزلزله. ويؤيد كون المنون هنا بمعنى الدهر قوله عليه السلام، متصلاً به: واختلاف الدهور. والصلب: هو عظم الظهر وفِقْراته التي ينتهي إلى الكليتين والأنثيين. والنطفة: هي فضلة الهضم الرابع التي تفضل في جميع البدن وتنزل إلى الأنثيين، فبالحقيقة، النطفة تخرج من جميع البدن وتنزل إلى البيضتين. ولكن لما كانت الكليتان متصلتين بالصلب وثدي المرأة [كان] دخلهما في إصلاح النطفة وجمعها وتحريكها أشدّ.

قال الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[3]؛ ولذا ورد استحباب وضع اليد على ثدي المرأة عند إرادة الوقاع، لتشتد رغبتها، ويعاون في تحريك المني[4]، ولذا ذهب أبقراط وكثير من الحكماء والأطباء إلى أن النطفة ليست متشابهة المزاج، بل هي متشابهة الامتزاج، لأنها تخرج من جميع الأعضاء، فيخرج من اللحم ما يشبهه، ومن العظم شبيهه، ومن العصب شبيهه، وعلى هذا يخرج من جميع الأعضاء[5]. ولذا يكون الولد غالبًا شبيهًا بوالديه وغالبًا تكون الأمراض التي في الوالدين يرثها الولد ولعله المراد من قوله تعالى في وصف النطفة بأنها أمشاج[6]، فإن الأمشاج جمع مشج، وهو الخليط.

ولما كانت صورة النطفة في تجوهرها وصورتها النوعية أضعف الصور المعدنية، لا يمكنها أن تحفظ نفسها وتبقى بذاتها زمانًا يعتد به، جعل الله تبارك وتعالى لها مسكنًا ومقرًّا تكنّ فيه وتحفظ فيه، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[7].

---

(١) لسان العرب ١٣/٤١٥.
(٢) النسختان: يضطر والظاهر ما أثبتناه.
(٣) سورة الطارق، آية ٧.
(٤) مستدرك الوسائل ٢/٥٤٥.
(٥) الحكمة المتعالية ٨/١١٠.
(٦) قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾، سورة الدهر، آية ٢.
(٧) سورة المؤمنون، آية ١٣.

وقال صلوات الله عليه في هذا الدعاء: «ثم أسكنتني الأصلاب آمنًا لريب المنون ظاعنًا من صلب إلى رحم» فإنه لولا سكون النطفة في هذا القرار المكين، لم يكن آمنًا لريب المنون، وفسد بأدنى زمانٍ.

[في أنّ آباء الأنبياء كلهم كانوا موحّدين]

قال صلوات الله عليه: «لم تُخرجني لرأفتك بي ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة أيام الكفرة الذين نقضوا عهدك وكذّبوا رسلك».

ولمّا كان لحالات الأبوين وأخلاقهما وأغذيتهما دخل تام في استعداد النطفة ولذا ورد الأمر والحث من الأئمة عليهم السلام بأن يطعم الحوامل السفرجل لتحسن أخلاق الولد[1]، وأن يطعمن اللُبان ليزيد فطانته وذكاوته[2].

فلعلّ مراده عليه السلام من إسكانه الأصلاب ظاعنًا من صلب إلى رحم في تقادم الأيام واختلاف الدهور، مع أمنه من ريب المنون، هو أن الأصلاب والأرحام التي سكن فيها لم تَنَلْها أدناس الجهالة، وأرجاس الضلالة، والصفات القبيحة، والعادات الوقيحة، بل آباء الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين لا يشكّون فيها، خلافًا لأهل السنّة والجماعة، فإنهم قالوا بكفر والدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وكفر أجداده كعبد المطلب وهاشم وعبد مناف[3]، مع ما ظهر منهم سلام الله عليهم من الكرامات وخوارق العادات[4]، خصوصًا من عبد المطلب سلام الله عليه، وما ظهر منه في وقعة الفيل ودعائه، فإنه جعل يتوسل إلى الله بنور نبيه الذي في صلبه، ويقول: «يا ربّ يا ربّ إليك المهرب، وأنت المطْلَب، أسألك بالكعبة العليا ذات

---

(١) **سفينة البحار** ١/٦٢٩: عن النبي صلى الله عليه وآله: كلوا السفرجل وتهادوا بينكم، فإنه يجلو البصر، وينبت المودة في القلب، وأطعموا حُبالاكم يحسن أولادكم.

(٢) **وسائل الشيعة** ١٥/١٣٦، **سفينة البحار** ٢/٥٠٥.

(٣) انظر مذهب الحق ومذاهب أهل السنة هنا في: **أوائل المقالات**/٤٥، **النقض**/٥١٥- ٥١٩، **الاعتقادات للصدوق**/١١٠.

(٤) انظر بعض ما ظهر منهم من الكرامات في: **بحار الأنوار** ١٥/١١٧- ١٦٠.

الحج والموقف العظيم المقرّب، يا ربّ لازم[1] الأعادي بسهام العطب، حتى يكونوا كالحصيد المنقلب، وأخذ بحلقة الكعبة وأنشأ يقول:

لا همّ إنّ المرء يمنع رحله، فامنع رحالك ... لا يغلبنّ صليبهم ومحالهم عدوًا محالك

إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك ... جرّوا جميع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك

عمدوا حماك بكيدهم جهلاً وما خافوا جلالك ... فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وأنشأ أيضًا:

يا ربّ، لا أرجو لهم سواكا ... يا ربّ فامنع منهم حماكا

إن عدوّ البيت من عاداكا ... امنعهم أن يخربوا قراكا

وبعد هذا الدعاء سمع مناديًا ينادي: قد أجيبت دعوتك وبلغت مسرّتك، إكرامًا للنور الذي في وجهك»[2].

بل يظهر من بعض الأخبار أنه كان مؤيّدًا بالوحي والإلهام من عند الله[3].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ إنّ عبد المطلب سنّ في الجاهلية خمس سنن، أجراها الله تعالى في الإسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾[4] ووجد كنزًا، فأخرج منه الخمس وتصدّق به، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾[5]. ولمّا حفر زمزم سمّاها سقاية الحاجّ، فأنزل الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[6]. وسنّ في القتل مائة من الإبل، فأجرى الله عز وجل ذلك في الإسلام. ولم يكن للطواف عدد عند قريش، فسنّ عبد المطلب فيهم سبعة

---

(١) كذا في النسختين، وفي المصدر «إرم» ولا يبعد كون ما في المتن تصحيف إرم أو رامي.
(٢) بحار الأنوار ١٥/ ٧٠.
(٣) ينظر تفصيل ذلك في: المصدر نفسه /١١٧.
(٤) سورة النساء، آية ٢٢.
(٥) سورة الأنفال، آية ٤١.
(٦) سورة التوبة، آية ١٩.

أشواط، فأجرى الله ذلك في الإسلام.

يا علي، إن عبد المطلب كان لا يستسقم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام»[1].

واعتقادنا معاشر الإمامية أن آباء النبي والأئمة صلوات الله عليهم إلى آدم كلهم كانوا موحدّين، ولم يكن فيهم كافر ومشرك[2]، فقد نقل الفريقان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا، لم يُدنّسني بدَنَس الجاهلية»[3] فكيف كانوا مع الشرك، طاهرين وطاهرات، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[4]، وفي ذيل الرواية إشعار بأن كفر الآباء والأمّهات يورث دنسًا في الولد. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[5] على سبيل المنّة والنعمة على رسوله أنه قلّبه في أصلاب الساجدين والعابدين.

وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، في وصف الأنبياء صلوات الله عليهم: «فاستودَعهم في أفضل مستودع، وأقرّهم في خير مستقر، تناسختْهم كرائم الأصلاب إلى مطهَّرات الأرحام، كلما مضى منهم سلفٌ قام منهم بدين الله خلَفٌ. حتى أفضتْ كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتًا، وأعزّ الأرُومات مغرِسًا» إلى آخر الخطبة[6]. فكيف يوصف أصلاب آبائهم وأرحام أمّهاتهم بهذا الوصف والمدح، إن كانوا كفّارًا؟ واعتقادنا في «آزر» أنه لم يكن أبًا لإبراهيم، بل كان عمّه[7]، وكثيرًا ما يسمّى العم - خصوصًا إذا كان زوج الأمّ بالأب.

---

(١) الخصال ١/٣١٢.
(٢) الاعتقادات للصدوق/١١٠، تصحيح اعتقادات الإمامية /١٣٩، بحار الأنوار ١٥/٢- ١٧.
(٣) إحقاق الحق ٥/١٠ و ٣٤.
(٤) سورة التوبة، آية ٢٨.
(٥) سورة الشعراء، آية ٢١٩.
(٦) نهج البلاغة/١٣٨.
(٧) مجمع البيان ٢/٣٢٢.

وعدّ عليه السلام من مِنَن الله تعالى عليه: ولادته في دولة الإسلام وظهور نوره، وعدم خروجه في دولة الكفرة وهو من مِننه العظيمة، ونعمه الجسيمة، فإنّ كمال السعادة أن تكون الولادة عند ظهور شمس فلك النبوة ونيّر الرسالة. كما قال صلى الله عليه وآله: «خير القرون قرني...»[1].

وقال أبو البشر آدم عليه السلام في الليلة التي أُسري برسول الله حين رآه: «مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، المبعوث في الزمن الصالح»[2].

وقال يوسف الصدّيق أيضًا في هذه الليلة، حين رآه رسول الله صلى الله عليه وآله: «مرحبًا مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح، المبعوث في الزمن الصالح»[3]. وقال أيضًا في هذه الليلة خليل الرحمن، حين رآه: «مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح، المبعوث في الزمن الصالح»[4].

وبالجملة، فالولادة في دولة الإسلام الذي جاء به نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلّم من لطفه ورأفته، وإحسانه، إذ بطلوع هذا النيّر الأعظم أشرقت الأرض والسماء، وانمحت الجهالة والظلْماء، وأسقطت الأصنام والأوثان، وخمَدت من معابد الفرس النيران[5]، خصوصًا ولادة صاحب هذا الدعاء المبارك، فإنه بعد الولادة لم يستقر في مكان، وكان أول مقرّه ومنزله بعد الولادة في حجر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله. كما روي عن صفيّة بنت عبد المطلب أنها قالت: لما سقط الحسين عليه السلام من بطن أمه قال النبي صلى الله عليه وآله: «يا عمّة، هلمّي إليّ ابني»، فقلت: يا رسول الله، إنّا لم ننظفه بعد. فقال: «يا عمّة، أنت تُنظّفينه؟ إن الله تبارك وتعالى قد نظفه وطهّره» قالت صفية: فدفعته إلى النبي، فوضع النبي لسانه في فيه، وأقبل الحسين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله يمصّه قالت: فما كنت أحسب

---

(١) قريب منه في: مسند أحمد بن حنبل ٢/٢٢٨، بحار الأنوار ٢٢/٣٠٩.
(٢) تفسير القميّ: في تفسير سورة الإسراء ٢/٤، علم اليقين ١/٤٩٨.
(٣) علم اليقين ١/٥٠٢.
(٤) المصدر نفسه/٥٠٤، البرهان في تفسير القرآن ٢/٣٩١.
(٥) إشارة إلى الحوادث الواقعة عند ولادة صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله: أنظر: إعلام الورى/١٩، شرف النبي/٢٣٦.

رسول الله يغذوه إلا لبنًا وعسلاً[1].

والعهد لغة: الوصلة. والمراد هنا من العهد الذي نقضوه، هو ما أودعه الله تعالى في فطرتهم التي فطرهم عليها، فإنّ كل مولود يولد على فطرة التوحيد[2]، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإنّ كل أحد يعلم بالضرورة أن له موجِدًا، وأنه ليس موجودًا بنفسه وأنّ له موجدًا أوجده، وله مدبّر يدبّره ويقلّبه كيف يشاء، وأنه لا يملك لنفسه شيئًا. فإنّ أقرب الأشياء إليه قلبه وهو لا يستطيع أن يبقيه على حالة واحدة، ويتحرّك ويتقلّب في كل ساعة ويعلم بالضرورة أن لكل متحرّك محرّكًا يحرّكه ومقلّبًا يقلّبه. ولذا قال سيد الموحّدين أمير المؤمنين سلام الله عليه: «عرفت الله بفسخ العزائم ونقض الهمم»[3].

وقال الصادق عليه السلام في جواب ابن أبي العوجاء، حين سأله عن الله تعالى: لِمَ احتجبَ عن خلقه، وأرسل إليهم الرسل ولو باشر الخلق بنفسه كان أقرب إلى إيمانهم؟ قال عليه السلام: «ويلك! كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك؛ نشوءَك[4] ولم تكن، وكِبَرك بعد صِغَرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمَك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبك بعد بغضك، وبغضك بعد حبك، وعزمك بعد إبائك، وإباءك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك»[5].

وبالجملة، فالفطرة التي فطر الإنسان عليها، وجبلّته التي جبل عليها هي الإقرار بالله تبارك وتعالى. ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

---

(١) الأمالي للصدوق/١١٧، سفينة البحار/٢/٣٦.

(٢) انظر معاني الفطرة وحديث «كل مولود يولد على الفطرة...» في بحار الأنوار ٣/٢٧٦- ٢٨١.

(٣) التوحيد للصدوق/٢٨٩، الخصال ١/٣٣. ولفظ الحديث فيهما: بفسخ العزم ونقض الهمم.

(٤) لفظة «نشوءك» والمعطوفات عليها بدل اشتمال من قدرته، كما في هامش المصدر.

(٥) التوحيد للصدوق/١٢٧، والرواية مفصّلة.

اللهُ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[2].

ولمّا كان الإقرار بالله ومعرفته ضروريًّا فطريًّا جبلّيًّا أحال الصادق عليه السلام السائل عن الله تعالى إلى فطرته، فقال: «يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟» قال: نعم، قال: «فهل تعلّق قلبك هناك أن شيئًا من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟» قال: نعم، قال الصادق عليه السلام: «فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»[3].

وبالجملة، فعهد الله تعالى وميثاقه الذي نقضوه هو ما أودع الله في غريزتهم وطبيعتهم، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[4]، فإشهاد الله إياهم على أنفسهم، - بحيث لا يمكنهم المعذرة بالغفلة وبشرك الآباء -، هو إيجاد فطرتهم وغريزتهم على التوحيد، فكيف ينكر أمرًا فطريًّا وضروريًّا أوليًّا؟ وكيف يقبل المعذرة بالغفلة أو بشرك الآباء؟

وقوله صلوات الله عليه: «لكنك أخرجتني رأفة وتحننًا عليَّ للذي سبق لي من الهدى الذي له يسّرتني وفيه أنشأتني».

هو علة لعدم إخراج الله إياه في دولة الكفرة، فإن الله تعالى جعله سفينة نجاة الأمة ووسيلة هداية المسلمين إلى يوم الدين، فإنه عليه السلام أبو الأئمة الطاهرين[5]،

---

(١) سورة لقمان، آية ٢٥.

(٢) سورة الأنعام، آية ٤٠- ٤١.

(٣) التوحيد للصدوق/٢٣، معاني الأخبار/٤.

(٤) سورة الأعراف، آية ١٧٢- ١٧٣.

(٥) اتصافه عليه السلام بهذه الأوصاف ظاهر، انظر: فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣/٢٥٥ - ٢٦٥.

وهداية كل أحد بإمامه، وبه يُدعون يوم القيامة [1]. ولعله السر في قول جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله، - في الليلة التي أُسري برسول الله ودخل الجنة، ومُثِّل له نور الحسن والحسين سلام الله عليهما في صورة شجرتين -، في شأن شجرة الحسين عليه السلام: هي أطيب طعمًا وأزكى رائحة، فإن رائحة الإسلام ونوره الذي يظهر ويزهر إلى يوم القيامة من شعاع نوره عليه السلام. وهذا الخبر حكي عن عروة البارقي، قال: حججت في بعض السنين، فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجدت رسول الله جالسًا وحوله غلامان يافعان، وهو يقبّل هذا مرة وهذا أخرى، فإذا رآه الناس يفعل هذا أمسكوا من كلامه حتى يقضي وطَرَه منهما، وما يعرفون لأي سببٍ، حبّه إياهما فجئته وهو يفعل ذلك بهما، فقلت: يا رسول الله، هذان ابناك؟ فقال: «إنهما ابنا بنتي وابنا أخي وابن عمي، وأحبّ الرجال إليّ، ومن هو سمعي وبصري، ومن نفسه نفسي ونفسي نفسه، ومن أحزن لحزنه ويحزن لحزني». فقلت له: قد عجبت يا رسول الله من فعلك بهما وحبّك لهما. فقال لي: «أحدّثك أيها الرجل، إني لمّا عُرِج بي إلى السماء ودخلت الجنة، انتهيت إلى شجرة في رياض الجنة، فعجبت من طيب رائحتها فقال لي جبرئيل: يا محمد، لا تعجب من هذه الشجرة، فثمرها أطيب من ريحها. فجعل جبرئيل يُتحفني من ثمرها ويطعمني من فاكهتها، وأنا لا أملّ منها. ثم مررنا بشجرة أخرى، فقال لي جبرئيل: يا محمد، كُلْ من هذه الشجرة، فإنها تشبه الشجرة التي أكلت منها الثمر؛ فهي أطيب طعمًا وأزكى رائحة، قال: فجعل جبرئيل يتحفني بثمرها، ويشمّني من رائحتها وأنا لا أملّ منها فقلت: يا أخي جبرئيل، ما رأيت في الأشجار أطيب ولا أحسن من هاتين الشجرتين، فقال لي: يا محمد، أتدري ما اسم هاتين الشجرتين؟ فقلت لا أدري فقال: إحداهما الحسن والأخرى الحسين، فإذا هبطت يا محمد إلى الأرض من فَورِك، فأتِ زوجتك خديجة واقعْها من وقتك وساعتك، فإنه يخرج منك طيب رائحة الثمر الذي أكلته من هاتين الشجرتين فتلد لك فاطمة الزهراء، ثم زوِّجها أخاك عليًّا فتلد له ابنين، فسمِّ أحدهما الحسن والآخر الحسين». قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ففعلت ما أمرني أخي جبرئيل، فكان الأمر ما كان. فنزل

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، سورة الإسراء، آية ٧١.

إليّ جبرئيل بعد ما ولد الحسن والحسين فقلت له: يا جبرئيل ما أشوقَني إلى تِينك الشجرتين! فقال: يا محمد إذا اشتقت إلى الأكل من ثمرة تينك الشجرتين فشُمَّ الحسن والحسين». قال: فجعل النبي صلى الله عليه وآله كلما اشتاق إلى الشجرتين يشمُّ الحسن والحسين، ويلثمهما وهو يقول: «صدق أخي جبرئيل»[1].

وبالجملة لمّا صدق في علم الله عز وجل أن يكون الحسين عليه السلام سبب هداية هذه الأمة المرحومة، ووسيلة نجاتهم إلى يوم القيامة أخرجه في دولة الإسلام، وجعله أبا الأئمة والحجج الهداة إلى الله، والدعاة إليه، ولذا كان رسول صلى الله عليه وسلّم يقبّله ويقول: «أنت السيد أبو السادة، أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمة وأنت الحجة ابن الحجة أبو الحجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم»[2].

وبشهادته وقتله في سبيل الله، أحيا الله دينه، وإلا انطمست آثاره وهدمت أركانه، ولم يبق من الإسلام آية ولا علامة. ولأجل كون إحياء الدين ونجاة المسلمين لا يمكن إلا بشهادته عليه السلام أخبر[3] جبرئيل رسول الله بشهادته وشهادة أخيه الحسن، وكانا عند رسول الله في حِجره، والحسن عليه السلام على ركبته اليمنى، والحسين عليه السلام على ركبته اليسرى، وهو يقبّلهما ويشمّهما، وقال جبرئيل: «يا رسول الله، إنك لتحبّ الحسن والحسين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وكيف لا أحبّهما وهما ريحانتاي من الدنيا وقرّتا عيني؟ فقال جبرئيل: إن الله قد حكم عليهما بأمرٍ، فاصْبرْ له. فقال: ما هو يا أخي؟ فقال جبرئيل: إن الله تعالى قد حكم على هذا الحسن أن يموت مسمومًا، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحًا، فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له جبرئيل: إنّ لكلّ نبيّ دعوةً مستجابة، فإن شئت كانت دعوتك لولديك الحسن والحسين عليهما السلام، فادع الله أن يسلّمهما من السم والقتل، وإن شئت كانت مصيبتهما ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أمتك يوم القيامة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل، أنا راضٍ بحكم ربي، لا أريد إلا ما يريده. وقد

---

(١) بحار ٤٣/٣١٤.

(٢) المناقب ٤/٧١، كمال الدين ١/٢٦٢، بحار الأنوار ٣٦/٢٤١.

(٣) النسختان: لما أخبر.

أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمتي، ويقضي الله في ولديَّ ما يشاء»[1].

وواضح أن مراد جبرئيل من أنّ لكل نبي دعوةً مستجابة ليس أنّ لكلّ نبيّ دعوة واحدة مستجابة، فإنه غلط، فإنّ كل دعوة ومسألة من الأنبياء مستجابة، ولا يردّ دعاؤهم ومسألتهم، فإنهم ألسنة الله، ودعاؤهم دعاء الله.

«هم دعا از او، اجابت هم از اوست»[2]

بل المراد أنّ سبب نجاة الأمة وهدايتهم وقابليتهم لشفاعتك منحصر[3] في شهادتهما، وأبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها[4].

فالأمر دائر بين هذين الأمرين: إما شهادتهما ونجات المسلمين وبقاء الدين، وإما عدم شهادتهما، وهلاك المسلمين، ومحو الدين، وطمس السنّة، ومحْق الملّة، ولذا رضي رسول الله صلى الله عليه وآله بشهادتهما، فإن الشهادة لأجل إحياء الدين من كمال السعادة، فإن الأنبياء والأولياء ليس همّهم إلا إحياء الدين وإرشاد الضالين، ولم يعبأوا بالحياة الدنيوية، فإن الدنيا لهم سجن.

قال عليه السلام: «ومن قبل ذلك رَؤُفت بي بجميل صنعك وسوابغ نعمك، وابتدعت خلقي من مني يُمنى، ثمّ أسكنتني في ظلمات ثلاث، بين لحم ودم وجلد لم تُشهِّرني (لم تشهدني) بخلقي، ولم تجعل إليّ شيئًا من أمري».

السوابغ: جمع السابغة، وهي الواسعة التامة الكاملة يقال: درع سابغة أي: واسعة طويلة. وأسبغ وضوءه: إذا أكمله بإكثار مائه. ومن كمال لطف الله على

---

(١) بحار الأنوار ٤٤/٢٤١- ٢٤٢، مع اختلاف يسير.

(٢) إشارة إلى هذا الشعر:

هم دعا از تو ، اجابت هم زتو — ايمنى از تو، مهابت هم زتو
گر خطا گفتيم، اصلاحش تو كن — مصلحى تو اي تو سلطان سخن
(مثنوي ١/٢٨٥)

(٣) في «ب»: منحسر، وما أثبتناه من «ألف».

(٤) في الحديث: «... لاينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه...»، أصول الكافي ١/٢٠٣ و ١٨٣.

خلقه، أن مبدأ خلقه لمّا كان من أضعف الأشياء وأخسّها وأوهنها وأمهنها عند الناس، ويستقذرها كل من رآها، لم يشهّرها الله عند الناس، وجعله في ظلمات ثلاث حتى تتمّ خلقته وتحسن رؤيته، ولا يكون عند رؤيته الناس قبيحًا طفسًا.

والمراد بالظلمات الثلاث إما اللحم والدم والجلد، فيكون قوله عليه السلام: «بين دم ولحم وجلد» بيانًا للظلمات، وإما ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة؛ كما روي عن الباقر عليه السلام في تفسير الآية[1].

وقوله عليه السلام: «لم تجعل إليّ شيئًا من أمري»، واضح، فإنّ النطفة بعد قرارها في الرحم، تكون أولاً من النباتات الضعيفة الوجود، والنبات وإن كان قويًّا لا يمكنه إصلاح أمره من التغذية والتنمية، بل لا بدّ من الخارج من يوصل إليه الغذاء، ويرسل إليه الماء بقدر لا يفسده، ولا بدّ من ملائكة تستخدم القوى النباتية في النباتات من الغاذية والنامية والمولّدة، فإنّ هذه الأفعال المتقنة المستحكمة التي جرت على وفق المصلحة والحكمة لا يمكن أن تنسب إلى طبيعة عديمة الشعور والإدراك.

ولذا، قال سلطان الحكماء والمتألهين نصير الدين الطوسي قدس سره: «والمصوّرة عندي باطلة لامتناع صدور هذه الأفاعيل عن قوة عديمة المشاعر، بل كل من له أدنى شعور وإدراك يعلم أنها فعل حكيم مقتدر»[2].

ولذا، قال الله تبارك وتعالى – مُظهرًا للتعجّب ممن ينكره ويكفر به –: ﴿**قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ**﴾[3]. وكون هذه الأفاعيل العجيبة المحكمة والصور الغريبة المستحسنة من فعل الله تبارك وتعالى لا ينافي توسّط القوى المادية، فإنّه تعالى أجلّ وأعظم من أن يفعل هذه الأفاعيل الجزئية المتغيّرة الفاسدة بلا واسطة أو وسائط وما يصدر عنه بلا واسطة لا

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ**﴾ قال الطبرسيّ في تفسير الظلمات الثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسديّ وابن زيد، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام، (**مجمع البيان** ٤/٤١٩).

(٢) انظر صدر العبارة من كلام العلامة الحلي في: **كشف المراد**/١٤٦.

(٣) سورة عبس، الآيات ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠.

بدّ أن يكون من الأنوار القاهرة، والعقول المجرّدة، وهو نور نبيّنا صلى الله عليه وآله، ومن نسب هذه الأفعال بلا واسطة إلى الله فقد ظلم ولم يعرفه حق معرفته، وما قدر الله حق قدره، فإنّ الكل وإن كان من فعل الله ولا مؤثر في الوجود إلا هو، لكن إيجاده الأخس لا بدّ وأن يكون بتوسط الأشرف، وإلا لكان إيجاد الوسائط لغوًا وعبثًا. وواضح أن الله يحيي ويميت، والله يتوفّى الأنفس حين موتها، ومع ذلك يقول: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[1]، ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾[2] فإنّ ملك الموت الذي من حملة العرش له خدم ووسائط ورقائق[3] في قبض الأرواح، فإن شئت فقل: يقبض الأرواح ملائكة الموت، وإن شئت فقل: يقبضها عزرائيل عليه السلام، وإن شئت فقل: يقبضها الله تبارك وتعالى والكل صحيح.

وكذا الإحياء هو فعل الله تعالى، وهو الذي ﴿يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4]. وهو لا ينافي أن يكون بتوسّط إسرافيل. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[5].

وكذا الهداية من عند الله قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ...﴾[6]، وهو لا ينافي أن تكون الهداية بتوسط الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين.

ولا شبهة أن الله هو الرزّاق و ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[7]، وهو لا ينافي أن يكون بتوسّط وسائط من ميكائيل حامل العرش، وبتوسط إنشاء الحب ونزول المطر، وغير ذلك من الوسائط.

---

(١) سورة السجدة، آية ١١.
(٢) سورة النساء، آية ٩٧.
(٣) الرقيقة بمعنى الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين. (التعريفات/٤٩). راجع في كون ملائكة أخرى أعواناً لملك الموت: من لا يحضره الفقيه ١/١٣٦، علم اليقين ٢/٨٤٤.
(٤) سورة البقرة، آية ٢٨.
(٥) سورة الزمر، آية ٦٨.
(٦) سورة القصص، آية ٥٦.
(٧) سورة الذاريات، آية ٥٨.

فما قاله نصر الملة والدين من بطلان القوة المصوّرة من أجل كون هذه الأفاعيل لا تكون من طبيعة عديمة الشعور، حق لو كانت هذه الأفاعيل فعل الطبيعة العديمة الشعور، مستقلةً. أما إذا كانت الطبيعة مسخّرة لأمر الله وملكوته فلا وجه لبطلان القوة المصوّرة، بل لا بدّ من القول بها وأنها مسخّرة، وما يصدر عنها من الأفعال المحكمة المتقنة ومن سائر القوى الطبيعية فباعتبار ملكوتها، فإن لكل ملك ملكوتًا، وبيده تبارك وتعالى ملكوت كل شيء. قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[1].

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام: «إن الله تعالى إذا أراد أن يخلق النطفة التي أخذ عليها الميثاق في صلب آدم، أو ما يبدو له فيه، ويجعلها في الرحم، حرّك الرجل للجماع، وأوحى إلى الرحم: أن افتحي بابك حتى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها، فتصل النطفة إلى الرحم، فتردّدُ فيه أربعين يومًا، ثم تصير علقة أربعين يومًا، ثم تصير مضغة أربعين يومًا، ثم تصير لحمًا تجري فيه عروق مشبّكة، ثم يبعث الله ملكين خلاّقين يخلقان في الأرحام ما يشاء، يقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة، فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، ومعها روح الحياة، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقّان له السمع والبصر وجميع الجوارح وجميع ما في البطن، بإذن الله تبارك وتعالى. ثم يوحي الله إلى الملكين: اُكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري، واشترطا إليّ البداء فيما تكتبان فيقولان: يا ربّ، ما نكتب؟ قال: فيوحي الله إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمه، فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يضرب (يقرع) جبهة أمه، فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه شقيًّا أو سعيدًا، وجميع شأنه.

قال: فيملي أحدهما على صاحبه، فيكتبان جميع ما في اللوح، ويشترطان فيه البداء فيما يكتبان، ثم يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه، ثم يقيمانه قائمًا في بطن أمه...»[2] الحديث. ولعلّ التعبير بالملكين، لأجل أنه في إيجاد المكوّنات من

(١) سورة آل عمران، آية ٦.
(٢) فروع الكافي ٦/١٣.

أمر يعدّه وبه يستعد لقبول الوجود، ومن بتوسّطه يصل إليه نور الوجود من عند الله تبارك وتعالى.

والمراد بالروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال، الظاهر أن تكون النفس النباتية في النطفة، فإنها في أول درجة النبات، وعبّر عن النفس الحيوانية بروح الحياة والبقاء، وهو دليل على بقاء النفوس الحيوانية وتجرّدها عن المادة، فهي باقية في النشأة الأخرى.

وقوله عليه السلام، في هذا الحديث، وتعبيره بالتردد في أربعين يومًا، دليل على الحركة الجوهرية ووقوع الحركة في الذاتيات كما هو الحق، وإن أنكره الشيخ الرئيس أشدّ الإنكار[1].

قال صلوات الله عليه: «ثم أخرجتني[2] إلى الدنيا تامًّا سويًّا، وحفظتني في المهد طفلاً صبيًّا، ورزقتني من الغذاء لبنًا مريئًا، وعطفت عليّ قلوب الحواضن، وكفّلتني الأمّهات الرحائم، وكلأتني من طوارق الجانّ، وسلّمتني من الزيادة والنُّقصان، فتعاليت يا رحيم يا رحمن».

التمام: مقابل النقصان، سواء كان في الأعضاء أم في القوى، وسواء كان في القوى الظاهرية كالسمع والبصر، أم في القوى الباطنية كالمتخيّلة والحافظة والخيال.

والتمام في الخلقة من أجل نعمائه وأول آلائه، ولذا أكّده عليه السلام بذكره ثانيًا بقوله: وسلّمتني من الزيادة والنقصان. ولذا روي عن مولانا سيد الساجدين صلوات الله عليه أنه إذا بُشّر بمولود ولد له سأل أولاً عن سلامته من الزيادة والنقصان، فإذا بُشّر بها أخذ في تسميته والأذان والإقامة في أذنيه، ويعمل الله السُّنن[3].

وكما أن النقصان من الخلقة عيب فكذا الزيادة عليها، فإن الزيادة مشوّهة للصورة ومقبّحة للهيئة، لمخالفتها للعادة.

وأما كلاءتها من طوارق الجانّ، - والمراد بالجانّ هنا الأعم من الشياطين -، فإنه

---

(١) النجاة/٢٠٥، أنظر الحركة الجوهرية في: الحكمة المتعالية ٣/٧٨ و ١٠١.
(٢) في: البلد الأمين/٢٥١: ثم أخرجتني للذي سبق لي من الهدى إلى الدنيا.
(٣) وسائل الشيعة ١٥/١٤٣، باختلاف.

لضعف المولود حين يَمَسّه الجانّ والشيطان، ويصيبه ما يصيبه. ففي المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: «ما من مولود إلا والشيطان يمسّه حين يولد، فيستهلّ منه صارخًا، إلا مريم وابنها»[1].

ولعلّ السر في عدم مسّ الشيطان مريم وذريتها إعاذة أم مريم إياها وذريتها بالله من الشيطان الرجيم. ولعل السرّ في تشريع غسل المولود والأمر به هو تطهيره مما أصابه من مسّ الشيطان، والحكمة في الأمر بالأذان والإقامة في أذني المولود هو عصمته من الشيطان كما روي مرفوعًا عن النبي صلى الله عليه وآله[2].

وكما أعاذت أُمّ مريم، مريم وذريتها من الشيطان الرجيم واستجاب الله دعاءها،كذلك أعاذ النبي صلى الله عليه وآله صاحب هذا الدعاء حين ولادته، وقال: «اللهم إنّي أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم»[3]، ولعله السر في قوله تبارك وتعالى، في حق يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[4]؛ لأن يوم الولادة كمال الوحشة.بمسّ الشيطان للمولود، ويوم الموت كمال همّ الشيطان أن يوسوس المحتضر، ويشكّكه في اعتقاداته حتى لا يموت مسلمًا، ويخرج من الدنيا كافرًا. ولما كان خطره عظيمًا سأل يوسف الصدّيق السلامة وقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[5]. وأما يوم البعث فيوم ظهور الحقائق ومحو القشور والرقائق، ففيه كمال الوحشة.

فعن مولانا الرضا صلوات الله عليه: «إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يُولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيرى الآخرة وأهلها، ويوم يُبعث فيرى أحكامًا لم يرها في دار الدنيا»[6].

---

(١) مجمع البيان ١/٤٣٥ في تفسير سورة آل عمران، آية ٣٦: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

(٢) بحار الأنوار ١٠٤/١٢٦.

(٣) نفس المصدر ٤٣/٢٥٦، وفيه: «ولده» بدل «ذريته».

(٤) سورة مريم، آية ١٥.

(٥) سورة يوسف، آية ١٠١.

(٦) الخصال ١/١٠٧.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يعوّذ الحسنين بالمعوّذتين كثيرًا، ويتفاءل عليهما[1]. ومن كثرة عوذة النبي إياهما بالمعوّذتين، قال ابن مسعود: «إنّ المعوّذتين عوذتان للحسن والحسين[2]، وليستا من القرآن»[3].

والمريء: الهنيء، يقال: مَرَأَ الطعام يمْرَأ فهو مريء؛ أي هنيء حميد المغبّة[4]. واللبن كذلك، فإنّه صالح لأغلب الأمزجة، ولا يغصّ شاربه منه وسائغٌ للشاربين. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يغصّ أحد بشرب اللبن، لأن الله عز وجل قال: ﴿لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾»[5].

واعلم أنه قد ورد في الأخبار المتظافرة أن صاحب هذا الدعاء عليه السلام لم يرتضع من ثدي أحد، لا من ثدي أمه صلوات الله عليها ولا من ثدي غيرها، وكان غذاؤه من لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو إبهامه.

فقد روى الكلينيّ، في حديث طويل، «أنه عليه السلام لم يرتضع من فاطمة عليها السلام، ولا من أنثى، كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيضع إبهامه في فيه، فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنميت لحمه من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ودمه»[6].

وفي الكافي في رواية عن أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه: «إن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كان يؤتى به الحسين سلام الله عليه، فيُلْقِمه لسانه فيمصّه فيجتزئ به، ولم يرتضع من أنثى»[7].

---

(١) بحار الأنوار ٢٨٢/٤٣.
(٢) «ب»: للحسنين.
(٣) الدر المنثور ٤١٦/٦. وعن القمّي، في تفسير المعوّذتين، عن الباقر عليه السلام، قيل له: إنّ ابن مسعود كان يمحو المعوّذتين من المصحف، فقال: كان أبي يقول: إنما فعل ذلك ابن مسعود برأيه، وهما من القرآن. (تفسير القمي ٤٥٠/٢، بحار الأنوار ٢٨٢/٤٣).
(٤) كما في: لسان العرب ١٥٥/١. المغبّة بمعنى العاقبة.
(٥) بحار الأنوار ١١٠/٦، سفينة البحار ٥٠٤/٢، والآية في سورة النحل، آية ٦٦.
(٦) أصول الكافي ٤٦٤/١ - ٤٦٥.
(٧) أصول الكافي، ٤٦٤/١ - ٤٦٥.

وفي خبر عن أبي الفضل بن خيرانة اعتلّت فاطمة عليها السلام لمّا ولدت الحسين وجفّ لبنها، فطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مرضعًا فلم يجد، فكان يأتيه ويلقمه إبهامه يمصّها، ويجعل الله تعالى له في إبهام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم رزقًا يغذوه. ويقال: بل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدخل لسانه في فيه فيغرّه كما يغرّ الطير فرخه، فيجعل الله تبارك وتعالى في ذلك رزقًا، ففعل ذلك أربعين يومًا وليلة، فنبت لحمه من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

والظاهر أن ما في هذا الخبر من أنّ النبي صلى الله عليه وآله طلب مرضعًا للحسين غير صحيح. ولم يكن عدم إرضاع فاطمة سلام الله عليها لجفاف لبنها واعتلالها، بل كان عدم إرضاعها لنهي النبي صلى الله عليه وآله عنه، ليكون غذاؤه وتربيته وتنميته من لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بلا واسطة.

كما روي في المناقب عن برّة ابنة أُمية الخزاعي قالت: لما حملت فاطمة بالحسن عليه السلام خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض وجوهه، فقال لها: «إنّك ستلدين غلامًا قد هنّأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتى أُصير إليك»، قالت برّة: فدخلت على فاطمة حين ولدت الحسن، وله ثلاث، ما أرضعته، فقلت لها: أعطينيه حتى أرضعه، فقالت: «كلا». ثم أدركتْها رقة الأُمّهات فأرضعته. فلمّا جاء النبي صلى الله عليه وآله قال لها: «ماذا صنعت؟» قالت له: «أدركتني رقة الأُمّهات، فأرضعته»، فقال: «أبى الله عزّ وجل إلا ما أراد». فلمّا حملت بالحسين عليه السلام قال لها: «يا فاطمة، إنك ستلدين غلامًا قد هنّأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتى أجيء إليك، ولو أقمت شهرًا». قالت: «أفعل ذلك». فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في بعض وجوهه، وولدت فاطمة حسينًا، فما أرضعته حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، فقال لها: «ماذا صنعت؟» قالت: «ما أرضعته». فأخذه وجعل لسانه في فمه، فجعل الحسين عليه السلام يمصّه، حتى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: «إيْهاً حسين، إيْهاً حسين! ثم قال: أبى الله إلا ما يريد، هي فيك

(١) المناقب ٤/٥٠.

وفي ولدك، يعني الإمامة»[1].

ومن هذا الحديث الشريف يستفاد أن في شرب لُعاب فم رسول الله ومصّ لسانه وكون أوّل غذاء المولود ذلك، له دخل في صيرورته إمامًا وحجة على الخلق من عند الله. وأمّا مخالفة الصدِّيقة الطاهرة المعصومة لنهي رسول الله صلى الله عليه وآله، فلعلّ نهيه كان نهي تنزيه كنهي آدم عن أكل الشجرة، فحملتها الرقة على ولدها بعد ثلاثة أيام أن ترضعه.

وفي الأمالي بإسناده عن صفية بنت عبد المطلب، قالت: لمّا سقط الحسين عليه السلام من بطن أمه، فدفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسانه في فيه، وأقبل الحسين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله يمصّه. قالت: فما كنت أحسب رسول الله يغذوه إلا لبنًا أو عسلاً[2].

وبالجملة، فالمستفاد من هذه الأخبار المتظافرة أنه عليه السلام لم يرتضع من ثدي أحد[3]، ولنعم ما قال السيد بحر العلوم قدّس سرّه في مراثيه:

لله مُرْتَضَعٌ لم يرتضع أبداً ... من ثدي أنثى، ومنْ طه مراضِعُهُ[4]

وهو لا ينافي ما ذكره في هذا الدعاء، فإنه عليه السلام قال: «ورزقتني من الغذاء لبنًا مريئًا» ولم يقل: من ثدي امرأة فلعل ما يغتذيه من لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يتحوّل وينقلب إلى اللبن، كما قالت صفية: ما كنت أحسب رسول الله يغذوه إلا لبنًا أو عسلاً.

وأما ما نقل: أن عبد الله بن يقْطُر الذي بعثه الحسين بكتابه إلى أهل الكوفة كان أخاه من الرضاعة فهو لا ينافي ذلك، فلعلّ بعض أزواج أمير المؤمنين عليه السلام أو الصدّيقة أرضعت عبد الله بن يقطُر[5].

---

(١) المناقب ٤/٥٠.
(٢) الأمالي للصدوق/١١٧.
(٣) أصول الكافي ١/٤٦٥.
(٤) العقود الاثنا عشر في رثاء سادات البشر. مجلة تراثنا، العدد ١٠، ص ٢١٣.
(٥) المناقب ٤/٣٩٠، الإرشاد للمفيد ٢/٧٠.

والحواضن: جمع الحاضن والحاضنة والحِضْن لغة: هو ما دون الكشْح، يقال: حَضَن الطائر فرخه إذا ضمه إلى نفسه، وهو كناية عن التربية. ومربّيه عليه السلام كان أولاً رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أبوه أمير المؤمنين سلام الله عليه، وعطوفتهما ومحبتهما بالنسبة إليه كانت فوق العادة وبلا نهاية. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يعتنقه ويقبّله مع أخيه الحسن، ويقول: «اللهم إني أحبّهما وأحبّ من يحبّهما»[1].

ومن فرط حبه لهما، ما رواه سفيان بن عُيَيْنة وغيره: أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بكاءهما، وهو على المنبر، فقام فزعًا وقطع موعظته، وقال: «أيها الناس، لقد قمت إليهما وما أعقل»[2].

وهذا الحديث يدل على أن محبته لهما كانت بلا نهاية، بحيث إن النبي صلى الله عليه وآله، – مع عظم شأنه وعلوّ مكانه –، لا يمكنه ولا يقدر على أن يصبر ويسمع بكاءهما.

وفي كامل الزيارة بسنده عن علي عليه السلام، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول: «يا علي، لقد أذهلني هذان الغلامان، – يعني الحسن والحسين –، أن أحبّ بعدهما أحدًا أبدًا. إنّ ربّي أمرني أن أحبهما وأحب من يحبهما»[3].

وإن شئت أن تعرف أن حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم له [كان] بلا نهاية ولا غاية، فانظر على أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ابنه منحصرًا في إبراهيم ولم يكن له ابن سواه، وكان يحبّه حبًّا شديدًا، وكان يجلسه على فخذه الأيسر، ويجلس الحسين على فخذه الأيمن، ويقبّلهما ويشمّهما وهو في غاية السرور بهما، فهبط جبرئيل فقال: «يا محمد، إن ربّك يقرأ عليك السلام ويقول: لستُ أجمعهما لك، فأفْدِ أحدهما لصاحبه». فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) المناقب ٣/٣٨٢، بحار الأنوار ٤٣/ ٢٧٥.
(٢) المناقب ٣/٣٨٥، بحار الأنوار ٤٣/٢٨٤.
(٣) كامل الزيارات/ ٥٠.

وسلّم إلى إبراهيم فبكى، ونظر إلى الحسين عليه السلام فبكى، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: «يقبض إبراهيم فديةً للحسين». وقبض بعد ثلاث، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك إذا رأى الحسين عليه السلام مقبلاً قبّله وضمّه إلى صدره ورشف ثناياه، وقال: «فديتُ منْ فديْتُه بابني إبراهيم»[1].

وكذلك حب أمير المؤمنين عليه السلام له ولأخيه الحسن صلوات الله عليهما كان في نهاية الشدة وغايتها، وكان إذا رآهما قدما لقتال الأعداء يؤخّرهما ويقدم بنفسه، ومن كلامه في يوم صفّين مخاطبًا لعسكره وجنده: «املكوا عني هذين الغلامين، لئلا ينقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله»[2]. وكان يقيهما في الحروب بنفسه.

وأما عطوفة حاضنته ومحبّتها، وهي أمه الصدّيقة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها، فكانت في كمال الشدة ونهاية القوة، بحيث إذا غاب عنها ساعة اضطربت وبكت، ولم تصبر على فراقه[3].

كما روي عن عبد الله بن عباس في وقعة حديقة بني النجار، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إذ أقبلت فاطمة تبكي، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: «ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله، إن الحسن والحسين خرجا، فوالله ما أدري أين سلكا، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: لا تبكين فداك أبوك، فإن الله تعالى خلقهما وهو أرحم بهما»[4].

ومن فرط محبتها أوصت إلى علي عليه السلام أن لا يصيح صيحة في وجه الحسن والحسين عليهما السلام، مع ما عرفتْ من كمال محبة أمير المؤمنين سلام الله عليه لهما، وأنشأتْ صلوات الله عليها:

ابْكِي إن بكيتَ يا خير هادي ... واسبل الدمع فهو يوم الفراق

---

(١) المناقب ٤/٨١.
(٢) نهج البلاغة/٣٢٣، الحكمة/٢٠٧.
(٣) «ب» إذا غابت عنهما... على فراقهما.
(٤) بحار الأنوار ٤٣/٣٠٢.

يا قرين البتول أوصيك بالنسلِ فقد أصبحا حليفا اشتياق

وابكني وابكِ للبتامى ولا تنسَ قتيل العدى بطفّ العراق[1]

ومن فرط عطوفتها ومحبتها لهما أنها بعدما أُدرجت في الكفن، وجاء الحسن والحسين ليودّعا أو يتزوّدا منها، أنّت وحنّت، ومدّت يديها وضمّتهما إلى صدرها مليًّا، ولم ترفع يديها عنهما حتى سمع أمير المؤمنين هاتفًا من السماء يهتف وينادي: «يا أبا الحسن، ارفعهما عنها فلقد أبكيا والله ملائكة السماوات»[2].

ومن حواضنه أم أيمن، وقد رأت في المنام أنّ بعض أجزاء جسد رسول الله ألقي في بيتها، فهالت من هذه الرؤيا، فما زالت بعد هذه الرؤيا باكية تمام الليل حتى شكى جيرانُها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وقالوا: يا رسول الله، إنّ أمّ أيمن لم تنم البارحة من البكاء، فدعا أم أيمن وقال لها: «إن الرؤيا ليست كما رأيت، إنّ فاطمة تلد حسينًا وأنت تربّيه، فيكون بعض أعضائي في بيتك، وفي اليوم السابع من ولادته هيّأته[3] أمّ أيمن، ولفته في بُرد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأقبلت به إلى رسول الله، فقال: مرحبًا بالحامل والمحمول، يا أمّ أيمن هذا تأويل رؤياك»[4]، وكانت شديدة الحب للحسين.

ومن جملة حواضنه صفية [5] عمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت في كمال المحبة للحسين عليه السلام.

قال صلوات الله عليه: «حتى إذا استهللت ناطقًا بالكلام، أتممتَ عليَّ سوابغ الإنعام، فربّيتني زائدًا في كل عام، حتى أكملتَ فطرتي، واعتدلتَ سريرتي».

الاستهلال: هو إظهار صوت الصبي عند الولادة، وأصله من الإهلال الذي هو

(١) بحار الأنوار/١٧٨.
(٢) المصدر نفسه/١٧٩.
(٣) «ب»: هنأته.
(٤) المناقب ٤/٧٠، بحار الأنوار ٤٣/٢٤٢- ٢٤٣.
(٥) بحار الأنوار ٤٣/٢٤٣.

بمعنى رفع الصوت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ...﴾[1].

والنطق: هو التكلّم بكلام وحروف تعرف بها المعاني، كما في القاموسة[2]. وهو معناه في العرف. ولا يقال لصوت المولود عند الولادة واستهلاله نطقًا، فهذه الفقرة من الدعاء صريحة في أنّ استهلاله عليه السلام عند الولادة كان نطقًا وكلامًا مفهِمًا.

[فيما قال الإمام عليه السلام إذا وقع على الأرض من بطن أمّه]

كما ورد في الأخبار المتظافرة في أوصاف الإمام أنه إذا وقع من بطن أمّه يضع يده على الأرض ويرفع رأسه إلى السماء[3]، كما في بصائر الدرجات عن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام، قال سليمان: قلت له: جعلت فداك، ولِمَ ذلك؟ قال: «لأن مناديًا يناديه من جوّ السماء، من بطنان العرش من الأفق الأعلى: يا فلان بن فلان، أثبت فإنك صفوتي من خلقي وعيبة علمي، ولك ولمن تولاّك أوجبت رحمتي، ومنحتُ جناني، وأحللّك جواري ثم وعزتي وجلالي، لأصلينّ من عاداك أشدّ عذابي، وإن وسّعت عليهم في دنياي من سعة رزقي، قال عليه السلام: فإذا انقضى صوت المنادي أجابه هو: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4] فإذا قالها أعطاه الله العلم الأول والآخر، واستحقّ زيادة الروح في ليلة القدر»[5].

وفي رواية أخرى طويلة، في ولادة مولانا موسى بن جعفر، سلام الله عليهما: «إنّ مناديًا ناداه من بِطْنان العرش، من قِبَل ربّ العزّة من الأفق الأعلى: يا موسى بن

(١) سورة البقرة، آية ١٧٣.
(٢) قاموس اللغة ٣/٢٩٥. وفيه: «بصوت» بدل «بكلام».
(٣) أصول الكافي ١/٣٨٦.
(٤) سورة آل عمران، آية ١٨.
(٥) بصائر الدرجات/٤٤١- ٤٤٠. والحديث بتمامه في: أصول الكافي ١/٣٨٥.

جعفر، أثبت مليًّا لعظيم خلقتك...»[1] إلى آخر الرواية الأولى.

وقد ورد في عدّة روايات أن أمير المؤمنين لمّا دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم اهتز له فرحًا، وضحك في وجهه، وقال: «السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم تنحنح وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، وقرأ تمام الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: أنت والله أميرهم تميرهم من علومهم فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون»[3].

وبالجملة، فاستهلاله عليه السلام ليس كاستهلال سائر الصبيان وهو مجرّد رفع الصوت، بل استهلاله بكونه ناطقًا وقراءته آيات الله تبارك وتعالى.

ولما كان النطق من أعظم نعم الله تبارك وتعالى على الإنسان، ومن خواصّ الإنسان من بين الحيوانات، ذكره أولاً من جملة نعم الله الذي يذكرها في هذا الدعاء، وكذا ذكره الله تعالى أول نعمة بعد خلقه، وقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[4] ولذا قيل: إنما المرء بأصغَرَيه[5]. ولنعم ما قيل:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده ولم يُبْقَ إلا صورة اللحم والدم

قال بعض الحكماء: من عِظَم حكمة الله تبارك وتعالى إحداثه الموضوعات اللغوية، والداعي إلى ذلك أنّ الإنسان مفتقر في المعيشة الدنياوية إلى مشاركة ومعاونة من بني نوعه، فإنّ الواحد من الإنسان لو تفرّد في وجوده عن أفراد نوعه، ولم يكن في الوجود إلا هو والأمور الموجودة في الطبيعة لهلك سريعًا، وساءت معيشته، لحاجته في معيشته، إلى أمور زائدة على ما في الطبيعة، مثل الغذاء المعمول، والملبوس المصنوع، فإن الأغذية الطبيعية غير صالحة لاغتذائه، والملابس الطبيعية

---

(١) بصائر الدرجات ٤٤١ – ٤٤٢، المحاسن للبرقي/٣١٤– ٣١٥.
(٢) سورة المؤمنون، ١– ١١.
(٣) البرهان في تفسير القرآن ٣/١٠٨.
(٤) سورة الرحمن، آية ٣، ٤.
(٥) المنجد (فوائد الأدب)/١٠٠٨.

أيضًا لا تصلح له إلا بعد صيرورتها صناعية بأعمال إرادية، فلذلك يحتاج إلى تعلّم بعض الصناعات حتى تحسن معيشته، والشخص الواحد لا يمكنه القيام بمجموع تلك الصناعات، بل لا بدّ من مشاركة ومعاونة بين جماعة حتى يخبز هذا لذاك، وينسج هذا [لذاك]، وينقل هذا لذاك، ويعطيه بإزاء عمله أجره؛ فلهذه الأسباب وأمثالها يحتاج الإنسان في المعاملات وغيرها أن يكون له قوة، لأن يُعلِم الآخر الذي هو شريكه بما في نفسه بعلامةٍ وضعية. وأصلح الأشياء لذلك هو الصوت، لأنه يتشعّب إلى حروف، يتركّب منها تراكيب كثيرة من غير مؤنة تلحق البدن.

والصوت من الأمور الضرورية للإنسان لتنفّسه المضطر إليه في ترويح حرارة القلب. وأيضًا، الهيئات الصوتية لا تثبت ولا تدوم فيؤمن وقوف من لا يحتاج إلى شعوره عليه.

وبعد الصوت في صلاحية أمر الإعلام هي الإشارة، إلا أنه أدلّ منها لأنها لا ترشد إلا من حيث يقع عليه البصر، وذلك أيضًا من جهة مخصوصة. ويحتاج المعلّم إلى أن يحرّك حَدَقته إلى جهة مخصوصة حركاتٍ كثيرة يراعي بها الإشارة. ففائدة الإشارة أقلّ، ومؤنتها أكثر. وأما الصوت فليس كذلك، فلا جرم قد تقرّر الاصطلاح على التعريف لما في النفس بالعبارة، فجعلت الطبيعة للنفس أن يؤلّف من الأصوات ما يتوصّل به إلى تعريف الغير.

ولقد أجاد فيما أفاد ذلك الحكيم قدّس سرّه، خصوصًا فيما ذكر أن الطبيعة للنفس أن يؤلّف من الأصوات ما يتوصّل به إلى تعريف الغير، فجعل وضع اللغة أمرًا طبيعيًّا للنفس، وهو كذلك، وواضع كونه غريزيًّا فما ذكر بعض أهل العلم من أنّ واضع اللغات بشر حكيم من الحكماء واضح الفساد. وأما ما ذكره بعض آخر من أهل العلم من أن الواضع لجميع اللغات هو الله تبارك وتعالى – مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾[1]، ففي المجمع عن الصادق عليه السلام أنه سُئل: ماذا

(١) سورة البقرة، آية ٣١.

علّمه؟ قال: «الأرضين والجبال»[1]. وفي تفسير القميّ: «أسماء الجبال والشِّعاب[2] والأودية»[3]. فإن أراد من كون الله تعالى واضعًا أن تعليم اللغة من عند الله، فإنّه تبارك وتعالى جعل طبيعة الإنسان وغريزته بأن يعبّر عمّا في نفسه بالألفاظ، ويجعل هذه الألفاظ علامة ودلالة على المعنى الذي في نفسه، فصحيح وواضح أنه أمر طبيعي غريزي. وإن أراد أنّ الله تبارك وتعالى وضع الألفاظ، باشر وضعها بنفسه فغلط، وما قدر الله حق قدره. وليس المراد من الآية الشريفة تعليم اللغات والألفاظ فقط، فإنه ليس بعلم يفتخر به على الملائكة ويتفضّل به عليهم، بل المراد حقائق الأشياء وملكوتها الذي يعبّر عنها بأرباب الأنواع عند طائفة[4]، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ...﴾[5]، عبّر بضمير ذوي العقول. فلو كان المراد هذه الألفاظ واللغات لقال: «ثم عرضها» لا «ثم عرضهم».

وأما قوله عليه السلام: «فربيتني زائدًا في كل عام».

فالمراد بالزيادة في الخلقة والبدن، والزيادة في السر والمعرفة، فإن للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم وللأئمة عليهم السلام شؤونًا وأطوارًا ومقامات وحالات. ففي مقام نورانيتهم وبدو أنوارهم ليس فيهم شائبة نقص حتى يزدادوا، بل كل كمال وجمال يمكن في حقهم حاصل بالفعل، وليست لهم حالة منتظرة خلقهم الله أنوارًا مُحدقين بعرشه، وبتسبيحهم وتهليلهم وتكبيرهم عرفت الملائكة التسبيح والتكبير والتهليل والتمجيد[6].

روى الكلينيّ قدّس سره، بسنده عن محمد بن سنان، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني سلام الله عليه، فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا محمد، إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّدًا بوحدانيته، ثم خلق محمدًا وعليًّا وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهم،

---

(١) مجمع البيان ١/٧٦ مع زيادة.
(٢) في: المصدر السابق: «البحار» بدل «الشعاب».
(٣) تفسير القمي ١/٤٥.
(٤) أنظر سائر الأقوال هنا في تفسير الصافي ١/٧٤.
(٥) سورة البقرة، آية ٣١.
(٦) أنظر: بحار الأنوار ١٥/٨.

فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمورها إليهم، فهم يُحلّون ما يشاؤون [ويحرّمون ما يشاؤون][1]، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى ثم قال: يا محمد، هذه الديانة التي من تقدّمها مَرَق، ومن تخلّف عنها مُحِق، ومن لزمها لَحِق، خُذْها إليك يا محمد».

وهذا الحديث رواه فضل بن محمود الفارسي بعينه، ولكن بعد، «وفوّض أمر الأشياء إليهم [هكذا]: في الحكم والتصرّف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق، لأنهم الولاة، فلهم الأمر والولاية والهداية. فهم أبوابه ونوّابه وحجّابه، يحلّلون ما شاؤوا، ويحرّمون ما شاؤوا، ولا يفعلون إلا ما شاء الله. عبادٌ مكْرَمون لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، فهذه الديانة التي من تقدّمها غرق في بحر الإفراط، ومن نقصهم عن هذه المراتب التي رتّبهم الله فيها زهق في بر التفريط، ولم يوفِّ آل محمد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم. ثمّ قال: خذها يا محمد، فإنها من مخزون العلم ومكنونه»[2].

وأما في نشأتهم الدنيوية فيحتاجون إلى الازدياد، فإنّ الدنيا دار ضيق وضَنْك، ولا يمكن أن تظهر فيها حقائق المعلومات التي لا يمكن حصرها دفعة واحدة، ولن يسع الوجود الدنيوي أنوارًا غير متناهية دفعةً واحدة، ولا تطيق ولا تثبت، ولعله معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[3] فإن تحمّل القرآن دفعة وجملة واحدة غير مقدور للهيكل البشريّ، فلا بدّ أن يتحمّل شيئًا فشيئًا، ومع ذلك إذا نزل القرآن والوحي تغيّر حال النبي صلى الله عليه وآله، وكَرُب، وتربّد وجهه ونكس رأسه الشريف، وينكس أصحابه رؤوسهم، وكان إذا نزل الوحي وجد منه ألمًا شديدًا، ويتصدّع رأسه ويجد ثقلاً.

وروي أنه كان ينزل عليه الوحي في يوم شديد البرد فيفصم عنه، وأنّ جبينه

(١) أصول الكافي ١/٤٤١.
(٢) بحار الأنوار ٢٥/٣٣٩.
(٣) سورة الفرقان، آية ٣٢.

ليرفضّ عَرَقاً[1] ولذا يقال: بُرَحاء الوحي[2] وهو شدة الكرب من ثقل الوحي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[3].

وروي عن أبي أروى [الدوسي][4] قال: رأيت الوحي ينزل على رسول الله وإنه على راحلته، فترغو وتنقل يديها، حتى أظنّ أنّ ذراعها ينفصم، فربما بَرَكت ووضعت جِرانها على الأرض ولا تستطيع الحركة[5]. فإذا كان حاله في تحمّل بعض القرآن هذا، فكيف يمكن تحمّله جملة واحدة؟!

ولذا ورد في الأخبار الكثيرة المتظافرة لو لم تكن متواترة: «إن الأئمة عليهم السلام يزدادون في العلم، ولو لم يزدادوا في العلم لنفد ما عندهم من العلم»[6].

ففي بصائر الدرجات بسنده عن أبي بصير، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّا لنزداد في الليل والنهار، ولو لم نزدد لنفد ما عندنا»، قال أبو بصير: جعلت فداك، من يأتيكم به؟ قال: «إنّ منّا من يعاين، وإنّ منّا لمن يُنْقر في قلبه كيْت وكيت، ومنّا من يسمع بأذنه وَقْعًا كوقع السلسلة في الطست»، فقال أبو بصير: من الذي يأتيكم بذلك؟ قال: «خلقٌ أعظم من جبرائيل وميكائيل»[7].

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إنّ لنا في كل ليلة جمعة وَفْدة إلى ربنا، فلا تنزّل إلا بعلمٍ مُستطرَف»[8].

وفي خبر آخر عن يونس بن أبي فضل[9]، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما من ليلة جمعة إلا ولأولياء الله فيها سرور». قلت: جعلت فداك، كيف ذاك؟ قال:

---

(١) مجمع البيان ٥/٣٧٨، نور الثقلين ٥/٤٤٧.
(٢) لسان العرب ٢/٤١٠.
(٣) سورة المزمّل، آية ٥.
(٤) أضفناه عن المصدر، أنظر ترجمته في: أسد الغابة ٥/١٣٤.
(٥) بحار الأنوار ١٨/٢٦٤ مع اختلاف.
(٦) أصول الكافي ١/٢٥٣- ٢٥٤، بصائر الدرجات/٣٩٥.
(٧) بصائر الدرجات/٣٩٥ و ٢٣١.
(٨) المصدر نفسه/١٣١.
(٩) أصول الكافي ١/٢٥٤، عن يونس أو المفضّل بدل: يونس بن أبي فضل.

«إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش، ووافى الأئمة العرش ووافيت معهم، فما أرجع إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا»[1].

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر عليه السلام، عن أبيه صلوات الله عليه أنه قال: «والله، إنّ أرواحنا وأرواح النبيّين لتُوافى العرش كل ليلة جمعة، فما تردّ في أبداننا إلا بجمّ الغفير من العلم»[2].

وفي خبر آخر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: إنّ أرواحنا وأرواح النبيّين توافي العرش كل ليلة جمعة، فتصبح الأوصياء وقد زِيدَ في علمهم مثل جمّ الغفير من العلم»[3].

وفي رواية عن صفوان بن يحيى، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «كان جعفر بن محمد عليه السلام يقول: لولا أنّا نزداد لأنفَدْنا»[4].

وفي رواية أنه سئل أبو عبد الله عليه السلام: كيف يزداد الإمام؟ فقال: «منّا من يُنْكَت في أُذُنه نكْتاً، ومنا من يُقْذف في قلبه قذفًا، ومنّا من يُخاطب»[5].

وفي رواية عن أبي بصير: قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنا لنزداد في الليل والنهار، ولو لم نزدَد لَنفِد ما عندنا». قال أبو بصير: جعلت فداك، من يأتيكم به؟ قال: «إنّ منّا من يعاين، وإنّ منّا لَمن يُنْقر في قلبه كَيْت وكيْت، ومنّا من يسمع بأُذنه وقعًا كوقع السلسلة في الطست»، فقال أبو بصير: من الذي يأتيكم بذلك؟ قال: «خلقٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل»[6].

وبالجملة، فازديادهم في العلم والجسم في كلّ يوم وليلة واضح، وتربية الله وتكميله لهم في كل عام لائح.

---

(١) أصول الكافي/٣٥٤.
(٢) بصائر الدرجات/١٣٢.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) أصول الكافي ١/٢٥٤، بصائر الدرجات/٣٩٥.
(٥) بصائر الدرجات/٢٣٢ - ٢٣١.
(٦) المصدر نفسه.

قال صلوات الله عليه: «أوجبت عليّ بأن ألهمْتني معرفتك، وروّعتني بعجائب فطرتك، وأنطقتني لما ذرأتَ في سمائك وأرضك من بدائع خلقك».

يستفاد منه أنّ الحجة لله على الخلق لا تتمّ إلا بعد إلهام وتعريف من عند الله تبارك وتعالى، وهو كذلك. فقد روي في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ الله احتجّ على الناس بما آتاهم وعرّفهم»[1].

وفي رواية أخرى رواها الكليني بسنده عن اليماني، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن أمر الله كله عجيب، إلا أنه قد احتجّ عليكم بما عرّفكم من نفسه»[2]. ومراده عليه السلام أنّ أمر الله من أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأفعاله كلّها عجب تتحيّر فيه العقول، ولا تدركه الفحول، فإنه بحر عميق لا يصل إلى قعره غوص الفكر، ولا يناله عقل البشر، ولكنّ الله تبارك وتعالى لم يطلب ولم يكلّف من الناس من معرفته ومعرفة أسمائه إلا بقدر ما عرّفهم من نفسه، فكلّ أحد يعبده ويدعوه بقدر عرفانه.

وفي رواية أخرى في الكافي بسنده عن محمد بن حكيم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المعرفة مِن صنع مَن هي؟ قال: «مِن صنع الله، ليس للعباد فيها صنع»[3].

وفي حديث آخر عن العِجْليّ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ليس لله على الخلق أن يعرفوا، وللخلق على الله أن يعرّفهم، ولله على الخلق إذا عرّفهم أن يقبلوا»[4].

وفي خبر آخر عن ابن الطيار عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: «أكتب، فأملى عليّ: إنّ من قولنا: إن الله يحتجّ على العباد بما آتاهم وعرّفهم، ثمّ أرسل إليهم رسولاً، وأنزل عليهم الكتاب، فأمر فيه ونهى، أمر فيه بالصلاة والصيام، فنام رسول

---

(١) أصول الكافي ١/١٦٢- ١٦٣.
(٢) أصول الكافي/٨٦.
(٣) المصدر نفسه/١٦٣. وانظر: التوحيد للصدوق/٤١٠.
(٤) أصول الكافي ١/١٦٤.

الله عن الصلاة فقال: أنا أنيمك وأوقظك، فإذا قمت فصلّ ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون، ليس كما يقولون: إذا نام عنها هلك. وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أصحّحك، فإذا شفيتك فاقْضه قال أبو عبد الله عليه السلام: وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحدًا في ضيق، ولم تجد أحداً إلا ولله عليه الحجة، ولله فيه المشية. ولا أقول إنهم ما شاءوا صنعوا. ثم قال: إنّ الله يهدي ويضلّ. قال: وما أُمروا إلا بدون سَعَتهم، وكل شيء أمر الناس به فهم يسعونه، وكل شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم، ولكنّ الناس لا خير فيهم. ثم تلا عليه السلام: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ فوضع عنهم: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾[1]، فوضع عنهم لأنهم لا يجدون[2].

وفي رواية عن صفوان، قال: قلت للعبد الصالح: هل في الناس استطاعة فيتعاطوا بها المعرفة؟ قال: «لا، إنما هو تطوّل من الله». قلت: أفلهم في المعرفة ثواب، إذا كان ليس فيهم ما يتعاطونه بمنزلة الركوع والسجود الذي أمروا به ففعلوه؟ قال: «لا إنّما هو تطوّل من الله، ويتطوّل بالثواب»[3].

وفي المحاسن بسنده عن عبد الأعلى مولى آل سالم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لم يكلّف الله العباد المعرفة، ولم يجعل الله لهم إليهم سبيلاً»[4]. وفيه أيضًا بسنده عن الحسن بن زياد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان، هل للعباد فيه صنع؟ قال: «لا، ولا كرامة، بل هو من الله وفضله»[5].

وبالجملة، فلا يمكن معرفة الله إلا بتعريفه وإلهامه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[6]. وفي الأدعية الواردة عن الأئمة: «بك عرفتك وأنت

(١) سورة التوبة، آية ٩١- ٩٢.
(٢) أصول الكافي ١/١٦٤.
(٣) بحار الأنوار ٧٨/٣٣٧- ٣٣٨ مع تفاوت يسير.
(٤) المحاسن للبرقي/١٩٨.
(٥) المصدر نفسه/١٩٩.
(٦) سورة الشمس، آية ٨.

دللتني عليك»[1].

قال الله تبارك وتعالى حكاية عن أصحاب الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[2].

[في الخوف والخشية من الله تعالى]

والروع هو الفزع والخوف والخشية. والعُجب والترويع هو التخويف والإعجاب، وكلا المعنيين صحيح، فإنّ الله تبارك وتعالى خوّف عباده من فرط رأفته ورحمته، قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[3] وكلّما كانت المعرفة بالله تعالى أكثر كان الخوف منه أشدّ، فالخوف من الله لازم لمعرفته. ولذا قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه، في دعائه في الصباح: «من ذا يعرف قدرك فلا يخافك؟ ومن ذا يعرف ما أنت فلا يهابُك؟».

ولما كانت معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم [أتمّ وأكمل قال:][4]، «إني أخشاكم لله وأتقاكم[5]. وقرأ صلّى الله عليه وآله آية من آيات السورة المباركة «الحاقة»، فصعق خوفًا وخشية[6].

و«كان جده خليل الرحمن يُغشى عليه من الخوف، ويُسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل، وينزل عليه جبرئيل ويقول: الجبّار يقرئك السلام، ويقول: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟ فيقول: يا جبرئيل، إنّي إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلّتي»[7].

---

(١) من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام، المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي.
(٢) سورة الأعراف، آية ٤٣.
(٣) سورة آل عمران، آية ٣٠.
(٤) ما بين المعقوفين أضفناه لتستقيم العبارة.
(٥) صحيح البخاري ٦/١١٦.
(٦) المحجة البيضاء ٧/٣٠٥.
(٧) ربيع الأبرار ١/٤٦٧، وانظر: حياة القلوب ١/١٣٤.

وكان إذا قام إلى الصلاة يسمع أزير قلبه خوفًا من الله[1]. وكان أخشى الناس وأتقاهم، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه، فإنّه لمّا نزلت هذه الآيات الخمس: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

كان علي عليه السلام بجنب النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، انتفض انتفاض العصفور، فقال له رسول الله: «ما لك يا علي؟ قال: عجبت من جرأتهم على الله وحلم الله تعالى عنهم، فمسحه رسول الله، ثم قال له: أبشر يا علي، فإنّه لا يحبّك منافق ولا يُبغضك مؤمن، ولولا أنت لم يعرف حزب الله وحزب الرسول»[3].

فانظر إلى شدة خوفه، فإنه بمجرّد سماع هذه الآيات ينتفض ويضطرب، بحيث إنّ رسول الله يضطرب ويقول: «ما لك يا علي؟»، وكان عليه السلام في الليالي يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: «آهٍ من قلّة الزاد وبُعْد السفر، ووحشة الطريق، وعِظم المَوْرِد»[4].

وروى الكليني قدّس سره بسنده عن الباقر عليه السلام أنه قال: «صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس صلاة الصبح، فلمّا انصرف وعَظَهم، فبكى وأبكاهم من خوف الله، ثم قال: أما والله لقد عهدت أقوامًا على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وإنّهم ليُصبحون ويُمسون شُعْثًا غُبْرًا خُمْصًا، بين أعينهم

(١) المحجة البيضاء ٧/٣٠٥.
(٢) سورة النمل، آية ٦٠-٦٤.
(٣) المناقب ٢/١٢٥.
(٤) بحار الأنوار ٤١/١٥-٢٣.

كَرُكَب المعز يَبيتون لربهم سُجّدًا وقيامًا، يُراوحون بين أقدامهم وجِباههم، يُناجون ربهم، ويسألون فَكاكَ رِقابهم من النار. والله لقد رأيتهم مع هذا، وهم خائفون مشفقون»[1].

وفي رواية أخرى بعد هذا: «كأن زفير النار في آذانهم، إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر، كأنّما القوم باتوا غافلين!... فما رئي ضاحكًا حتى ضربه اللعين ابن ملجم»[2].

وبالجملة، فخوفه وخشيته من الله بحيث لا يوصف، فإنه سلام الله عليه كان من شدة الخوف بحيث يغشى عليه وتطول غشيته، كما يظهر من حكاية أبي الدرداء المعروفة، فإنه بعد نقل مناجاته ودعائه يقول: «ثم بكى، فلم أسمع له حسًّا ولا حركة، فقلت في نفسي، غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، قال أبو الدرداء: فأتيته، فإذا هو كالخشبة المُلقاة، فحرّكته فلم يتحرّك، وزوَيْته فلم ينْزوِ؟ فقلت: إنا لله وإنّا إليه راجعون، مات والله علي ابن أبي طالب! فأتيت منزله مبادرًا أنعاه إلى أهله، فقالت فاطمة عليها السلام: ما كان من شأنه وقصته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت: هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله، يا أبا الدرداء. ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق ونظر إليّ وأنا أبكي، فقال: ممّ بكاؤك يا أبا الدرداء؟ فقلت: مما أراه تنزله بنفسك، فقال: يا أبا الدرداء، فكيف لي لو رأيتني ودعي بي للحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، وأحوشتني[3] ملائكة غلاظ شداد وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبّار، قد أسلمني الأحبّاء، لكنت أشدّ رحمة لي بين يدي من لا يخفى عليه خافية»[4].

ومن هذه الحكاية يظهر أن هذه الغشية من خشية الله كانت معتادة له عليه السلام، ويظهر أن غشيته عليه السلام كانت طويلة بقدر ذهاب أبي الدرداء،

---

(١) أصول الكافي ٢/٢٣٥- ٢٣٦.
(٢) المصدر نفسه. وفيه: «حتى قبض صلوات الله عليه» بدل «حتى ضربه...».
(٣) في المصدر: واحتوشتني.
(٤) المناقب ٢/١٢٤. وانظر: بحار الأنوار ٤١/١٢.

ومكالمته مع فاطمة الزهراء ومراجعته، ونضح الماء على وجهه المبارك.

وكذلك كان ولده الزكّي الحسن بن علي عليه السلام، إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه عز وجل، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممر على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله عز وجل شهق شهقة يغشى عليه منها[1].

ولمّا حضرته الوفاة كان يبكي، فقيل له: يا ابن رسول الله، أتبكي ومكانك من رسول الله الذي أنت، وقد قال رسول الله فيك ما قال، وقد حججتَ عشرين حجة ماشيًا، وقد قاسمتَ ربك مالك ثلاث مرات، حتى النعل بالنعل؟ فقال عليه السلام: إنما أبكي لخصلتين: لهول المطّلع وفراق الأحبة[2].

وأما خوف مولانا الحسين عليه السلام وخشيته لما كان في نهاية العظمة وغاية الشدة كان الله يُسليه ليذهب شدة خوفه، كما روي عن أنس أنه سايره، فأتى قبر جدته خديجة فبكى، ثم قال: إذهب عني قال: فاستخفيت عنه، فلمّا طال وقوفه في الصلاة سمعت قائلاً:

يا ربّ يا ربّ أنت مولاه	فارحم عبيداً إليك ملجاه
يا ذا المعالي عليك معتمدي	طوبى لمن كنت أنت مولاه
طوبى لمن كان خائفاً أرقاً	يشكو إلى ذي الجلال بلواه
وما به علةٌ ولا سقم	أكثر من حبه لمولاه
إذا اشتكى بثه وغصته	أجابه الله ثم لباه
إذا ابتلى بالظلام مبتهلاً	أكرمه الله ثم ناداه
لبيك عبدي، وأنت في كنفي	وكلُّ ما قلت قد علمناه
صوتك يشتاقه ملائكتي	فحسبك الصوت قد سمعناه

(١) بحار الأنوار ٣٣١/٤٣، انظر: المناقب ١٤/٤.
(٢) بحار الأنوار ٣٣٢/٤٣.

دُعاكَ عندي يجول في حجب ... فحسبك الستر قد سترناه

سلني بلا رعبةٍ ولا رهبٍ ... ولا حساب، إنّي أنا الله[1]

وكذلك سيد الساجدين وزين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، كان من شدة خوفه وخشيته يغشى عليه، كما حكى طاووس اليماني، قال: رأيت علي بن الحسين عليه السلام، يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فلمّا لم ير أحدًا رمق السماء بطرفه وقال: «إلهي، غارت نجوم سمائك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتّحات للسائلين. جئتك لتغفر لي وترحمني، وتُريَني وجه جدي محمد صلى الله عليه وآله في عرصات القيامة. ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك وأنا بك شاكّ، وبِنَكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانني على ذلك سترك المُرْخى به عليّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إن أنت قطعت حبلك عنّي؟ فواسوأتاه غدًا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفّين جوزوا وللمثقلين حطّوا! أمع المخفّين أجوز أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلّما طال عمري كثر ذنبي ولم أتُبْ، أما آن لي أن أستحيي من ربّي؟ ثم بكى وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي، ثم أين محبتي؟

أتيت بأعمال قِباح رديّة ... وما في الورى خلق جنى كجنايتي!

ثم بكى وقال: سبحانك، تعصى كأنك لا ترى، وتحلم كأنّك لم تعص! تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأنّ بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغنيّ عنهم ثم خرّ إلى الأرض ساجدًا». قال طاووس: فدنوت منه وشُلْتُ برأسه، ووضعته على ركبتي، وبكيت حتى جرت دموعي على وجهه، فاستوى جالسًا، وقال: «من الذي أشغلني عن ذكر ربي؟»، فقلت: أنا طاووس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا، ونحن عاصون وجافون، وأبوك الحسين بن علي عليهما السلام، وأمّك فاطمة الزهراء، وجدّك رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) المناقب ٤/٦٩.

وسلّم؟ قال: «فالتفت إليّ، وقال: هيهات هيهات يا طاووس دعْ عني حديث أبي وأمّي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبدًا حبشيًّا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولدًا قرشيًّا، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾[1].

وبالجملة، إذا نظرت إلى الأدعية المنقولة، - خصوصًا دعاءه في أسحار شهر رمضان الذي رواه أبو حمزة -، وتأمّلت صحيفته المباركة تعرف أن خوفه وخشيته من الله بحيث لا يمكن أن يحدّ، وكذلك سائر الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

فقد روي عن مالك بن أنس الفقيه أنه قال: «كان جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه من عظماء العبّاد، وأكابر الزهاد الذين يخشون الله عز وجل. وكان إذا قال: قال رسول الله ... اخضر لونه مرة واصفر أخرى. قال مالك بن أنس: ولقد حججت معه سنةً، فلمّا استوت به راحلته عند الإحرام كان كلّما همّ بالتلبية انقطع صوته في حلقه، وكاد أن يخرّ من راحلته، فقلت له: يا ابن رسول الله ولا بدّ لك أن تقول. فقال: يا ابن أبي عامر، كيف أجسر أن أقول: لبيك اللهم لبيك؟ وأخشى أن يقول الله عز وجل لي: لا لبيك ولا سعديك»[2].

وكان عليه السلام يرفع يده إلى السماء ويقول: «ربِّ، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدًا، لا أقل من ذلك ولا أكثر». وتنحدر الدموع من جوانب لحيته الطيّبة المباركة. قال ابن أبي يعفور: ثم أقبل بعد دعائه وبكائه إليّ، فقال: «يا ابن أبي يعفور، إنّ يونس بن متى وكّله الله إلى نفسه أقل من طرفة عين، فأحدث ذلك الذنب»، قال ابن أبي يعفور: قلت: فبلغ به كفرًا، أصلحك الله؟ قال: «لا، ولكنّ الموت على تلك الحال هلاك»[3].

ولمّا قال له محمّد بن زيد الشحّام: علّمني دعاء، فعلّمه الدعاء المعروف وهو: «يا

(١) المناقب/١٥١، والآية في سورة المؤمنون، آية ١٠١.
(٢) المناقب/٢٧٥ مع تقديم وتأخير قليل، وتفاوت لفظي يسير.
(٣) أصول الكافي ٢/٥٨١.

من أرجوه لكل خير...» إلى آخره، قال: ثم وضع يديه على لحيته ولم يرفعهما إلا وقد امتلأ ظهر كفيّه دموعًا[1].

وكان موسى بن جعفر سلام الله عليهما كثيرًا ما يدعو ويقول: عظم[2] الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك، ويبكي حتى تخضل لحيته»[3].

[في التفكر وفضله وأنواعه

وإراءة الله الأئمة ما في السماوات والأرض]

وأمّا إذا كان «روّعتني بعجائب فطرتك»، بمعنى الإعجاب فهو أيضًا صحيح، فإنه كلما ازداد الإنسان علمًا كان التفاته إلى حِكَم الله فيما أوجده وذرأه أكثر، ويصير تعجبه أزيد، ولذا أمر بالنظر في الموجودات والتدبّر والتفكّر وتكرار النظر.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[4]. وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[5].

فلو تأمّل الإنسان في خلقته وعجيب فطرته بُهِتَ وتحيّر، فإنّ مبدأه كان من أضعف الأشياء وأقذرها، كيف صار عالمًا حكيمًا مستحقاً لمدح الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[6]، وكيف سخّر له ما في البر وما في البحر؟

وقد روي عن عطاء، قال: انطلقت أنا وعُبيد بن عُمير إلى بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، فقال ابن أبي عمير: أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول

---

(١) بحار الأنوار ٣٦/٤٧.
(٢) في المصدر: قبح الذنب.
(٣) المناقب ٣١٨/٤.
(٤) سورة الملك، آية ٣- ٤.
(٥) سورة الطارق، آية ٥- ٩.
(٦) سورة الإسراء، آية ٧٠.

الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: فبكت، وقالت: كل أمره كان عجبًا، أتاني في ليلتي حتى مسّ جلده جلدي، ثمّ قال: ذريني أتعبّد لربي عز وجل. فقام إلى القِرْبة فتوضأ منها، ثمّ قام يصلي، فبكى حتى بلّ لحيته، ثم سجد حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه لصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: ويحك يا بلال! ما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله في هذه الليلة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لاَيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾[1]؟ ثم قال: «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها»[2].

وعن الصادق عليه السلام: «أفضل العبادة إدمان التفكّر في الله وفي قدرته»[3].

والمراد من التفكّر في الله التفكّر فيما ينبغي له من أسمائه الحسنى وأمثاله العليا، لا التفكّر في ذاته، فإنّه ليس للتفكّر فيه مجال، وإدراكه محال. فلا ينافي هذا الخبر ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «تفكّروا في خلق الله تعالى، ولا تفكّروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره»[4].

وعن مولانا الرضا سلام الله عليه أنه قال: «ليس العبادة بكثرة الصلاة والصوم، إنّما العبادة التفكّر في أمر الله»[5]. ولذا روى محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أمّ ذرّ، بعد موت أبي ذر، فسألها عن عبادة أبي ذر رضي الله عنه، فقالت: «كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكّر»[6].

وكان لقمان يطيل الجلوس وحده، وكان مولاه يمرّ به ويقول: يا لقمان، إنك تديم الجلوس وحدك، فلو جلست مع الناس كان آنس لك، فيقول لقمان: «إن طول

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٧.
(٢) انظر: نور الثقلين ١/٣٥٠. وفيه: «لاكها» بدل «قرأها».
(٣) أصول الكافي ٢/٥٥.
(٤) الحقائق للفيض ٣٠٦. وفيه: «آلاء الله» بدل «خلق الله».
(٥) أصول الكافي ٢/٥٥.
(٦) مجموعة ورّام ١/٢٥٠.

الوحدة أفهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طريق الجنة»[1].

وكان معظم عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، قبل البعثة، التفكّر والنظر في آيات الله، وينعزل عن الناس ويختار الخلوة لتكون أتمّ للفكرة، ويخرج عن البلد ويذهب إلى جبل حِراء، ويقيم فيه ويتفكّر في عجائب آيات الله، وهو روح العبادة[2]. ولذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «تفكّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة»[3]، وفي رواية: «أنّ تفكّر ساعة خير من عبادة سنة»[4]، وفي رواية أخرى: «خير من عبادة ستين سنة»[5]، والكل صحيح؛ إنما الاختلاف لاختلاف مراتب التفكّر ودرجات المتفكّرين في العلم والمعرفة، واختلاف أنواع ما يتفكّر فيه، فربما يكون تفكّر ساعة أفضل من عبادة المتفكّر، وربما يكون تفكّر أحد، - مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلّم -، أفضل من عبادة الثقلين. وكان تعبّده صلى الله عليه وآله وسلّم بسائر العبادات البدنية بما يراه أنّ فيه رضا الله وأنّه مقرّب إليه، لا على سبيل التبعية المحضة والتقليد الصرف.

آنچه می کرد ، از یقین ودید بود　　نی ز ظنّ واز ره تقلید بود

فإنه صلى الله عليه وآله كان قبل البعثة نبيًّا، وكان مؤيدًا بروح القدس، ويرى كلَّ ما في الألواح العالية من العلوم، ولكنّه لم يؤمر بالدعوة والتبليغ. وكيف يرضى من له أدنى علم بأن يعتقد أن عيسى بن مريم، - مع أنه كان، بمراتب لا تُعدّ، أنقص من خاتم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين -، يكون في المهد نبيًّا كما قال الله تبارك وتعالى حاكيًا عنه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾[6] وخاتم الأنبياء، - الذي هو شمس فلك النبوّة وسائر الأنبياء من أشعّته وأنواره وأضوائه -، لا يكون

(١) بحار الأنوار ١٣/٤٢٢.
(٢) انظر: بحار الأنوار ١٧/٣٠٩ و ١٨/٢٠٥.
(٣) المحاسن للبرقي/٢٦، حلية الأولياء ١/٢٠٩.
(٤) الحقائق للفيض/٣٠٨.
(٥) تفسير الصافي ١/٣٢١.
(٦) سورة مريم، آية ٣٠.

نبيًّا؟ وقد قال: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين، أو بين الروح والجسد»[1].

وبالجملة، فروح العبادة وجوهرها وكنهها النظر في آيات الله والتفكّر فيها. ومن أعظم مواهب الله وعطاياه أن يريه آياته، ولذا ذكر عليه السلام في هذا الدعاء، - بعد ذكر نعمة معرفة الله التي أنعمها -، بتعريضه هذه النعمة وقال: وروّعتني بعجائب فطرتك.

ولكون هذه النعمة من أعظم النعماء وأتمّ الآلاء، جعل الله علة معراج النبي وفائدته ذلك. قال الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]، وكذلك قال تبارك وتعالى في شأن إبراهيم عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[3].

قال الصادق عليه السلام: «كُشِطَ له عن الأرض ومَنْ عليها والسماوات وما فيها، والمَلَك الذي يحملهما، والعرش ومن عليه، وفعل ذلك برسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما»[4].

وفي رواية عن أبي جعفر عليه السلام مثله، إلا أنه ذكر في آخره: «وكذلك أرى صاحبكم»[5]. وفي بصائر الدرجات عن بُريدة الأسلميّ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، أنه قال لعليّ: «يا عليّ، إنّ الله أشهدك معي سبعة مواطن حتى ذكر الموطن الثاني، قال: أتاني جبرئيل فأسرى بي إلى السماء، فقال: أين أخوك؟ فقلت: ودّعته خلفي قال: فادْعُ الله يأتيك به، فدعوت فإذا أنت معي، فكشط لي عن السماوات السبع والأرضين السبع، حتى رأيت سكانها وعُمّارها وموضع كل ملك منها، فلم أرَ شيئًا منها إلا وقد رأيته كما رأيته»[6]. وبالجملة فقد رأى صاحب

---

(١) علم اليقين ١/٤٥٧.
(٢) سورة الإسراء، آية ١.
(٣) سورة الأنعام، آية ٧٥.
(٤) تفسير القمي ١/٢٠٥، مجمع البيان ٢/٣٢٢.
(٥) بصائر الدرجات/١٠٧- ١٠٦.
(٦) المصدر نفسه.

هذا الدعاء عجائب فطرة الله، وأُريَ ملكوت الأشياء.

وقد روي عن ابن مسكان، أنه قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، قال: «كشط لإبراهيم السماوات السبع حتى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض حتى رأى ما في الهواء، وكشط لمحمد مثل ذلك. وإني لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك»[1].

وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي قدّس سره، عن عبد الله بن عجلان السكونيّ، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام، يقول: «بيت عليّ وفاطمة سلام الله عليهما حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وسقف بيتهم عرش رب العالمين، وفي قعر بيوتهم فُرْجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحًا ومساءً، وكلّ ساعة في كل طرفة عين. والملائكة لا ينقطع فوجهم: فوج ينزل، وفوج يصعد. إنّ الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات، حتى أبصر العرش، وزاد الله في قوة ناظره. وإنّ الله زاد في قوة ناظر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، وكانوا يُبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفًا غير العرش، فبيوتهم مسقّفة بعرش الرحمن، وفيها معارج معراج الملائكة والروح، فوج بعد فوج، لا انقطاع لهم. وما من بيت من بيوت الأئمة منّا إلا وفيه معراج الملائكة، لقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بِكُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قال: قلت: من كل أمر؟ قال عليه السلام: بكلّ أمرٍ. قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم»[2].

والمراد بالبيوت، في هذا الخبر الشريف، هي قلوبهم المقدّسة الطاهرة، كما هو واضح، كما حلف عليه قتادة بن دعامة فقيه أهل البصرة، لما أتى أبا جعفر الباقر سلام الله عليه فقال له: «أنت فقيه أهل البصرة؟» قال: نعم. فقال عليه السلام: «ويحك يا قتادة! إنّ الله عزّ وجل خلق خلقًا من خلقه، فجعلهم حججًا على خلقه، فهم أوتادٌ

(١) بصائر الدرجات. والآية في سورة الأنعام، آية ٧٥.
(٢) البرهان في تفسر القرآن ٤/٤٨٧ –٤٨٨، مع اختلاف يسير.

في أرضه، قوّام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلّةً عن يمين عرشه».
فسكت قتادة طويلاً، ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك. فقال له أبو جعفر عليه السلام: «أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[1]. فأنت ثَمَّ، ونحن أولئك». فقال قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك. والله، ما هي بيوت حجارة ولا طين[2].

وقد روى ثقة الإسلام الكلينيّ، وعليّ بن إبراهيم القميّ قدّس سرهما عن الصادق عليه السلام، في تفسير هذه الآية: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾[3]. إنما هي يعني الولاية، من دخل فيها دخل بيوت الأنبياء»[4].

ولمّا سأل ابن الكوّاء لعنه الله أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية الشريفة: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[5]، قال صلوات الله عليه: «نحن البيوت التي أمر الله أن يؤتى من أبوابها، ونحن باب الله، وبيوته التي تؤتى منه، فمن تابعنا وأقرّ بولايتنا، فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفضّل علينا غيرنا، فقد أتى البيوت من ظهورها»[6]. فقلوب الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين بيوت الله، وفي حال انصرافهم عن الشواغل وتوجّههم إلى باطن قلبهم وقعره يكون الوحي ونزول الملائكة، فهذا معنى الخبر.

ويستفاد من هذا الحديث الشريف أنهم يستكفون ببواطن نفوسهم، ولا يحتاجون إلى معلّم بشري، ففي قعر قلوبهم فُرْجة إلى العرش، والمراد من العرش كل

---

(١) سورة النور، آية ٣٦- ٣٧.
(٢) بحار الأنوار ٤٦/٣٥٧.
(٣) سورة نوح، آية ٢٨.
(٤) البرهان في تفسير القرآن ٤/٣٩٠، بحار الأنوار ١١/٣١٦- ٣١٥.
(٥) سورة البقرة، آية ١٨٩.
(٦) المناقب ٢/٣٤.

الأشياء. كما ورد في الأخبار في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1]، أنّ المراد استولى على كل شيء[2]، فليس شيء أقرب ولا أبعد منه من شيءٍ آخر، بل رحمته الرحمانية محيطة بالكلّ.

فمعنى هذا الحديث، على هذا، أنّ من هذه الفُرجة التي في قعر بيوتهم، يرون كل شيءٍ، كما ورد في بصائر الدرجات عن صالح بن سهل، قال: كنت جالسًا عند أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي ابتداءً منه: «يا صالح بن سهل، إنّ الله جعل بينه وبين الرسول رسولاً، ولم يجعل بينه وبين الإمام رسولاً».

قال: قلت له: وكيف ذاك؟ «قال: جعل بينه وبين الإمام عمودًا من نور ينظر الله به إلى الإمام، وينظر الإمام إليه، فإذا أراد عِلم شيءٍ نظر في ذلك النور فعرفه»[3].

وفي رواية أخرى عن إسحاق الجريري[4]، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فسمعته وهو يقول: «إنّ لله تعالى عمودًا من نور حجبه الله عن جميع الخلائق، طرفُه عند الله وطرفُه الآخر في أُذُن الإمام، فإذا أراد الله شيئًا أوحاه في أُذُن الإمام»[5]. وفي هذا الباب أخبار أُخر كثيرة متظافرة[6].

[في إخبار الأئمة عن عوالم غير هذا العالم]

وقوله عليه السلام: «وأنطقتني لما ذرأت من بدائع خلقك» فواضح.

فإنّ الأئمة صلوات الله عليهم نطقوا وأخبروا عن بدائع الخلق، وعن عوالم ذرأها الله تعالى غير هذا العالم. ففي بصائر الدرجات بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنه حدّث عن عمّه الزكي الحسن بن علي عليهما السلام أنّه قال: إنّ لله مدينتين،

---

(١) سورة طه، آية ٥.
(٢) نور الثقلين ٣/٣٧١، وانظر: أصول الكافي ١/١٢٧.
(٣) بصائر الدرجات/٤٤٠.
(٤) كذا في المصدر، والنسختان: أبي إسحاق.
(٥) المصدر نفسه/٤٣٩.
(٦) المصدر نفسه/ ٤٤٣- ٤٣٩.

إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سُوران، وعلى كلّ مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف ألف لغة، يتكلّم كل أهل لغة بخلاف لغة صاحبها، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما، وما عليهما حجّة غيري وغير الحسين أخي»[1].

وفي رواية أخرى، عن هشام الجواليقيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ لله مدينة خلف البحر، سعَتها مسيرُ أربعين يومًا (للشمس)، فيها قوم لم يعصوا الله قط، ولا يعرفون إبليس، ولا يعلمون خلق إبليس، نلْقاهم في كل حينٍ فيسألوننا عن كلّ ما يحتاجون إليه، ويسألوننا الدعاء فنعلّمهم، ويسألون عن قائمنا متى يظهر؟ وفيهم عبادة واجتهاد شديد، ولمدينتهم أبواب، ما بين المِصراع إلى المصراع مائة فرسخ. لهم تقديس واجتهاد شديد، لو رأيتموهم لاحتقرتم عملكم، يصلّي الرجل منهم شهرًا لا يرفع رأسه من سجود. طعامهم التسبيح، ولباسهم الورع، ووجوههم مشرقة بالنور. إذا رأوا واحدًا منّا لحَسوه، واجتمعوا إليه، وأخذوا من أثره من الأرض يتبرّكون به. لهم دويّ إذا صلّوا أشدّ من دويّ الريح العاصف. فيهم جماعة لم يَضَعوا السلاح منذ كانوا، ينتظرون قائمنا، يدعون أن يريهم إياه. وعمر أحدهم ألف سنة، إذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة وطلب ما يقرّبهم إليه. إذا احتبسنا ظنّوا أنّ ذلك سخط. يتعاهدون الساعة التي نأتيهم فيها، لا يسأمون ولا يفتُرون، يتلون كتاب الله كما علّمناهم، وإنّ فيما نعلّمهم ما لو تُلي على الناس لكفروا به ولأنكروه. يسألوننا عن الشيء إذا ورد عليهم من القرآن ولا يعرفونه، فإذا أخبرناهم انشرحت قلوبهم لما يسمعون منّا، وسألوا الله طول البقاء وأن لا يفقدونا، ويعلمون (أنّ) المنّة لله عليهم فيما نعلّمهم عظيمة. ولهم خَرْجة مع الإمام إذا قام، يسبقون فيها أصحاب السلاح منهم، ويدعون الله أن يجعلهم ممّن ينتصر بهم لدينه. فيهم كهول وشبّان، إذا رأى شابّ منهم الكهل جلس بين يديه جِلسة العبد، لا يقوم حتى يأمره. لهم طريق هم أعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام، فإذا أمرهم الإمام بأمرٍ قاموا عليه أبدًا حتى يكون هو الذي يأمرهم بغيره. لو أنّهم وردوا على ما بين المشرق

(١) المصدر نفسه/٣٣٩، أصول الكافي ١/٤٦٢، مع اختلاف يسير.

والمغرب من الخلق لأفنوهم في ساعة واحدة لا يختلّ الحديد فيهم، لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد، لو ضرب أحدهم بسيفه جبلاً لقدّه حتى يفصله، يغزو بهم الإمام الهند والديلم والكرك والترك والروم وبربر ما بين جابلسا إلى جابلقا، وهما مدينتان إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب لا يأتون على أهل دين إلا دعوهم إلى الله وإلى الإسلام، وإلى الإقرار بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، ومن لم يقرّ بالإسلام قتلوه حتى لا يبقى ما بين المشرق والمغرب (وما دون الجبل) أحد إلا أقرّ»[1].

وفي رواية عن عجلان أبي صالح، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قبّة آدم، فقلت له: هذه قبّة آدم؟ فقال: «نعم، ولله قباب كثيرة، (أما) إنّ خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثين مغربًا: أرضًا بيضاء مملوّة خلقًا يستضيئون بنورنا، لم يعصوا الله طرفة عين أبدًا. لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه، (وهم) يتبرّأون من فلان وفلان»[2]. قيل له: كيف هذا: يبرأون من فلان وفلان وهم لا يدرون، أخلق الله آدم أم لم يخلقه؟ فقال للسائل: «أتعرف إبليس؟» قال: لا، إلا بالخبر. قال: «فأُمرتَ باللعنة والبراءة منه؟» قال: نعم، قال: «فكذلك أمر هؤلاء»[3].

[في حقيقة الذكر وفضله]

قال صلوات الله عليه: «ونبّهتني لذكرك وشكرك وواجب طاعتك وعبادتك».

الذكر لغة: هو خطور الشيء في خاطرك، فهو من أوصاف النفس وأفعالها، وليس من الأفعال البدنية، لكن لمّا كان اللسان حاكيًا عن الخطور في الخاطر يطلق على ما يجري على اللسان، ويقال: لسانٌ ذاكر. قال أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء[4]: «اللهمّ اجعل لساني بذكرك لَهِجًا». وفضل الذاكر أكثر من أن يبيّن.

---

(١) بصائر الدرجات/٤٩٠-٤٩٢.
(٢) ليس في «ألف» إلى آخر السؤال.
(٣) المصدر نفسه/٤٩٣.
(٤) في دعاء كميل.

فقد ورد في الحديث القدسي: «أنا جليس من ذكرني»[1]. وكفى به فضلاً أن يكون الله تعالى جليسه وأنيسه. وهو واضح، فإنّ الذكر هو خطور الشيء في الخاطر كما ذكر، فإذا كان العبد ذاكرًا لله، فالله حاضرٌ في قلبه، فهو جليسه وأنيسه.

وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام: «من كان ذاكرًا لله على الحقيقة فهو مطيع، ومن كان غافلاً فهو عاصٍ، والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة وأصلهما من الذكر والغفلة»[2].

ومن هذا الحديث أن الطاعة منحصرة بذكر الله تبارك وتعالى، ومن كان غافلاً عن الله، – وإن كان بدنه مشتغلاً بالعبادة –، فهو ليس بمطيع، بل هو عاصٍ. كما قال الصادق عليه السلام: «ولا بَعُدَ عن الله أبدًا من أحسن تقرّبه في السجود، ولا قَرُبَ إليه أبدًا من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعليق قلبه بسواه في حال السجود». إلى أن قال: «فمن كان قلبه متعلّقًا في صلاته بشيءٍ دون الله فهو قريب من ذلك الشيء، بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته. قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «قال الله عز وجل: ما أطّلعُ على قلب أحدٍ فأعلمُ فيه حبّ الإخلاص لطاعتي، لوجهي وابتغاء مرضاتي، إلا توليت تقويمه وسياسته وتقرّبت منه. ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، اسمه مكتوبٌ في ديوان الخاسرين»[4]. وقال الصادق عليه السلام أيضًا: «إذا استقبلت القبلة فآيسْ من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه، وفرّغ قلبك عن كل شاغلٍ يشغلك عن الله تعالى، وعاينْ بسرّك عظمة الله عز وجل، واذكر وقوفك بين يديه. قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ﴾، وقِفْ على قدمي الخوف والرجاء، فإذا كبّر فاستصغر ما بين السماوات العلى، وما

(١) بحار الأنوار ١٣/٣٤٣، و ٨٤/١٧٥.
(٢) مصباح الشريعة/٥٥.
(٣) المصدر نفسه/٩٢– ٩١، والآية من سورة الأحزاب، آية ٤.
(٤) المصدر نفسه/٩٢.

تحت الثرى دون كبريائه، فإنّ الله إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارضٌ عن حقيقة تكبيره قال: يا كذّاب! أتخدعني؟ وعزّتي وجلالي لأحرِمنّك حلاوة ذكري ولأحجبنّك عن قربي والمسرّة مناجاتي»[1].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام، قال: «قال الله عز وجل: يا ابن آدم، اذكرني في مَلَئك أذكرك في ملأ خير من مَلَئك»[2]. وعنه عليه السلام: «إنّ الله تعالى قال فيما أوحى إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى اذكرني في نفسك، أذكرك في نفسي، واذكرني في ملئك أذكرك في ملأ خير من ملأ الآدميّين»[3].

ومعنى ذكر الله الذاكرَ في نفسه، ليس له معنى صحيح سوى أن يوفّقه الله تعالى بأن يَفنى عن نفسه، ولا يلتفت إليها ولا إلى ذكرها، ولا يتوجّه إلا إلى الله، بل لا يرى إلا الله، ويكون مستغرقًا في جمال الله وكبريائه وبهائه، فهو فانٍ عن وجود نفسه، باقٍ بوجود ربه، فانمحى وزهق وجوده الباطل، وظهر وجاء الحق، ولمّا كانت حقيقة الذكر هي خطور المذكور عند الذاكر، وشهود الذاكر له، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السلام مرائي ومظاهر لله تعالى، فوجودهم ذكر الله، فمن شاهدهم فقد شاهد الله.

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من رآني فقد رأى الحق»[4]. ولذا لا يُعرف الله تعالى إلا بهم، ومن عرفهم فقد عرف الله، فإنّهم مظاهر الله ومَثَل الله. فهم المثل الأعلى؟ ففي الدعاء الذي خرج عن الناحية المقدّسة من أدعية شهر رجب في أوصاف الأئمة عليهم السلام: «يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنّهم عبادك وخلقك، فَتْقُها ورَتْقُها بيدك، بَدْؤها منك وعوْدُها إليك»[5].

ولذا فُسّر الذكر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. ففي رواية عن مولانا

---

(١) مصباح الشريعة/٨٨-٨٧ والآية في سورة يونس: ٣٠.
(٢) أصول الكافي ٢/٤٩٨.
(٣) روضة الكافي/١٣٨.
(٤) مفاتيح الغيب/٣٢، أحاديث مثنوي/٦٣.
(٥) مصباح المتهجّد/٧٣٩.

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]، قال: «بمحمّد تطمئنّ القلوب، وهو ذكر الله وحجابه»[2]. وفي رواية عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «أنّ النبيّ أوتي علم النبيّين وعلم الوصيين، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثم تلا قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾[3]، يعني النبي»[4].

ومن هذا الحديث الشريف يستفاد، أنّ وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، كان علم الأنبياء جميعًا. وهو صحيح موافق للبرهان، فقد ثبت في محله أنّ كل مجرّد عقل، وعاقل، ومعقول[5]. فالروح المقدّسة التي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم نفس العلم.

ولمّا كان الأنبياء جميعًا خلقوا من أشعة نوره، من فاضل طينته، - كما ورد في الحديث: «إنّ الله تبارك وتعالى بعدما خلق نور محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، وقال له: يا حبيبي، ويا سيّد رُسُلي، ويا أوّل مخلوقاتي، ويا آخر رُسُلي، أنت الشفيع يوم المحشر. فخرّ نوره المقدّس ساجدًا لله، ثمّ قام فقطرت منه قطرات، كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة، فخلق الله من كلّ قطرة من نوره نبيًّا من الأنبياء، فلمّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حولَ نوره المقدّس، كما تطوف الحجاج حول بيت الله الحرام»[6] -، فكلّ علم لنبيّ أو وصيّ فهو من أشعّة نوره، فهو علم الكل، وهو ذكرهم.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام، فيما بيّن فضل العترة الطاهرة وعدّد فضائلهم... إلى أن قال: «وأما التاسعة فنحن أهل الذكر، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا

---

(١) سورة الرعد، آية ٢٨.
(٢) تفسير الصافي ١/٨٧٣.
(٣) سورة الأنبياء، آية ٢٤.
(٤) تفسير فرات/٩٦- ٩٧. ووردت روايات كثيرة في أنّ الذكر هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ أهل الذكر هم أهل البيت عليهم السلام. راجع: المناقب ٤/١٧٨، بصائر الدرجات/٣٨.
(٥) الحكمة المتعالية ٣/٣٤٧.
(٦) بحار الأنوار ١٥/٢٩.

﴿أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1]. فقالت العلماء الذين كانوا في المجلس: إنما عنى بأهل الذكر علماء اليهود النصارى، فقال الرضا سلام الله عليه: سبحان الله! هل يجوز ذلك؟ إذًا يدعوننا إلى دينهم، ويقولون: إنه أفضل من الإسلام! فقال المأمون: هل عندك شرح بخلاف ما قالوا، يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام للمأمون: نعم، الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ونحن أهله، وذلك بيّن في كتاب الله تعالى عزّ وجل، حيث يقول في سورة الطلاق: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾[2]. وبالجملة، فالأخبار في كون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ذكرًا، كثيرة متظافرة إن لم تكن متواترة.

وأنا أقول: فعلى هذا يحتمل أن يكون المراد من هذه الآية الشريفة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[3] أنّ ذكر الله، - وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم -، أكبر من الصلاة، وهو أمير المؤمنين عليه السلام، كما ورد في الأخبار الكثيرة تفسير الصلاة بأمير المؤمنين عليه السلام[4].

ولمّا كان الذكر روح العبادة وأصلها، لم يجعل له حدًا كسائر العبادات، وقال: ﴿اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾[5]، وقال أيضًا: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[6].

والمراد الذكر على كل حال، فلا يتوهّم أحدٌ أنّ في بعض الأحوال لا يناسب فيه ذكر الله. كما سأل موسى على نبيّنا وعليه السلام ربه وقال: «يا ربّ، ربما أكون على حالات لا أحبّ - أو أستحيي - أن أذكرك فيها، فأوحى الله إليه: اذكرني على كل حال»[7]. فليس لذكر الله تعالى وقت خاص ولا شرط، بل الله تبارك وتعالى يحبّ

---

(١) سورة النحل، آية ٤٣.
(٢) سورة الطلاق، آية ١٠ - ١١.
(٣) سورة العنكبوت، آية ٤٥.
(٤) نور الثقلين ١/١٩٨، مستدرك سفينة البحار ٦/٣١٧.
(٥) سورة الأحزاب، آية ٤١.
(٦) سورة آل عمران، آية ١٩١.
(٧) أصول الكافي ٢/٤٩٧، مع اختلاف يسير، وتمام الحديث في: التوحيد للصدوق/١٨٢.

أن يذكره عبده في جميع الأوقات والحالات، ويحب إكثاره.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «من أكثر ذكر الله أحبّه الله»[1]. وقال أيضًا: «من أحبّ أن يرتع في رياض الجنة فليُكثِر ذكر الله»[2]. وعن مولانا باقر العلوم سلام الله عليه: «لا يزال المؤمن في صلاته ما كان في ذكر الله تعالى قائمًا، أو جالسًا، أو مضطجعًا. إن الله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[3]، «وكان رسول الله يذكر الله كثيرًا حتى نسبوه من كثرة ذكر ربه إلى الجنون، وقالوا: لا يزال محمد يذكر ربه، فقد جُنّ»[4].

وكفى في فضل الذكر قوله تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[5]. فبذكر الله يصير الذاكر ذا النفس المطمئنة، ومخاطبًا بهذه الخطابات: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ*ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[6].

وأما الشكر لغة: فقد مرّ بيانه في أول هذا الشرح في الفرق بينه وبين الحمد، وهو في الحقيقة أن يرى ويعلم أنّ كلّ نعمة من عند الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له في إنعامه، ويرى الكل مسخّرات بأمره، ليس لأحد شركة في الإنعام، كيف ومن ليس له وجود من نفسه، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، يكون منعمًا لغيره. ولذا قال مولانا الصادق عليه السلام: «أدنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالى، من غير علة تعلّق القلب بها دون الله عز وجل»[7]، فإن من يرى النعمة التي أوتيت، من غير الله تعالى فهو بالحقيقة مشرك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[8].

---

(١) أصول الكافي ٢/٥٠٠.
(٢) مجمع الزوائد ١٠/٧٥، ومؤدّاه في بحار الأنوار ٩٣/١٦٣.
(٣) نور الثقلين ١/٣٥١. والآية في: سورة آل عمران، آية ١٩١.
(٤) مؤدّاه في: مجمع الزوائد ١٠/٧٥.
(٥) سورة الرعد، آية ٢٨.
(٦) سورة الفجر، آية ٢٧- ٣٠.
(٧) مصباح الشريعة/٢٤.
(٨) سورة يوسف، آية ١٠٦.

ففي تفسير العياشي: «هو الرجل يقول: لولا فلان لهلكتُ، ولولا فلان لأصبتُ كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي! ألا ترى أنّه قد جعل لله تعالى شريكًا في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قيل: فنقول: لولا أن مَنّ الله عليّ بفلان لهلكتُ؟ قال: نعم لا بأس به»[1].

فالشاكر من يرى أنّ الله يُعطي وإن جرى على يد أحد من خلقه، وهو مسخّر بأمر الله ليس له من نفسه شيء، وهو كالقلم بيد الكاتب يقلّبه كيف يشاء. ألا ترى إلى قول إبراهيم خليل الله عليه وعلى نبيّنا السلام، كما حكاه الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[2].

ولازم تلك المعرفة أن لا يضيع نعمة الله، ويصرفها فيما خُلقت [له]، ولا يبطل حكمته في إعطاء تلك النعمة. مثلاً: شكر نعمة القوة العاقلة، - التي هي أشرف نعماء الله تعالى وآلائه -، أن يصرفها في معرفة الله وتوحيده ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العاليا، ويتفكّر فيها فإنّ التفكر حياة قلب البصير. ولذا كان تفكّر ساعة أفضل من عبادة ستين سنة[3]. فإذا صرف تدبّره وفكره في غير هذا فقد كفر نعمة الله تعالى في هذه النعمة العظمى التي بها يبلغ الدرجة العليا والمرتبة العظمى، وهي معرفة الله، فإنّها فضلٌ لا يعادلها شيء. كما قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطأونه بأرجلهم، ولنعّموا بمعرفة الله وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله. إنّ معرفة الله تعالى أنسٌ من كل وحشة، وصاحب من كل وحدة، ونورٌ من كلّ ظلمة، وقوةٌ من كل ضعف، وشفاء من كل سقم. ثم قال عليه السلام: وقد كان قبلكم قومٌ يُقتلون ويُحرقون ويُنشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برُحبها،

(١) تفسير العياشي ٢/٢٠٠.
(٢) سورة الشعراء، آية ٧٧- ٨١.
(٣) الحقائق للفيض/٣٠٨.

فما يردّهم عمّا هم عليه شيء مما هم فيه...»[1] الحديث.

وفي الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام: «لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفكِ المُهج وخوض اللُّجج»[2].

[في وجوب نشر العلم على العالم، وذمّ كتمانه]

ولمّا كان نعمة العلم والمعرفة أفضل نِعَم الله تعالى، فشكرها أن يعلّم الناس ويرشدهم، وكفران هذه النعمة كتمان العلم. ولذا ورد اللعن والتهديد الشديد والطعن والوعيد الأكيد عليهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾[3]. وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[4]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول: من سئل عن علم فكتمه حيث يجب إظهاره، وتزول التقية عنه، جاء يوم القيامة مُلْجمًا من النار»[5].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا كتم العالم العلم [عن] أهله، وزها الجاهل في تعلّم ما لا بدّ منه[6]، وبخل الغني بمعروفه، وباع الفقير دينه بدنيا غيره، جلّ البلاء وعظم العقاب»[7].

وعن عليّ بن سويد السائي، قال: كتب إليّ أبو الحسن عليه السلام موسى بن جعفر، وهو في الحبس: «لا تُفْش ما استكتمتك، أخبرك أن من أوجب حق أخيك

(١) روضة الكافي/٢٤٧- ٢٤٨.
(٢) أصول الكافي ١/٣٥.
(٣) سورة البقرة، آية ١٥٩،
(٤) سورة آل عمران، آية ١٨٧.
(٥) بحار الأنوار ٢/٧٢.
(٦) زها فعلٌ منَ الزّهو، وهو: الكِبْر (لسان العرب ١٤/٣٦٠).
(٧) بحار الأنوار ٢/٧٢

أن لا تكتمه شيئًا ينفعه لا من دنياه ولا من آخرته»[1].

وفي الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قرأت في كتاب عليّ عليه السلام: إنّ الله لم يأخذ على الجهّال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهدًا ببذل العلم للجهّال، لأنّ العلم كان قبل الجهل»[2]. والذي أفهم من هذا الحديث الشريف وتعليله بأن العلم كان قبل الجهل هو القبلية بالشرف والرتبة، ولمّا كانت درجة العلم ورتبته مقدّمة على الجهل، فلا بدّ أن يكون تكليف العالم أسبق وأشدّ من تكليف الجاهل، فإنّ كلاً منهما مكلّف: العالم مكلّف بالتعليم، والجاهل مكلّف بالتعلّم من العالم. ومعلومٌ أن شرافة العالم تقتضي أن يكون تكليفه أسبق وأشدّ وآكد من تكليف الجاهل.

وبالجملة شكر نعمة العلم هو تعليمه الجهّال وبثّه على المتعلّم، وهو موجب زيادة العلم، كما قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3].

ولما كان العلم أفضل نعم الله ورد في ثواب شكره، – وهو تعليم الناس وإرشادهم وهدايتهم –، ما لم يرد عُشْره[4] في سائر الطاعات والعبادات، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[5].

ففي المحاسن بسنده عن سماعة، قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾؟ فقال عليه السلام: «من أخرجها من ضلالٍ إلى هدىً فقد أحياها، ومن أخرجها من هدىً إلى ضلال فقد قتلها»[6].

---

(١) بحار الأنوار ٢/٧٥.
(٢) أصول الكافي ١/٤١.
(٣) سورة إبراهيم، آية ٧.
(٤) «ب»: غيره.
(٥) سورة المائدة، آية ٣٢.
(٦) المحاسن للبرقي/٢٣٢– ٢٣١.

وفي تفسير مولانا العسكري سلام الله عليه: «إن رجلاً جاء إلى علي بن الحسين برجلٍ يزعم أنه قاتل أبيه، فاعترف فأوجب عليه القصاص، وسأله أن يعفو ليُعظم الله تعالى ثوابه، فكأنّ نفسه لم تَطِب بذلك، فقال علي بن الحسين سلام الله عليهما لمدّعي الدم؛ الولي المستحق للقصاص: إن كنت تذكر لهذا الرجل عليك فضلاً فهبْ له هذه الجناية، واغفر له هذا الذنب فقال: يا ابن رسول الله له عليَّ حق، ولكن لم يبلغ أن أعفو له من قتل والدي قال عليه السلام: فتريد ماذا؟ قال: أُريد القِوَد، فإن أراد، - لحقّه عليَّ -، أن أصالحه على الدّية صالحته وعفوت عنه قال علي بن الحسين عليه السلام: فماذا حقّه عليك؟ قال: يا ابن رسول الله، لقّنني توحيد الله ونبوّة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وإمامة عليّ والأئمة الأطهار عليهم السلام. فقال علي بن الحسين عليهما السلام: فهذا لا يفي بدم أبيك؟ بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلهم من الأوّلين والآخرين، سوى الأنبياء والأئمة إن قُتلوا، فإنه لا يفي بدمائهم شيء أن يقنع منه بالدّية. قال علي بن الحسين للقاتل: أتجعل لي ثواب تلقينك له حتى أبذل لك الدّية فتنجو بها من القتل؟ قال: يا ابن رسول الله، أنا محتاج إليه وأنت مستغنٍ عنه، فإنّ ذنوبي عظيمة، وذنبي إلى هذا المقتول بيني وبينه لا بيني وبين وليّه هذا. قال علي بن الحسين عليه السلام لولي الدم: يا عبد الله، قابلْ بين ذنب هذا إليك وبين تطوّله عليك، قتَل أباك فحَرَمه لذة الدنيا وحرَمَك التمتع به فيها، على أنك إن صبرت وسلّمت فرفيقك أبوك في الجنان، ولقّنك الإيمان فأوجب لك به جنة الله الدائمة، وأنقذك من العذاب الدائم، فإحسانه إليك أضعاف [أضعاف] جنايته عليك...»[1]، الحديث.

تأمّل في هذا الحديث تعرف فضل نعمة العلم، وفضل شكرها بتعليمه وبذله للجاهل. ولذا أمر الله تبارك وتعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلّم بأن يظهر نعمة الله التي أنعم عليه، ويظهرها للناس[2]، وهو دينه الذي أوحى إليه، ففي تفسير القميّ: «أي حدّث بما أنزل الله عليك وأمرك به من الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية،

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري/٥٩٦- ٥٩٧.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى، آية ١١).

وبما فضّلك الله به فحدّث»[1]. وعن الصادق عليه السلام في تفسيرها: «فحدِّث بما أعطاك الله وفضّلك ورزقك وأحسن إليك»[2].

وفي المحاسن عن مولانا أبي عبد الله الحسين في تفسيرها: «أمره أن يحدّث بما أنعم الله عليه من دينه»[3]. وفي الكافي بسنده عن البقْباق، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[4] قال: «الذي أنعم عليك بما فضّلك وأعطاك وأحسن إليك. ثم قال: فحدّث بدينه وما أعطاه الله وأنعم عليه»[5].

ولمّا كان ما أنعم الله تبارك وتعالى (عليه)، نعمة ما أنعم بمثلها [على] أحد من ولد آدم من الأولين والآخرين، فلذا كان شكره أكثر من كل أحد، فإنه بالغَ في إرشاد الناس وهدايتهم، بحيث كانوا يكذّبونه ويشتمونه ويضربونه، وهو صلى الله عليه وآله وسلّم لمْ يألُ جهدَه في إرشادهم ودعوتهم إلى التوحدي، ويقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»[6]وكان حريصًا على هدايتهم قولاً وفعلاً، وكان عزيزًا عليه عدم هدايتهم، وكان في غاية الرحمة ونهاية العطوفة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[7].

وكان من شدّة حرصه على هدايتهم وعطوفته بحيث يكاد أن يموت حزنًا وأسفًا على ضلالتهم، بحيث يسلّيه الله تبارك وتعالى. قال الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[8]، وفي تفسير القميّ عن مولانا الباقر عليه السلام: «لعلّك قاتلٌ نفسك»[9].

---

(١) تفسير القميّ ٢/٤٢٨.
(٢) مجمع البيان ٥/٥٠٧.
(٣) المحاسن للبرقي/٢١٨.
(٤) سورة الضحى، آية ١١.
(٥) أصول الكافي ٢/٩٤.
(٦) مسند أحمد بن حنبل ٣/٤٩٢.
(٧) سورة التوبة، آية ١٢٨.
(٨) سورة الكهف، آية ٦.
(٩) تفسير القمي ٢/٣١.

فانظر إلى فرط حرصه لهداية الناس، فلولا تسلية الله تعالى له لمات من الحزن والغم، وكان حبّه لهداية الناس، وحزنه وأسفه على ضلالتهم، نظير حبّ يعقوب ليوسف وأسفه على فراقه، كما قال الله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[1]. فعزّاه الله وسلاّه بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[2]؛ أي لا تحزن فإنّ الكل بتقديرنا ومشيّتنا، ليميز الخبيث من الطيب كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[3]؛ أي فلا تهلك نفسك حسرة على ضلالتهم، فإنّ الكل بمشيّتنا وعلمنا.

ولمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أفضل من كل جهة، وإنعام الله عليه أكثر، كان شكره من كل حيثية أكثر: أمّا من حيث إرشاده فكما ذكرنا، وأما من حيث عبادته البدنية، فلمّا كانت قواه البدنية أقوى من كلّ أحد، كان شكره فيها أتم وأعظم.

في الاحتجاج عن مولانا الكاظم عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام، أنه قال: «لقد قام رسول الله عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدَماه واصفرّ لونه، يقوم الليل جميعًا حتى عوتب في ذلك، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿طه *مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾، بل لتسعد به»[4]. والشقاء بمعنى التعب شائع في اللغة، وفي المَثَل: أشقى من رائض المُهْر[5]. وفي المثل السائر: سيّد القوم أشقاهم[6].

وعن قتادة أنه صلى الله عليه وآله وسلّم، كان يصلي الليل كله، ويعلّق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم، فأمره الله سبحانه «أن يخفّف على نفسه، وذكر أنّه ما أنزل الوحي ليتعب كلّ هذا التعب»[7]، ولمّا قالت له عائشة: يا رسول الله، لِمَ تتعب

(١) سورة يوسف، آية ٨٥.
(٢) سورة الكهف، آية ٧.
(٣) سورة فاطر، آية ٨.
(٤) الاحتجاج للطبرسي ١/٢١٩- ٢٢٠، والآيتان في سورة طه، آية ١- ٢.
(٥) أساس البلاغة/٢٣٩، أي أتعب من مُذلِّل ولَد الفرس ومعلّمه السَيْر.
(٦) المنجد (فرائد الأدب)/٩٩٢.
(٧) بحار الأنوار ٢٧/٧١.

نفسك ولقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: «يا عائشة، ألا أكون عبدًا شكورًا؟!»[1].

وبالجملة، فالشكر: أن يصرف كلّ نعمة أنعمها الله تبارك وتعالى فيما خُلقت لأجله، ولذا قال اللعين إبليس: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[2].

ففي المجمع عن مولانا الباقر عليه السلام، أنه فسّر «من بين أيديهم» بأمور الآخرة؛ أي أُهَوِّنُ عليهم أمورها، وفسّر «من خلفهم» بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق، لتبقى لورثتهم، وفسّر «عن أيمانهم» بأمر الدّين بتزيين الضلالة، وتحسين الشبهة. وفسّر «عن شمائلهم» بتحبيب اللذات إليهم، وتغليب الشهوات على قلوبهم[3].

فيفهم من هذه الآية الشريفة أن تمام السيّئات والخطيئات من لوازم عدم الشكر، فإنه لو استعمل القوة العاقلة وتفكّر، يرى الدنيا دار زوال وارتحال وليس لها قرار، فوجودها مقترن بعدمها، بل عين عدمها، فإنها بمنزلة الماء الجاري يتجدّد آنًا فآنًا، ويذهب ويفنى، والآخرة دار قرار وثبات، فكيف يؤثر الفاني على الباقي؟

ولذا قال رسول اله صلى الله عليه وآله وسلّم، لما أتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: «يا محمد، هذه مفاتيح خزائن الأرض، يقول لك ربك: افتح وخُذْ منها ما شئت، من غير أن تنقص شيئاً عندي»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له»، فقال الملك: «والذي بعثك بالحق نبيًّا، لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين أعطيت المفاتيح»[4]، ومعنى كلامه صلى الله عليه وآله وسلّم أنّ من لا يرى دارًا سوى هذه الدنيا يتخذها دارًا، ولكن من يعتقد أنّ له قرارًا وثباتًا ومقام خلد ليس له

(١) أصول الكافي ٢/٩٥.
(٢) سورة الأعراف، آية ١٦ – ١٧.
(٣) مجمع البيان ٢/٤٠٤.
(٤) أصول الكافي ٢/١٢٩.

زوال ولا عنه ارتحال كيف يتخذها دارًا ويركن إليها؟!

ولذا ورد: «عجبت لمن رأى الدنيا وتقبّلها بأهلها: كيف يركن إليها؟»[1]، فلازم شكر نعمة العمل أن يتفكّر في زوال الدنيا ودنوّ رتبتها وثبات الآخرة وعلوّ منزلتها، فلا يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو أعلى، فلا يهون عليه أمر الآخرة، ولا يشتغل بجمع الأموال، ولا يكون خازنًا لغيره، بل يجمعها لدار قراره، لينفع ويتمتّع بنفسه. كما قال عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام: «بحقٍ أقول لكم: إن قلوبكم بحيث تكون كنوزكم، وكذلك الناس يحبّون أموالهم وتتوق إليها أنفسهم فاجعلوا[2] كنوزكم في السماء، حيث لا يأكلها السوس ولا ينالها اللصوص»[3].
ومن أشعار صاحب هذا الدعاء أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه:

وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل[4]

ثمّ إنّ أعلى درجة الشكر: الشكر على البلاء، ويرى بلاء الله تبارك وتعالى نعمة من عنده، فإنّ بلاءه، إما تمحيص الذنوب، وإما موجب لرفعة الدرجات ونيل المثوبات. فقد روى أبو حمزة عن أبي جعفر عليه السلام: حمّى ليلة تعدل عبادة سنة وحمّى ليلتين تعدل عبادة سنتين، وحمّى ثلاث ليالٍ تعدل عبادة سبعين سنة»[5].
وفي رواية الزّهري عن علي بن الحسين عليهم السلام: «حمّى ليلة كفّارة سنة»[6].
وفي خبر عن محمّد بن سنان عن مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «المرض للمؤمن تطهير ورحمة، وللكافر تعذيب ولعنة. وإن المرض لا يزال بالمؤمن حتى لا يكون عليه ذنب»[7]. فأي نعمة أعظم من أن تطهر عن دَنَس السيئات ودَرَن المعاصي والخطيئات!

---

(١) بحار الأنوار ٧٣/٩٤.
(٢) في المصدر: «فضعوا» بلد «فاجعلوا».
(٣) تحف العقول/٣٨٠، بحار الأنوار ١٤/٣٠٦- ٣٠٧.
(٤) بحار الأنوار ٤٤/٣٧٤.
(٥) فروع الكافي ٣/١١٤، سفينة البحار ١/٣٤٥.
(٦) بحار الأنوار ٨١/١٨٢.
(٧) ثواب الأعمال/٢٢٩.

اين بلای دوست تطهير شما ست علم او بالای تدبير شما ست[1]

وفي الخبر: «إذا أحبَّ الله عبدًا ابتلاه»[2].

وفي الحديث القدسي مخاطبًا لموسى: «يا موسى، إذا رأيت الفقر مُقبلاً فقل: مرحبًا بشعار الصالحين. وإذا رأيت الغِنى مقبلاً فقل: ذنبٌ عُجِّلت عقوبته»[3].

وفي رواية محمد بن سنان عن مولانا جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عن عليّ عليهم السلام: أنه دعا سلمان الفارسيّ، فقال له: «يا سلمان، ما من أحد من شيعتنا يصيبه وَجَع إلا بذنبٍ قد سبق منه، وهذا الوجع تطهير له. قال له سلمان: فليس لنا في شيءٍ من ذلك أجر إلا التطهير؟ فقال عليّ عليه السلام: يا سلمان، لكم الأجر بالصبر عليه والتضرّع إلى الله والدعاء له، بهما تكتب لكم الحسنات وترفع لكم الدرجات، وأما الوجع خاصة فهو تطهير وكفّارة»[4].

وفي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «إذا مرض المسلم كتب له بأحسن ما كان يعمل في صحته، وتساقطت ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر»[5]. فالشكر على البلاء أولى وأفضل من الشكر على الرخاء. ولذا ورد في الحديث «أنه لما نزل: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾[6]. قال عليّ عليه السلام: علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله بين أظهُرنا، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟ فقال: يا علي، إنّ أمّتي سيُفتنون من بعدي فقلت: يا رسول الله أوليس قلت لي يوم أحد حيث استُشهد من المسلمين وحِيزت عني الشهادة فشقّ ذلك عليّ فقلت لي: أبشِرْ، فإنّ الشهادة من ورائك؟ فقال لي: إنّ ذلك لكذلك فكيف صبرك إذن؟ فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، بل

(١) مثنوي ٢/٢٨٤.
(٢) بحار الأنوار ٨١/١٨٨.
(٣) تحف العقول/٤٩٥.
(٤) بحار الأنوار ٨١/١٨٥- ١٨٦.
(٥) ثواب الأعمال/٢٣٠.
(٦) سورة العنكبوت، آية ١-٢.

من مواطن البُشرى والشكر»[1].

فتلخّص أن الشكر على البلاء والضرّاء ألزم وأعظم من الشكر في الرخاء والسرّاء. ولذا ورد أنّ مولانا الصادق سلام الله عليه، سأل شقيق البلخي، فقال له: «كيف أنتم في بلادكم؟ فقال: إن أُعطينا شكرنا، وإن مُنعنا صبرنا، قال عليه السلام: هكذا كلاب الحجاز يا شقيق! فقال له: كيف أقول؟ فقال عليه السلام: هلاّ كنتم إذا أُعطيتم آثرْتم وإن مُنعتم شكرتم؟»[2].

[في علم الأئمة عليهم السلام]

قال عليه السلام: «وفهّمتني ما جاءت به رسلك، ويسّرت لي تقبُّل مرضاتك ومننْتَ عليّ في جميع ذلك بعونك ولطفك».

يفهم منه أنّ جميع ما أوحي إلى كلّ رسول من الرسل علمه عنده سلام الله عليه، فإنّ الرسل جمع مضاف يفيد العموم، وهو كذلك. كما في رواية فضيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ لله علمًا لم يعلمه إلا هو، وعلمًا علّمه ملائكته ورسله، فما أعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه»[3]. وفي رواية أخرى عنه عليه السلام، قال: «إنّ لله علمًا خاصًا وعلمًا عامًا، فأمّا العلم الخاص فعلمٌ لم يُطلع عليه ملائكته المقرّبين وأنبياءه المرسلين، وقد وقع علينا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم»[4].

وفي معناهما أخبار كثيرة متظافرة. ويستفاد من قوله عليه السلام: «وقد وقع علينا من رسول الله» أنّ أحدًا من الأنبياء والخلْق لم يكن سببًا وواسطة في علمهم إلا جدّهم خاتم الأنبياء[5].

---

(١) نهج البلاغة/٢٢٠ (الخطبة: ١٥٦)، تفسير الصافي ٢/٢٨٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١/٢١٧، الرسالة القشيرية/١٠٥.

(٣) التوحيد للصدوق/١٣٨، باختلاف يسير.

(٤) المصدر نفسه، سفينة البحار ٢/٢٢٦.

(٥) قد بيّن في محلّه أن مأخذ علوم الأئمة من العترة ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واحد، والفرق بينهما بالأصالة والوراثة، وربما يأخذون علومهم في بعض الأحيان عن الحق تعالى بلا

وفي رواية ابن أُذينة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام. وسئل الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال عليه السلام: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا إنّ العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فُضّلت به النبيّون إلى خاتم النبيّين في عترة خاتم النبيّين»[2].

واعلم هداك الله أنّ علمهم عليهم السلام، كان مثل علم جدّهم رسول الله بنحو الشهود والإحاطة والرؤية، لا بالنقل والحكاية أو الاجتهاد والرواية.

ففي رواية سعد بن الخطّاب[3] يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[4]، إنما في: أوَ ما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلى موسى الأمر، وما كنت من الشاهدين؟!»[5].

وأما تيسيره له تقبُّلَ مرضاته فواضح، فإنّه لمّا قال جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «يا حسين، أُخرج إلى العراق، فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً»، - مع أنّه وعد محمد بن الحنفية النظرة في خروجه إلى العراق -، لم يتأمّل أن يطلع الفجر، وخرج في سحر تلك الليلة التي وعد أخاه محمدًا النظرة، وحمل عيالاته ونسوته، لأن الله شاء أن يراهنّ سبايا. ولمّا قال محمد بن الحنفية له عليه السلام: «ألم تَعدْني النظرة يا أخي فيما سألتك؟ قال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال عليه السلام: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعد ما فارقتك، فقال: يا

واسطة.

(١) تفسير القمي/٣٤٣، بحار الأنوار ٣٥/٤٢٩.

(٢) البرهان في تفسير القرآن ٢/٣٠٢.

(٣) كذا في النسختين، ولعلّه تصحيف «سعد الخفاف» أو «الإسكاف» كما في المصدر وكتب الرجال.

(٤) سورة القصص، آية ٤٤.

(٥) البرهان في تفسير القرآن ٣/٢٢٧.

حسين، أُخرج، فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً»[1].

فلمّا رأى أنّ مشية الله ومرضاته في شهادته تقبّلها، بكمال المسرّة والبهجة والنشاط والانبساط، معتذرًا عن كل من يمنعه عن سفر العراق؛ بأنّ رسول صلى الله عليه وآله وسلّم: «قد أمرني بأمرٍ، وأنا ماضٍ فيه»[2]. و«لمّا قال له عبد الله بن جعفر - وقد لحِقه في الطريق، ومعه كتاب من عمرو بن سعيد أمير المدينة، وقد بعث أخاه يحيى بن سعيد ويعد البر والإحسان والأمان له عليه السلام، وألحّ عبد الله بن جعفر ويحيى في رجوعه عن الوجه الذي توجّه إليه، وجهِد في رجوعه -، قال: إن رسول الله أمرني بما أنا ماضٍ له، وكان عليه السلام مُجِدًّا في امتثال أمر جدّه، ولا يلْوي على أحد، وكان يسير سير المشتاقين والعاشقين الوالهين»[3].

كما قال عليه السلام في خطبته التي خطبها بمكة، حين أراد الخروج: «خط الموت على ولد آدم مخطّ القِلادة على جِيدِ الفتاة. وما أولهني إلى أسلافي! اشتياق يعقوب إلى يوسف وخُيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تُقطّعها عسْلان الفلوات بين النواويس وكربلا، فيمْلأنَ مني أكراشًا جُوْفًا وأجربةً سغبًا. لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أجر الصابرين، لن تشُذّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لحمته، بل هي مجموعةٌ له في حظيرة القدس، تقرُّ بهم عينه وينجز بهم وعده»[4].

ويفهم من تشبيهه عليه السلام الموت بالقلادة التي تزيّن بها الفتاة؛ أنّ الموت لا ينقص من الإنسان شيئًا، بل يزيّنه ويزيده كمالاً.

ولنعم ما قال المولويّ في المثنوي:

از جمادی مردم ونانی شدم　　وزنما مردم زحیوان سرزدم

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف/١٢٨.
(٢) المصدر نفسه/١٠١.
(٣) بحار الأنوار ٤٤/٣٦٦.
(٤) الملهوف على قتلى الطفوف/١٢٦، وذيل الخطبة: من كان باذلاً فينا مهجته، وموطّنًا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحًا إن شاء الله.

مردم از حيواني وآدم شدم　　پس چه ترسم كي زمردن كم شدم[1]

وبالجملة فتقبُّله لمرضاة الله أوضح من أن يبيّن. ولذا ورد في الحديث عن مولانا الصادق عليه السلام: «إقرءوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنها سورة الحسين عليه السلام وارغبوا فيها. فقال له أبو أسامة: كيف صارت هذه السورة للحسين خاصة؟ فقال له: ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[2]، إنما يعني الحسين بن علي عليهما السلام، فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية، وأصحابه من آل محمد هم الراضون عن الله تعالى يوم القيامة وهو راضٍ عنهم. وهذه السورة في الحسين بن علي وشيعته وشيعة آل محمد خاصة. من أدمن قراءة الفجر كان مع الحسين بن علي عليه السلام في درجته في الجنة إنّ الله عزيز حكيم»[3].

ولما كان ظهور رضا مولانا الحسين بقضاء الله تبارك وتعالى، وطمأنينة قلبه ورباط جأشه، أبين من كل أحد من الأنبياء والأولياء، – حتى إنّه كلما ازداد البلاء في يوم عاشوراء يظهر منه المسرّة والبهجة، ويقول: هوّن عليّ ما أُنزل بي أنه بعينك –، فإنّ الرضا بالقضاء من لوازم المعرفة بالله، فإنّ من يعرف أن الكل من عند الله وهذا البلاء من عطاياه[4]، كيف لا يسرّ ولا يبتهج؟ ولذا لمّا أتاه السهم المحدّد المسموم ووقع على قلبه الشريف قال: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله»[5].

ولقد قلت في هذا المقام بيتين:

گفت اين از نزد يزدان آمده　　جان دهم بهرش زجانان آمده

چون بود اين تحفه از جانان من　　جا نگيرد جز بقلب وجان من

وبالجملة، فاستلزام المعرفة للرضا واضح. ولذا، قال مولانا جعفر بن محمد الصادق

---

(١) مثنوي ج٢/٢٢٢.
(٢) سورة الفجر، آية ٢٧– ٢٨.
(٣) البرهان في تفسير القرآن ٤/٤٦١.
(٤) «ب»: من عطائه.
(٥) مقتل الحسين للمقرّم/٢٧٨.

عليه السلام: «إنّي[1] أعلم الناس بالله وأرضاهم بقضاء الله تبارك وتعالى»[2].

(١) كذا في النسخ وفي المصدر: إنّ أعلم.
(٢) أصول الكافي ٢/٦٠.

[في مبادئ طينة الناس، ومبدأ خلقة الأئمة عليهم السلام]

قال صلوات الله وسلامه عليه: «ثم إذا خلقتني من حُرِّ الثّرى، لم ترضَ لي يا إلهي بنعمة دون أخرى، ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف الرياض، بمنّك العظيم عليّ، وإحسانك القديم إليّ».

الحرّ بالضمّ: في اللغة يقال للطيب من كل شيء، والثرى: التراب الندي. ولمّا كان العنصر الغالب في بدن الإنسان هو التراب والماء، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ﴾[1]. والثرى: هو الطين، لأن التراب الندي طين. ولما كان تعلّق كل نفس ببدن بحسب قابلية البدن واستعداده، وكلّما كانت المادة التي خلق منها البدن ألطف وأصفى، كانت النفس التي تعلّق بها أشرف وأعلى.

ففي نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام رواه اليمانيّ[2]، عن أحمد بن قتيبة، عن عبد الله بن يزيد، عن مالك بن دحية، قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ذكر عنده اختلاف الناس، فقال: «إنما فرّق بينهم مبادئ طينهم، وذلك أنهم كانوا فِلقةً من سنخ أرضٍ وعذبها، وحَزْنِ تربةٍ وسهلها، فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون، وعلى قدر اختلافها يتفاوتون، فتامّ الرُّواء ناقص العقل، ومادّ القامة قصير الهمة، وزاكي العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السبر، ومعروف الضريبة منكر الجليبة، وتائه القلب متفرّق اللبّ، وطليق اللسان حديد الجنان»[3]. قال ابن ميثم في شرح هذا الكلام: «أي تقاربهم في الصور والأخلاق تابع لتقارب طينتهم ومبادئها المذكورة»[4].

وبالجملة، فواضحٌ أن اختلاف النفوس في الذكاوة، والغباوة، والفطانة والبلادة والحسن، والقبح، تابع لاختلاف استعداداتهم التي في أبدانهم التي خلقت من

---

(١) سورة المؤمنون، آية ١٢.
(٢) هو ذعلب اليماني كما في: نهج البلاغة.
(٣) نهج البلاغة/٣٥٤.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤/١١٥.

المواد المختلفة، المتفاوتة في اللطافة والكثافة، والكيفيات المزاجية من قربها إلى الاعتدال وبعدها عنه، إما لغلبة الحرارة أو البرودة أو الرطوبة أو اليبوسة، ولأجل ذلك اختلفت الأرواح في السعادة والشقاوة والقوة والضعف.

ولذا، ورد في الحديث: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»[1]. فإن الجواهر المتكوّنة في الجبال، مع أنّ الجبال بحسب الصورة متساوية وكلها حجارة، ولكن استعداداتها متفاوتة، فبعضها مستعد للصورة الذهبية، وبعضها للصورة الفضية، وبعضها للصورة العقيقية، وبعضها للصورة الفيروزجية.

ولذا، ذهب المحقّقون من الحكماء والعرفاء إلى أنّ الإنسان، وإن كان بحسب الصورة البدنية الدنيوية نوعًا واحدًا، ولكن بحسب نفسه وروحه وبدنه الآخر ذا أنواع مختلفة متكثّرة، بل غير محصورة، ولذا يرى أولياء الله الناسَ على صور مختلفة، وأنواع متعددة، وعلى صور حيوانات لم توجد ولا توجد في الدنيا، تُستحسّن عندها صور القِرَدة والخنازير. هذان البيتان منسوبان إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

ما أكثر الناس! لا، بل ما أقلّهم ... والله يعلم ما قد قُلته فَندا

إني لأفتح عيني حين أفتحُها ... على كثير، ولكن لا أرى أحدًا[2]

ولمّا كانت نفوس الأئمة الطاهرين في أعلى درجة الشرف والكمال، بحيث لم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق، كانت موادّ أبدانهم من ألطف المواد. ولذا قال عليه السلام: «خلقتني من حُرّ الثرى»، وهو الطيّب من التراب المخلوط بالماء.

ففي بصائر الدرجات بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا أراد الله أن يقبض روح الإمام ويخلق من بعده إمامًا، أنزل قطرةً من ماء تحت العرش إلى الأرض، فيُلقيها على ثمرةٍ أو (على) بقلة، فيأكل تلك الثمرة أو تلك البقلة الإمام الذي يخلق الله من نطفته الإمام الذي يقوم من بعده، قال: فيخلق الله من تلك القطرة نطفة في الصلب...»[3]،

(١) بحار الأنوار ٦١/٦٥.
(٢) ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب/٦٣.
(٣) بصائر الدرجات/٤٣٢.

الحديث.

وفي رواية عن محمد بن مروان، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إن الله إذا أراد أن يخلق الإمام أنزل قطرة من ماء المُزْن، فيقع على كل شجرة، فيأكل منها ثم يواقع، فيخلق الله منه الإمام»[1].

وأما قوله صلوات الله عليه: «لم ترضَ لي يا إلهي بنعمة دون أخرى». يستفاد منه أن كل نعمة أنعم الله تبارك وتعالى على أحد من خلقه أنعم بها على مولانا الحسين، بحيث لم يشُذَّ عنها شيء، ورزقه الله تعالى من أنواع المعاش، وصنوف الرياش، وهو كذلك. ففي الأخبار الكثيرة المتظافرة، بل لا يبعد أن تكون متواترة معنى: أنه يُكتب على عضد الإمام عليه السلام إذا تولّد أو بعد أربعة أشهر في بطن أمّه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾»[2].

وفي بعض الروايات يكتب بين عيني الإمام: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ...﴾[3]، إلى آخر الآية. وكلاهما صحيح، فإنّ من أعظم كمالات النفس وأجلّها صفتي العلم والقدرة. وسائر الصفات الحسنة والكمالات المستحسنة من توابعهما ولوازمهما، فالكتابة بين العينين إشارة إلى أن هذه الكلمة الطيبة في مقام العلم التام، أي ليس له حاجة إلى معلّم بشري، بل هو تامّ مستكفٍ بذاته وباطن ذاته وعلته وبارئه. كما ورد في ذيل الخبر المرويّ في بصائر الدرجات: «فإذا وقع الإمام عليه السلام من بطن أمّه وقع واضعًا يده على الأرض، رافعًا رأسه إلى السماء، فإذا وضع يده على الأرض فإنه يقبض كل علم أنزله الله تعالى من السماء إلى الأرض. وأما رفع رأسه إلى السماء، فإنّ مناديًا ينادي من بطنان العرش من قِبل رب العزة من الأفق الأعلى باسمه واسم أبيه، ويقول: يا فلان بن فلان، أثبِتْ ثبّتك الله، فلعظيم ما خلقتكه[4] أنت صفوتي من خلقي، وموضع سريّ، وعيبة علمي، ولمن تولاّك أوجبت رحمتي، وأسكنته جنتي، وأحللت جواري. ثم

(١) بصائر الدرجات/٤٣١.
(٢) المصدر نفسه/٤٣٢ وفيها روايات كثيرة بهذا المعنى والآية في سورة الأنعام، آية ١١٥.
(٣) المصدر نفسه/٤٣٢.
(٤) كذا في: بحار الأنوار ٢٥/٤٣- ٤٤، وفي المصدر: «خلقك».

– وعزتي – لأصْلينّ من عاداك أشدّ عذابي، وإن أوسعت عليهم من سعة رزقي. فإذا انقضى صوت المنادي أجابه الوصيّ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ﴾[1]، إلى آخر الآية. فإذا قالها أعطاه الله علم الأول وعلم الآخر...»[2]، الحديث.

والمراد من علم الأول وعلم الآخر: علم المبدأ والمعاد. وأما الكتابة على عَضُده الأيمن فإنها إشارة إلى أنّ قدرته تامة، ففي حكاية أمّ سليم: «لما أتت إلى مولانا الحسين صلوات الله عليه لمعرفة دلالة الإمامة التي قال لها رسول الله، – مع أنّها قرأتْ في الكتب المقدّسة التي من الأنبياء أوصافه ونعوته –، قالت أم سليم: أنكرتُ حليته مع أنّي قرأتُ أوصافه في كتب الأنبياء، لصغَر سنه، فإنه عليه السلام كان من أبناء خمس سنين تقريبًا. قالت أمّ سليم: فَسألت منه دلالة الإمامة، فقال: ائتيني بِحَصاة، فرفعت إليه حصاةً من الأرض، فوضعها بين كفيه، فجعلها كهيئة السحيق من الدقيق، ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء فختمها بخاتمه، فثبت[3] النقش فيها، ثم دفعها إليّ، وقال لي: أنظري فيها يا أمّ سليم، فهل تَرين فيها شيئًا؟ قالت: فنظرت فإذا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، وتسعة أئمة أوصياء من ولد الحسين، ثمّ رفع يده إليّ فصعقت أمّ سليم من هذه القدرة»[4]. ولمّا كانت صورة الأنبياء مظهر اسم الله، – وهو الذات المستجمع لجميع الكمالات –، وخليفة الله، ففيها تمام الكمالات مَطْوية. ولذا، قال مولانا الصادق عليه السلام: «الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كَتَبه الله بيده»[5].

(١) سورة آل عمران، آية ١٨.
(٢) بصائر الدرجات/٤٤٠–٤٤٢.
(٣) في مقتضب الأثر/٢٤: «فبدأ».
(٤) المناقب ٤/١٣٣.
(٥) تفسير الصافي ١/٥٨.

[في حقيقة الرزق ومعانيه]

والرزق: هو ما ينفع ويُتقوى به. ولمّا كان معظم الناس لا يرون من الإنسان إلا هذا البدن الكثيف المحسوس، جعلوا الرزق ما يتقوى ويتغذى به البدن، ولم يتفطّنوا أنه كما يحتاج البدن إلى ما ينتفع ويتغذى به، كذلك نفسه وروحه لها غذاء ورزق يتغذى ويرتزق به. ولذا، فسّر مولانا الصادق عليه السلام هذه الآية الشريفة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1] أي ومما علمناهم يبثّون[2]. ولمّا كان الإمام يعرف أن حقيقة الإنسان هو روحه، فسّره برزق العلم، وكذا فسّر - بهذا التفسير - الرزق في هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾[3]. قال عليه السلام: «هؤلاء قوم من ضعفاء شيعتنا ليس عندهم ما يحملون به إلينا، فيستمعون أحاديثنا ويقتبسون من علمنا، فيرتحل قوم منهم وينفقون أموالهم ويُتعبون أبدانهم، حتى يدخلوا علينا، فيسمعوا حديثنا وينقلوا إليهم»[4].

ولعلّ قوله عليه السلام في هذا الدعاء: «ورزقتني من أنواع المعاش»، رزق البدن والروح كلاهما، ولكل منهما تعيّش. ولذا، قال بعض الأكابر من الحكماء والعرفاء: فكما أنّ البدن إذا لم يصل إليه الغذاء ثلاثة أيام يموت ويهلك، فكذا الروح إذا لم يصل إليه غذاؤه من العلم والمعرفة يموت[5]. ورزق الأرواح متفاوت لتفاوت مراتبها، فرزق خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلّم، لا يمكن أن يكون لغيره، فرزق روحه يكون من الله بلا واسطة. ولذا، قال صلى الله عليه وآله وسلّم: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[6]. وربه ومربيه ليس إلا الله تبارك وتعالى من دون واسطة. ولذا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[7]. والذي أنا أفهم

(١) سورة البقرة، آية ٣.
(٢) مجمع البيان ١/٣٩.
(٣) سورة الطلاق، آية ٢ - ٣.
(٤) البرهان في تفسير القرآن ٤/٣٤٨، تفسير الصافي ٢/٧١٢.
(٥) علم اليقين ١/١١٦.
(٦) صحيح البخاري ٨/١٣١، مع اختلاف يسير.
(٧) سورة طه، آية ١٣١.

من هذه الآية الشريفة أنّ المراد: رزق نفسه المقدّسة يفيض عليه من عند ربه، لا رزق بدنه الذي من الأغذية الدنيوية، فإنه لا بقاء له، فإن الدنيا دار زوال وارتحال، فكيف يكون أبقى؟ ولمّا كانت عوارض النفس تسري إلى البدن كما هو مشاهد؛ كالحزن، فإنه يوجب هُزال البدن، والفرح يوجب سِمنه، مع أنّ غذاء بدنه لم يتفاوت، فإذا تغذى الروح بالغذاء الغيبي، ربما يستغني عن الغذاء الدنيوي. ولنعم ما قيل:

گر خوري يك لقمه از مأكول نور　　خا كريزى بر سر نار تنور

ولذا، نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عن صوم الوصال، وكان يواصل، قيل له في ذلك، فقال: «إني لست كأحدكم، إني أظلّ عند ربي فيطعمني ويسقيني»[1].

والرِّياش: إما جمع الريش كما قيل، وإما مفرد واسم جنس كالريش، فالريش والرياش مثل الحِلّ والحلال، وهو ما يتجمّل ويتزيّن به. وقيل: ومنه ريش الطائر، لأنه سبب زينته وجماله. ويقال: للمال الكثير، لأنه سبب جمال الرجل عند الناس، وبه فسّر ابن عباس ومجاهد والسديّ «الريش» في الآية الشريفة[2]. ويقال: راش الرجل إذا تموّل. وقال بعض المفسّرين: الريش في الآية، الكمال.

وبالجملة، فالحاصل من الكل أن الريش هو ما يتجمّل ويتزيّن به، ولما كان ما يتزيّن به ويتجمّل عند الناس مختلفًا فبعضهم يتجمّل ويفتخر بالمال، وبعضهم باللباس، وبعضهم بالنَّسب، وبعضهم بالعلم والأدب، ولذا اختلف في بيان الريش وتفسيره، ونسب هذا البيت إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

ليس الكمال بأثواب تزين بها　　إنّ الكمال جمال العلم والأدب[3]

إذا عرفت هذا فاعلم أن مولانا الحسين عليه السلام، قد تزيّن وتجمّل بأصناف الجمال وأنواعه: أما جوده وشجاعته فهما نِحلة رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) صحيح البخاري ٨/١٣١، وسائل الشيعة ٧/٣٨٨.

(٢) المراد الآية: ٢٥ من سورة الأعراف، وانظر تفسير الآية في مجمع البيان ٢/٤٠٩، مع ذكر الأقوال.

(٣) ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب/٣٦. وفيه:
ليس الجمال بأثوابٍ تُزيِّنُنا　　إنّ الجمالَ جمالُ العقلِ والأدبِ

وسلّم. ومعلوم أن جود النبي وشجاعته أكثر من كل بشر، وكذا علمه كما عرفت. وأما تجمّله وتزينه بالنسب، فليس في ولد آدم أحدٌ يوازيه ويماثله في شرف النسب إلا أخاه الحسن الزكي صلوات الله عليهما، فإنه لم يكن أبا أحد في الشرف كأبوي هذين الأخوين الشمسين النيّرين ، حتى جدهما رسول الله.

وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الناس ومعه الحسن والحسين، «فقال: يا أيها الناس، ألا أخبركم بخير الناس جدًا وجدة؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، جدُّهما رسول الله، وجدّتهما خديجة بنت خويلد، ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس أبًا وأمًا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، أبوهما علي بن أبي طالب، وأمهما فاطمة بنت محمد، ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس عماً وعمّةً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، عمهما جعفر بن أبي طالب وعمّتهما أم هاني بنت أبي طالب. ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس خالاً وخالةً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، خالهما قاسم بن رسول الله، وخالتهما زينب بنت رسول الله»[1]. وكان عليه السلام يفتخر بنسبه، ففي أرجوزته في يوم عاشوراء:

أنا ابن علي الطُهْر من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخرًا حين أفخر

وجدّي رسول الله أكرم من مضى ... ونحن سراج الله في الخلق يُزْهِرُ

وفاطم أمي من سلالة أحمدٍ ... وعمّي يدعى ذو الجناحين جعفر[2]

وفي أرجوزة أخرى له عليه السلام:

من له جدّ كجدّي في الورى ... أو كشيخي، فأنا ابن العَلَمَين

خيرة الله من الخلق أبي ... ثمّ أمي، فأنا ابن الخيرتين[3]

وقوله عليه السلام: «بمنّك العظيم عليّ وإحسانك القديم».

---

(١) بحار الأنوار ٤٣/٣٠٢.
(٢) الفتوح لابن أعثم ٥/١٣٤.
(٣) المصدر نفسه/١٣٣.

فالمراد أنّ منّك القديم وإحسانك يوجب أن تعطيني جميع النعم وأن تزيّنني بصنوف الرياش، وذلك واضح، فإنّ البدن لا بدّ أن يكون مناسبًا للروح. ولمّا كان روحه المقدّس نورًا في سرادق يسبّح الله، وبتسبيحه سبّحت الملائكة قبل أن يخلق آدم[1]. فلا بدّ أن يكون بدنه الدنيوي حاويًا لجميع الكمالات البدنية.

فقد روى الشيخ الصدوق رحمة الله عليه، بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ، قال: كنا جلوسًا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إذا أقبل إليه رجل، فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[2]، فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا، قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله عزّ وجل آدم أمر الله الملائكة أن يسجدوا له، ولم يؤمروا بالسجود إلا لأجلنا، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس، فإنه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، أي من الخمس المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش. فنحن باب الله الذي يؤتى منه، بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبنا أحبّه الله وأسكنه جنته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبّنا إلا من طاب مولده»[3].

قال صلوات الله وسلامه عليه: «حتى إذا أتممت علي جميع النعم، وصرفت عنّي كل النقم، لم يمنعك جهلي وجرأتي عليك أن دللتني على ما يقرّبني إليك، ووفّقتني لما يزلفني لديك».

وهذه الفقرة صريحة في أن جميع ما يمكن ويتصوّر من الكمالات النفسانية والبدنية قد أعطاه الله تبارك وتعالى، وأنّه لن يصيبه نقمة من النقم [حتى] أُعلم أنّ ما أصابه من البلاء والمحن لم يكن إلا نعمة وعطية.

---

(١) والروايات في خلقة أنوارهم عليهم السلام كثيرة، نقل بعضها المحقّق البارع الشيخ محمد حسن المظفّر في: **دلائل الصدق** ٢/٢٢٢-٢٣٢.

(٢) سورة ص، آية ٧٥.

(٣) **البرهان في تفسير القرآن** ٤/٦٤.

وأما الجهل لغة: خلاف العلم والعقل والمعرفة. ولمّا كان العلم قد يتعلّق بالأمور التي لا تعلّق لها بالعمل، – ويقال له الحكمة النظرية –، كمعرفة الله وملائكته وأنبيائه ورسله واليوم الآخر. وقد يتعلّق بالأمور العملية من معرفة طريق تنزيه النفس، وتدبير المنزل، وسياسة المدن، وطريق المعاشرة مع الناس، ويقال له الحكمة العملية، كذلك يطلق الجهل على عدم كلٍّ منهما، فإطلاقه على عدم الأول واضح سائغ، وأما إطلاقه على عدم الثاني؛ فكقوله تبارك وتعالى حكاية عن موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام بعد أمره بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة، قالوا له: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾[1]، لأنهم سألوا أن يكشف لهم القاتل، ولا مناسبة – بحسب عقولهم القاصرة– بين سؤالهم وأمر موسى بذبح البقرة، فقال موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[2]، فإنّ الاستهزاء بالناس، خصوصًا من سائسهم ونبيّهم، خلاف العقل والحكمة العملية.

وأما إسناده عليه السلام، في هذا الدعاء، الجهل إلى نفسه فهو على سبيل الانكسار والنظر إلى جهة الإمكانية، فإنّ الممكن في نفسه فاقد لكل كمال. وبهذا الوجه قال ولده سيّد الساجدين عليه السلام في دعائه: «أنا الجاهل الذي علّمتَه، وأنا الضالّ الذي هديته»[3]. وبهذا الوجه يصح أن يقال في قوله تعالى في مقام المنّة على نبيّه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾[4]، فإنّه صلى الله عليه وآله وسلّم لمّا لم يكن في نفسه شيئًا مذكورًا، وكان معدومًا صرفًا، وكذلك لم يكن مهتديًا ومتصفًا بشيءٍ من الكمالات، فإنّ الممكن من ذاته «ليس»، ومن علته «أيس»، وبهذا النظر يستغفرون الله تبارك وتعالى من ذنوبهم، فإنهم يرون الالتفات إلى غير الله تعالى واشتغالهم بأمور المعيشة التي لا بدّ منها، وتدبيرهم للمنزل، وسياسة المدن التي يجب القيام بها ذنباً، «فإنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين»[5].

ولذا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «إنه لَيُغانُ على قلبي، وإني

(١) سورة البقرة، آية ٦٧.
(٢) سورة البقرة، آية ٦٧.
(٣) من فقرات دعاء أبي حمزة الثمالي.
(٤) سورة الضحى، آية ٦– ٧.
(٥) سر العالمين/٦٤.

لأستغفر الله كل يوم سبعين»[1]. فإنّ نفسه الشريفة، وروحه اللطيف، يتكدّر من معاشرة النفوس الخسيسة، ومباشرة الأمور الدنيوية الكثيفة.

اختلاط خلق يا بد اعتلال　　زين سبب گويد أرحني يا بلال[2]

فإن راحته عليه السلام في أن يكون دائمًا أنسه بالله، ولا يستأنس بأحد غيره. ولذا قال الصادق عليه السلام، بعد بيان أنه لا بدّ للعبد من مداومة التوبة على كل حال: «وكل فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء من اضطراب السرّ»[3]. معناه أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، لا بدّ له من اختلاط الخلق والارتباط بهم، ليعلّمهم ويهديهم ويزكّيهم ويطهّرهم، فهو طبيب نفوس المرضى، فلا بدّ أن يستأنس بهم ليشفيهم من داء الجهل، فهو صلى الله عليه وآله وسلّم في مقام وحال مع الله، كما قال الإمام عليه السلام: «إنّ لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرّب»[4].

وفي مقام البشر كأحد الناس، يأكل كما يأكلون، ويمشي كما يمشون، كما قال الله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[5].

(١) مستدرك وسائل الشيعة، ٣٨٧/١، كنز العمال ٤٧٦/١، حديث ٢٠٧٥. نسخة «ب»: لَيُران.
(٢) مثنوي ١٦/٣.
(٣) مصباح الشريعة/٩٧.
(٤) مفاتيح الغيب/٤٠، نفحة الروح وتحفة الفتوح/١٢٧، أحاديث مثنوي/٣٩.
(٥) سورة المؤمنون، آية ٣٣.

الأعـــلام

أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف: رسول الله وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلّم أجمعين. ولد بمكة في ربيع الأول عام الفيل عاش مع أمّه آمنة بنت وهب سنتين، وكفله بعدها جدّه عبد المطلب. ثم عمّه أبو طالب. بعث بالنبوّة في رجب سنة أربعين من عام الفيل، وله أربعون سنة وكان صلى الله عليه وآله جامعًا لمكارم الأخلاق، حتى قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ولمّا رجع من حجة الوداع بعد مضي ثلاث وعشرين من نبوّته، أوصى الأمّة الإسلامية بالثقلين، ونصّب فيها عليًّا بالوصاية والخلافة والولاية. قبض صلّى الله عليه وآله وسلم لليلتين بقيتا من صفر، سنة إحدى عشرة للهجرة، وكان عمره الشريف ٦٣ سنة. انظر: أصول الكافي ٤٣٩/١، إعلام الورى/١٣، مروج الذهب ٢٦٥/٢، الأنوار البهية/١٧.

عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام: أول أئمة المسلمين، وخلفاء الله تعالى في العالمين، بعد سيّدنا محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلّم. كان مولده بمكة في الكعبة المشرّفة بعد عام الفيل بثلاثين سنة. نشأ في حِجْر الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، ولم يزل معه حتى بعثه الله تعالى بالنبوّة، فكان أول من آمن به ومشاركًا له في حجته، فهو أخوه ووزيره ووصيّه بحكم القرابة ونصوص الخلافة. استشهد بالكوفة سنة أربعين، ودفن في الغريّ من النجف ليلاً، خوفًا من بني أمية. انظر: أصول الكافي ٤٥٢/١، تاريخ اليعقوبيّ ١٨٨/٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي/١٨٥، الإرشاد للمفيد ٢٩/١.

فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: سيدة نساء العالمين، وبضعة خاتم النبيّين، وأم الأئمة الطاهرين صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها. ولدت بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بخمس سنين، وكانت من أهل العباء والمباهلة، وممّن نزلت فيهم آية التطهير، ولها أمومة الأئمة. وعقب الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، توفّيت لثلاث خلَون من جُمادى الآخرة سنة إحدى

عشرة من الهجرة، بعد أن صُبّت عليها مصائب كثيرة بعد أبيها، واشتكت شكواها ومرضت مرضًا شديدًا ودفنت بالليل. شهد جنازتها خواصّ أهل البيت، ونفر من بني هاشم. انظر: تفصيل حياتها وبعض فضائلها في: أصول الكافي ٤٥٨/١، إعلام الورى/١٥٤، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١٢٢/٣، الأنوار البهية/٧، بحار الأنوار ٢/٤٣.

أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام بعد أمير المؤمنين عليه السلام، وثاني أئمة المسلمين. كان أشبه الناس خلقًا وسؤددًا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ولد ليلة النصف من شهر رمضان، سنة ثلاث من الهجرة، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: إنّ ابني هذا سيد يُصلِح الله به فئتين من المسلمين. دسّ إليه معاوية السمّ على يد زوجته في سنة خمسين من الهجرة، ودفن بالبقيع. انظر: الإرشاد للمفيد ٥/٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي/١٨٧، أصول الكافي ٤٦١/١، وفيات الأعيان ٦٥/٢.

سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: ثالث أئمة المسلمين، وخليفة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. ولد لخمس ليالٍ خَلَون من شعبان، سنة أربع من الهجرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فيه وفي أخيه: هما ريحانتاي من الدنيا، وسيّدا شباب أهل الجنة. كان أكرم الناس بعد جدّه وأبيه. وأعظم جودٍ صدر منه عليه السلام جوده بنفسه وأهل بيته في سبيل الله فداءً للدين، وإحياءً لشريعة جدّه سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله أجمعين، قتل عطشانًا في عاشر المحرّم سنة ٦١. انظر: أصول الكافي ٤٦٣/١، مروج الذهب ٥٤/٣، الإرشاد للمفيد ٢٧/٢.

زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام: الإمام بعد أبيه الحسين عليه السلام، ورابع أئمة المسلمين، وخلفاء الله في العالمين، ولد سنة ثمان وثلاثين، بقي مع أبيه ثلاثًا وعشرين، وبعد أبيه أربعًا وثلاثين. قال الزُّهري: لم أدركْ أحدًا من أهل هذا البيت أفضل من عليّ بن الحسين ولا أفقه منه. سمّه الوليد بن عبد الملك في المحرّم، سنة ٩٥. انظر: أصول الكافي ٤٦٦/١، الإرشاد للمفيد ١٣٧/٢، وفيّات

الأعيان ٣/٢٦٦.

أبو جعفر الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام: الإمام بعد أبيه علي بن الحسين عليه السلام، وخامس أئمة المسلمين وخلفاء الله تعالى في العالمين. روى عنه بقايا الصحابة ووجوه التابعين، كانت مدرسته بالمدينة في داره في المسجد، يأتيه الفقهاء والعلماء ويأخذون أحكام الدين. قال عطاء المكّي: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر الباقر عليه السلام. وأمّه فاطمة بنت الحسن بن عليّ عليه السلام، فهو فاطميّ بين فاطميّين. ولد سنة ٥٧ هـ. ولحق بربّه شهيداً في رجب سنة ١١٤. انظر: أصول الكافي ١/٤٦٩، الإرشاد للمفيد ٢/١٥٧، وفيات الأعيان ٤/١٧٤.

أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام: الإمام بعد أبيه محمد الباقر عليه السلام، وسادس أئمة المسلمين، وخلفاء الله في العالمين. سئل أبو حنيفة: من أفقه من رأيت؟ قال: ما رأيت أفقه من جعفر الصادق عليه السلام. ومع ذلك لم يخرج له البخاري في صحيحه، واسماء الرواة عنه تبلغ أربعة آلاف. ولد بالمدينة سنة ٨٠هـ، وكانت مدّة إمامته أربعًا وثلاثين وتوفي مسمومًا في أيام المنصور سنة ١٤٨هـ. انظر: أصول الكافي ١/٤٧٢، الإرشاد للمفيد ٢/١٧٩، سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٥.

أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر بن محمد عليهم السلام: الإمام بعد أبيه، وسابع أئمة المسلمين، وخلفاء الله تعالى في العالمين. ولد لسبع خلَون من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة، وقبض مسمومًا ببغداد في حبس السِّنديّ بن شاهك لستٍّ خلون من رجب سنة ١٨٣. كان أعبد أهل زمانه وأفقههم وأسخاهم كفًا، وأكرمهم نفسًا، وكان يصلي نوافل الليل ويَصِلُها بصلاة الصبح، ويعقّب إلى طلوع الشمس ويخرّ ساجدًا لا يرفع رأسه حتى يقرب الزوال. انظر: أصول الكافي ١/٤٧٦، الإرشاد للمفيد ٢/٢٤٤، وفيات الأعيان ٥/٣٠٨.

أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر عليهم السلام: الإمام بعد أبيه موسى الكاظم عليه السلام، وثامن أئمة المسلمين، وخلفاء الله تعالى في العالمين، لفضله على أهل بيته، ولنصّ أبيه على إمامته، ما زال المأمون يكاتبه بقبول الخلافة، ثم بقبول ولاية العهد

بعده، وبعد مقالات أُجرّت إلى الإكراه، قال الرضا عليه السلام: فإني أجيبك على أنّني لا آمر ولا أنهى، ولا أفتي ولا أقضي، ولا أولّي أحدًا. ولد سنة ١٤٨ في ذي القعدة، وقبض مسمومًا بطوس سنة ٢٠٣. انظر: أصول الكافي ٤٨٦/١، الإرشاد للمفيد ٢٤٧/٢، وفيات الأعيان ٢٦٩/٣.

أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليهما السلام: الإمام بعد أبيه علي الرضا عليه السلام، وتاسع أئمة المسلمين، وخليفة الله تعالى في العالمين، كان مولده سنة ١٩٥ في شهر رمضان، وعاصر اثنين من ملوك بني العباس. كان أعلم أهل زمانه، فزوّجه المأمون ابنته أم الفضل وطلبه إلى بغداد، وبعد أن استأذن المأمون في الحج لم يزل مقيمًا بالمدينة إلى أن أشخصه المعتصم إلى بغداد لليلتين بقيتا من المحرّم سنة ٢٢٠، وقبض مسمومًا بها في آخر ذي القعدة من تلك السنة. انظر: أصول الكافي ٤٩٢/١، الإرشاد للمفيد ٢٧٣/٢، وفيات الأعيان ١٧٥/٤.

أبو الحسن علي الهادي بن محمد بن علي عليهم السلام: الإمام بعد أبيه، وعاشر أئمة المسلمين، وخلفاء الله تعالى في العالمين: ولد بقرية من نواحي المدينة سنة ٢١٢ في منتصف ذي الحجة. أشخصه يحيى بن هرثمة بأمر المتوكل إلى سُرّ من رأى وكانت مدة إمامته ثلاثًا وثلاثين سنة. عاش اثنتين وأربعين سنة، وتوفي شهيدًا مسمومًا في الخامس من رجب، سنة ٢٥٤؛ كان مقامه بسرّ من رأى - إلى أن توفّي - مدة سنة وأشهر. انظر: أصول الكافي ٤٩٧/١، الإرشاد للمفيد ٢٩٧/٢، وفيات الأعيان ٣٧٢/٣.

أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام: الإمام بعد أبيه علي الهادي، وحادي عشر أئمة المسلمين، وخلفاء الله تعالى في العالمين. كان مولده بالمدينة في ثمان خلت من ربيع الآخر سنة ٢٣٢؛ بقي مع أبيه اثنتين وعشرين سنة وكانت مدة إمامته ست سنوات وكانت أيامه أيام شدة وضيق وخوف. عاصر ثلاثة من ملوك بني العباس وسمّي بالعسكري لأنّ المحلة التي يسكنها هو وأبوه عليهما السلام كانت تسمّى «العسكر». قبض مسموماً لثمانٍ خلون من ربيع الأول سنة ٢٦٠. انظر: أصول الكافي ١-٤٩٧، الإرشاد للمفيد ٣١٣/٢، وفيات الأعيان ٩٤/٢.

الإمام المهدي صاحب الزمان ابن الحسن العسكري عليهما السلام: حجة الله بعد أبيه الحسن بن علي عليه السلام، وثاني عشر أئمة المسلمين، وخليفة الله تعالى على الخلق أجمعين. أخبر به النبي صلى الله عليه وآله متواترًا من طرق الفريقين، وعليه إجماع كافة المسلمين. قد صنّف في أخباره الكنجي الشافعي كتابًا سمّاه «البيان في أخبار صاحب الزمان». وصنّف علماء الشيعة كتابًا سمّاه «كشف المخفي في مناقب المهدي». وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جورًا. ولد سنة ٢٥٥ هـ كان له حين وفاة أبيه خمس سنين، وبعد أن غاب عن رؤية الناس مدة سبعين سنة، – مع اتصال الناس به عن طريق وكلائه الأربعة –، وقعت له الغيبة الكبرى، إلى أن يظهره الله تعالى، ويقوم بالسيف وحيث يظهر المهدي يجعل الولاية المطلقة ظاهرة بلا خفاء، ويرفع الظلم واختلاف المذاهب. انظر: أصول الكافي ١/٥١٤، الإرشاد للمفيد ٢/٣٣٩، إعلام الورى /٣٦، وفيات الأعيان ٤/١٧٦، مروج الذهب ٤/١١٢، بحار الأنوار ١/٥١–٣٨٠.

آدم عليه السلام: سمّي به لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: هو اسم أعجميّ لا انشقاق، له كآذر وروي أنه ليس لأهل الجنة كُنىً إلا لآدم، فإنه يكنّى بأبي محمد، توقيرًا وتعظيمًا. وسمّيت حوّاء حوّاء لأنها خلقت من حيّ يعني ضلع آدم. وتفصيل قصصهما وهبوطهما إلى الأرض وسائر حالاتهما مذكورة في بحار الأنوار ١١/٩٧– ٢٤٩، الكامل في التاريخ ١/١٧، ٢٤.

آذر بن ناحور بن ساروغ: كان عم إبراهيم، وصانع الأصنام، ومنجّمًا لنمرود أخبره بولد سيولد فيكون هلاك نمرود على يديه. وتفصيل قصته في: فروع الكافي ٢/٢١٧، بحار الأنوار ٥٨/٢٣٧، وأجمعت الشيعة على أن آذر كان عم إبراهيم لا أباه، وإطلاق الأب على العم شائع في لغة العرب، انظر تفصيل ذلك في: بحار الأنوار ١٥/١١٧.

إبراهيم الخليل بن تارخ بن ناحور: هو النبي الكريم، وأبو الأنبياء عليهم السلام. ولد بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف سنة. وأمه «أميلة» أو «ديونا»، توجّهت

نحو الصحراء عندما جاءها المخاض، فأنجبت إبراهيم وأخفته في غار، خوفًا من الملك الجائر، وبعض قصصه جاءت في القرآن. عاش ١٧٥ سنة أو أكثر. وقبره في مزرعته حبرون، وتسمّى اليوم مدينة الخليل. انظر: تاريخ اليعقوبي ٢٤/١، مجمع البيان ٥٢/٤.

إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: وأمّه ماريا القبطية، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ولد من غير خديجة إلا هذا. ولد بالمدينة سنة ثمان من الهجرة، في شهر ذي الحجة، مات وله سنة وستة أشهر، وقبره بالبقيع. انظر: إعلام الورى/١٤٨، الكامل في التاريخ ١٨٦/٢.

أبو شاكر الدّيصاني عبد الله: كان قائلاً بتعدد الآلهة، كما يظهر من مناظرته مع هشام بن الحكم. وقال المحدّث القميّ: لعلّ هذا الديصاني كان قائلاً بإلهين: نورٌ مُلكُه، السماء وظلمةٌ مُلكها الأرض، وعليه أوّلَ: «هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله»، بما يوافق مذهبه، ولا يبعد دخوله في الإسلام بعد محاورته مع الصادق عليه السلام. انظر: تعليقات النقض ٨٠/١، سفينة البحار ٤٧٤/١.

ابن أبي العوجاء عبد الكريم: من ملاحدة العرب في عصر الإمام الصادق عليه السلام. كان أولاً من تلامذة الحسن البصري ثم انحرف، فقتله محمد بن سليمان عامل الكوفة، بأمر المنصور سنة ١٦٠. انظر: ميزان الاعتدال ١٤٤/٢، الكنى والألقاب ١٩٦/١.

(أبو محمد عبد الله) ابن أبي يعفور العبدي الكوفي: ثقة جليل في أصحابنا، وكريم على أبي عبد الله الصادق عليه السلام، ومات في أيامه سنة الطاعون، وفي حقه كتب الصادق عليه السلام إلى المفضّل بن عمر: «ما كان في عصرنا أحد أطوع لله ولرسوله ولإمامه منه، فما زال كذلك حتى قبضه الله إليه برحمته...». تنقيح المقال ١٦٥/٢- ١٦٦، هامش الخلاف ١٨٣/١.

(عمر بن محمد بن عبد الرحمن) ابن أُذينة: يُدعى بابن أُذينة إسنادًا إلى جدّ أبيه من حيث إن له شرفًا بين الأصحاب، كان شيخ أصحابنا البصريين ووجههم. عدّه

الشيخ في رجاله من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام. اختفى من الخليفة العباسي، فمات باليمن. انظر: رجال النجاشي/٢٨٣، تنقيح المقال ٣٤٠/٢، هدية الأحباب/٤٨.

أبو بكر محمد بن علي بن محمد المدعوّ: بابن عربيّ الطائيّ الأندلسي والشيخ الأكبر محيي الدين: من أركان أرباب الفلسفة والعرفان والمكاشفة، قدوة القائلين بوحدة الوجود، كان معاصرًا للشيخ عبد القادر الجيلاني. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، له رحلات إلى بلاد كثيرة. سجن في آخرها في البلاد المصرية، وبعد أن نجا منها استقر في دمشق، وتوفي بها سنة ٦٣٨هـ. انظر: فوات الوفيات ٢٤١/٢، شذرات الذهب ١٩٠/٥، روضات الجنات ٥١/٨، الأعلام للزركلي ٢٨٢/٦.

ابن الكوّاء عبد الله بن أبي أوفى عمرو اليشكريّ: صار من الخوارج بعد أن كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يؤذيه عليه السلام حينما يؤم الصلاة، مات بالكوفة سنة ٨٠. انظر: الفهرست لابن النديم /١٠٢، الكنى والألقاب ٣٨٩/١، تنقيح المقال ١٥٩/٢.

ابن مسكان أبو محمد عبد الله الكوفي مولى عنزة: كان ثقة من أروى أصحاب الصادق عليه السلام، وممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم، وكان رجلاً موسرًا، مات في أيام أبي الحسن الكاظم عليه السلام، قبل الحادثة؛ أي حمله عليه السلام إلى بغداد. انظر: تنقيح المقال ٢١٦/٢، رجال الكشي/٣٧٥، هامش الخلاف ١٢٩/١.

أبو أروى الدوسي الحجازي الصحابي: كان ينزل ذا الحليفة. روى عنه أبو سلمة وأبو واقد. مات في آخر حكم معاوية وكان عثمانيًّا، قال يحيى بن معين: سنده ضعيف. انظر: أسد الغابة ١٣٤/٥، و٩/٦، الإصابة ٥/٤.

أبو بصير ليث بن البختري المرادي: من أصحاب الإجماع، ومن حواريي الباقر والصادق عليهما السلام، روي أنه كان من الأربعة الذين لولاهم لانقطعت آثار

النبوة واندرست. ويسمّى يحيى بن القاسم الأسدي بأبي بصير أيضًا، قيل لأبي عبد الله عليه السلام: ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء، فمن نسأل؟ قال: عليك بالأسدي، يعني أبا بصير، توفي الأخير سنة ١٥٠. انظر: هدية الأحباب/٥، الكنى والألقاب ١٨/١.

أبو بكر واسمه عبد الله بن أبي قحافة: أمه أم الخير سلمى أو ليلى بنت صخر. ولد بعد الفيل بسنتين أو ثلاث. صاحب الرسول في هجرته إلى المدينة وسكن «سنح» خارج المدينة، وكان يحلب للحي أغنامهم حتى ولي الخلافة، توفي سنة ١٣ هـ، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٤ حديثاً. انظر: الكامل في التاريخ ١٦٣/٢، معالم المدرستين ٨٠/١.

أبو جهل عمر بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أحد سادات قريش، وأشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم في صدر الإسلام، كان يُقال له: أبو الحكم، فدعاه المسلمون أبا جهل. يثير الناس على محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وأصحابه، ولا يفتر عن إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها. انظر: السيرة الحلبية ٣٣/٢، الأعلام للزركليّ ٢٦١/٥.

أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي: عماد الشيعة، رافع أعلام الشريعة، شيخ الطائفة على الإطلاق. صنّف في جميع علوم الإسلام، تتلمذ على الشيخ المفيد والسيد المرتضى وغيرهما، وتلامذته يزيدون على ثلاثمائة من الخاصة والعامة، ولد سنة ٣٨٥، بعد وفاة الشيخ الصدوق بأربع سنين، وتوفي في النجف سنة ٤٦٠. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٣٤/١٨، أعيان الشيعة ٤٢/ ٣٣، هدية الأحباب/٩، الفوائد الرضوية/٤٧٢.

أبو حمزة الثمالي ثابت بن أبي صفية دينار الكوفي: ثقة جليل القدر، يعرف بلقمان زمانه، لقي الأئمة الأربعة: علي بن الحسين، والباقرين، وأبا الحسن عليهم السلام مات سنة ١٥٠. انظر: رجال النجاشي ١١٥، منتهى المطلب ٢٢٦/٢، هدية الأحباب/١١٤.

أبو الدرداء عويمر أو عامر بن مالك الأنصاري: تأخر إسلامه، وشهد الخندق وما بعدها. روى عنه أصحاب الصحاح ١٧٩ حديثاً. ولي قضاء دمشق على عهد عثمان، وتوفي بها سنة ٣٣. انظر: أسد الغابة ٥/١٥٩، سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٥.

أبو ذرّ جندب أو برير بن جنادة الغفاري: أحد السابقين في الإسلام، شهد ما بعد بدر من غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٨١ حديثاً. وقصته مع عثمان ونفيه إلى الرّبذة مما يؤلم القلب. توفي رحمه الله فيها سنة ٣٢. انظر: تاريخ الطبري ٤/٢٨٣، سير أعلام النبلاء ٢/٤٦، هدية الأحباب/١٧.

أبو سعيد سعد بن مالك الخزرجي الخُدْري: صحابي جليل من الأنصار، شهد الخندق وما بعدها. روى عنه أصحاب الصحاح ١١٧٠ حديثاً، مات بالمدينة بعد ستين، وقيل: سنة أربع وسبعين: انظر: معالم المدرستين ١/٤٣، نقلاً عن أسد الغابة ٢/٢٨٩، هدية الأحباب /٢١.

أبو منصور العجليّ: هو رجل كوفي من عبد قيس، ادعى وصاية الباقر عليه السلام، ثم النبوة لنفسه ولولده. طلبه خالد بن عبد الله القسري وما ظفر به. صَلَبه يوسف بن عمر الثقفي في أيام هشام. انظر: المقالات والفرق/٤٦، رجال الكشي/١٩٦.

أبو هريرة الدوسي عبد الرحمن بن صخر: اختلف في اسمه ونسبه، صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أقلّ من أربع سنين، ومع ذلك روى عنه ٥٣٧٤ حديثاً على ما في المجاميع الحديثية، وتكفّل بعض العلماء بتحقيق حاله وبعض رواياته المختلفة، ومنهم العلامة العسكري في معالم المدرستين ٢/٤٩، والشيخ محمود أبو رية في كتابه: أبو هريرة شيخ المضيرة. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٥٧٨.

أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل اليمني المزني: أخذ عن الشافعي، له كتاب المختصر في فروع الشافعية. مات بمصر سنة ٢٦٤. انظر: الفهرست /٢٩٨، طبقات الشافعية للسبكي ١/٢٣٨، منتهى المطلب ١/١٧٣.

أحمد بن قتيبة: قال ابن ميثم في شرحه على نهج البلاغة: إن اليماني وأحمد بن قتيبة،

وعبد الله بن يزيد ومالك، من رجال الشيعة ومحدّثيهم. ولم نعثر لأحمد بن قتيبة على ترجمة أكثر من هذا. انظر: شرح نهج البلاغة لابن ميثم ١١٥/٤، أعيان الشيعة ٦٧/٣.

إرميا: كان نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل في عصر بخت نصّر، فلما علم بقدوم بخت نصّر إلى بيت المقدس أخذ تابوت السكينة فخبّأه في مغارة، ولم يَنج منه إلا إرميا وقيل: هو الخضر. انظر: تاريخ اليعقوبي ٦٥/١، الكامل في التاريخ ١٤٨/١.

إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام: ذكروا أن إسحاق عليه السلام توفي وعمره ستون ومائة سنة، وقبره عند أبيه إبراهيم عليه السلام، قبَره ابناه يعقوب وعيص في مزرعة حبرون. واختلف في أن الذبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل؟ والأصح هو الثاني؛ لأنه الموافق للقرآن، قام بأمر الشريعة بعد أبيه، وتزوج رفقا بنت بتوئيل فحملت، وأوحى الله إلى إسحاق أني مخرج من بطنها شعبين وأمّتين، فأجعل الأصغر أعظم من الأكبر... الكافي في التاريخ ٦٣/١، تاريخ اليعقوبي ٢٨/١.

أبو يعقوب إسحاق بن جرير البجليّ الكوفي: من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، كان ثقة واقفيًّا ومن فقهاء الأصحاب ورؤساء الأعلام، كما يشعر به كلام المفيد رحمه الله. انظر: بهجة الآمال ١٩٧/٢، رجال الطوسي/١٤٩.

أصبغ بن نباتة التميمي المجاشعي: فاضل مشكور من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وخاصته، وكان من شرطة الخميس. أعان علياً عليه السلام على غسل سلمان رضي الله عنهن وعمّر بعده. وفي فضله رواية نقلها صاحب التنقيح. انظر: تنقيح المقال ١٥٠/١، رجال النجاشي/٧، هامش الخلاف ٥٢٢/١.

أم هانئ: اسمها فاختة أو هند بنت أبي طالب بن عبد المطلب: ابنة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، والسيدة الفاضلة أسلمت بعد الفتح، كانت تحت هبيرة بن عمرو المخزومي، ولم يذكر أحد أنّه أسلم، فلما بانت عن هبيرة بإسلامها خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، فقالت: إني امرأة مُصْبية (أي ذات صبيان)، فسكت عنها. كانت وفاتها بعد سنة خمسين. انظر: سير أعلام النبلاء ٣١١/٢،

الكامل في التاريخ ٢/١٧٢، ٢١١.

أم أيمن: اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمر: كانت حاضنة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بعد أن كانت مملوكة أبيه وأمه، وهي من الصحابيات الصالحات، أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بأنها من أهل الجنة، أوْلدت من زيد بن حارثة أسامة. توفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بخمسة أشهر. انظر: طبقات ابن سعد ٨/٢٣٤، تهذيب التهذيب ١٢/٤٥٩.

أم سُليم: هي امرأة من النمر بن قاسط، صحابية معروفة من النساء اللاتي رَوَين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. كانت عالمة بالتوراة والإنجيل، وكانت لها معرفة بأوصياء الأنبياء، وليست بأم سُليم الأنصارية أم أنس بن مالك، ولا الدوسية ولا الثقفية، بنت مسعود الثقفي. انظر: بحار الأنوار ٢٥/١٩٠، مستدرك سفينة البحار ٥/٧٠.

أنس بن مالك بن نضر الأنصاري: أحد الصحابة، خدم النبي صلى الله عليه وآله وسلّم إلى أن مات صلى الله عليه وآله وسلّم، كان عمره حين الهجرة عشر سنين، وعمّر أكثر من تسعين سنة بعد الهجرة. انظر: أسد الغابة ١/١٥١، سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٥.

بحر العلوم محمد مهدي بن المرتضى البروجردي: علاّمة دهره، ووحيد عصره، وكان من الذين تواترت عنهم الكرامات والفوز بلقاء الحجة صلوات الله عليه. ولد في كربلاء سنة ١١٥، وتوفي في النجف الأشرف سنة ١٢١١. انظر: أعيان الشيعة ١٠/١٥٨، هدية الأحباب/١٠٣، سفينة البحار ١/٥٩.

برة بنت أمية بن مخشي الخزاعي البصريّ: كانت صحابية من الأزد، ولها رواية. وأبوها وعمها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. انظر: تهذيب التهذيب ١/٣٢٦، أسد الغابة ١/١٣٠.

أبو القاسم بُريد بن معاوية العجلي: روى عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وكان من حواريهما ومن وجوه الشيعة، وممن اتفقت العصابة على

تصديقه، مات سنة ١٥٠، وقيل: مات في حياة الصادق عليه السلام. انظر: تنقيح المقال ١/١٦٥، رجال النجاشي/٨٧، هامش الخلاف ١/١٠٤.

بريدة بن الخضب بن عبد الله الأسلميّ الخزاعيّ ويكنّى أبا عبد الله أو أبا سهل: أسلم هو وقومه حين مرّ به النبي صلى الله عليه وآله وسلّم مهاجرًا. وصلوا خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلّم العشاء الآخرة. شهد خيبرًا والمشاهد. استعمله النبي صلى الله عليه وآله وسلّم على صدقات قومه. ويقال كان من الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، وله كلام مع أبي بكر وعمر لمّا رآهما على المنبر. وكان ممن شهد دفن فاطمة عليها السلام. ورد هو والحكم بن عمرو على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، فقال لهما: أنتما عينان لأهل المشرق، وبعد مدة انتقلا إلى مرو وتوفيا بها. انظر: تنقيح المقال ١/١٦٦، بهجة الآمال ٢/٣٩٢.

بكّار: ولعله بكّار بن أبي بكر الحضرميّ الكوفي، أو بكّار بن كردم الكوفي. والأول غير واضح الحال، والثاني ممدوح، لأن للصدوق طريقًا إليه وروى عن كليهما يونس بن عبد الرحمن. انظر: تنقيح المقال ١/١٧٦، بهجة الآمال ٢/٤٠٦.

بلال بن رباح الحبشي: كان مؤذّنًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ومن السابقين في الإسلام، وشهد المشاهد كلها. قال الصادق عليه السلام: رحم الله بلالاً، فإنه كان محبّنا أهل البيت، وإنه كان عبدًا صالحًا، فقال: لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. فتُرك يومئذٍ حي على خير العلم. توفي بالطاعون بدمشق سنة ١٨ أو ٢٠، وهو ابن بضع وستين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ١/٣٤٧، سفينة البحار ١/١٠٤.

بن يامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام: أخو يوسف الصدّيق لأبيه وأمه، واسم أمه راحيل. تزوّجها يعقوب بعد أختها: بليا التي أولدت روبيل، وشمعون، ولاوي، ويهودا، وبشاجر، وغيرهم، ولبنيامين أولاد. وقصته مع يوسف وإخوته معروفة. انظر: تاريخ اليعقوبي ١/٢٩ - ٣١، الكامل في التاريخ ١/٨٤.

بهلول التائب: ولعل الرجل سمّي بذلك أو عرف بهذا الوصف، - وكان اسمه

ثعلبة -، لشدة ابتهاله وتضرّعه أو كان بمعنى الملعون لكونه نبّاشًا. وقصته في: أسد الغابة ١/٢١٠، بحار الأنوار ٦/٢٣.

بهمنيار بن مرزبان: من مشاهير الحكماء، ومن أعيان تلامذة الشيخ الرئيس ابن سينا. ذكر المترجمون أنه كان مجوسيًّا ثم أسلم وحسن إسلامه، توفي سنة ٤٥٨ ، بعد مضي ثلاثين سنة من وفاة أستاذه. انظر: مقدمة التحصيل لبهمنيار، لغتنامه دهخدا ١/٤٠١.

جبرئيل: هو أمين وحي الله، مُطاع في الملكوت الأعلى، لم يدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حتى يستأذنه. نزل على إبراهيم خمسين مرة، وعلى موسى أربعمائة مرة، وعلى عيسى عشر مرات، وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أربعة وعشرين ألف مرة. وفي رواية أخرى اثني عشرة ألف مرة. سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يومًا عن عمره، فقال: يا رسول الله، يطلع نجمٌ من العرش في كل ثلاثين ألف سنة مرة وقد شاهدته طالعًا ثلاثين ألف مرة. انظر: مستدرك سفينة البحار ٢/١٨- ٢٣، سفينة البحار ١/١٤٣.

جلال الدين محمد بن محمد بن الحسن البلخيّ الشهير بالمولويّ: صاحب المثنوي الفارسي المعروف عند العالم والعاميّ، خرج من بلخ إلى الحجّ، فلما رجع واتفق مروره ببلاد الروم قصد قصَبة «قونو»، فسكنها بقية عمره فاشتهر بالرومي أيضًا، صحب العطّار والحكيم السنائي وخدمهما، وكذا الشمس التبريزي: توفي بقصبة «قونو» سنة ٦٦٠، والكلام في حالاته وتشيّعه وغير ذلك مذكور في محلّه. انظر: روضات الجنات ٨/٦٧، ريحانة الأدب ٦/٣٩.

جعفر بن أبي طالب: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وأخو علي بن أبي طالب عليه السلام. يقال له: جعفر الطيّار، لما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعد شهادته بمؤتة: «إن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما مع الملائكة». وحينما قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، حين فتح خيبر اعتنقه، وقبّل بين عينيه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أشدّ فرحًا: بقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟»، استشهد سنة ثمان. انظر: رجال الطوسي/١٢، أسد الغابة ١/٢٨٨، سفينة البحار

.١٥٨/١

الحافظ شمس الدين محمد الشيرازي: صاحب الديوان المعروف، ولم يرتّب ديوانه لكثرة اشتغاله، فرُتِّب بعده بإشارة قوام الدين عبد الله، وكان حافظًا للقرآن المجيد كما يظهر من شعره. توفي سنة ٧٩٢ بشيراز، وقبره معروف يزار. انظر: الذريعة ٢٢٢/٩، سفينة البحار ٢٨٧/١، هدية الأحباب /١٢٢.

حبّة بن جُوين العُرَني أبو قدّامة الكوفي: كان من أصحاب علي عليه السلام، صحبه يوم صفّين، وهو الذي روى عن حذيفة ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم في قتل عمّار، وكذا حديث الغدير وغيرهما، مات سنة ٧٧. انظر: الكامل في التاريخ ٥٥/٤، معجم رجال الحديث ٢١٤/٤.

الحرّ بن يزيد الرياحي: أحد الشجعان من رجال الكوفة. عدل إلى الحسين عليه السلام بعدما سمع نداءه مخاطبًا العسكر: ألم تكتبوا إليّ كذا وكذا؟ فقال الحر: بلى والله لقد كاتبناك ونحن الذين أقدمناك فأبعد الله الباطل وأهله، والله لا أختار الدينا على الآخرة. فلحق بعسكر الحسين عليه السلام، فقال له: أهلاً وسهلاً، أنت والله الحر في الدنيا والآخرة، فاستشهد في ركاب الحسين عليه السلام، وتشرّف بسلام الناحية المقدّسة. انظر: سفينة البحار ٢٤٠/١، ٣٧٥، الكامل في التاريخ ٢٨٦/٣.

حَريز بن عبد الله أبو محمد الأزدي الكوفي السجستانيّ: أكثر السفر والتجارة إلى سجستان فعرف بها. له كتب تُعدّ كلها في الأصول. وثّقه الشيخ في الفهرست. وقول يونس فيه: إنه لم يروِ عن أبي عبد الله عليه السلام إلا حديثين، واقع في غير محله، كان ممّن شهر السيف في قتال الخوارج بسجستان وقتل بها. انظر: تنقيح المقال ٢٦٠/١، الفهرست للطوسي ٦٢، رجال النجاشي /١١١.

الحسن بن أبي الحسن البصري التابعي: روى عن أنس والمغيرة وجابر، وروى عنه كثيرون. يُعدّ من الزهّاد الثمانية، وعدّ في شرح النهج لابن أبي الحديد من المنحرفين عن علي عليه السلام، وهو القائل في عثمان: قتله الكفّار وخذله المنافقون... مات

سنة ١٠٩ بالبصرة، ولم يحضر جنازته ابن سيرين. انظر: سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٥/٤، كنز الفوائد/٣٤٨.

الحسن بن زياد: والمسمّى بهذا في أصحاب الصادق عليه السلام أكثر من واحد، لقّب تارة بالصَّيْقل، وأخرى بالطائي، وثالثة بالعطار، واحتمل بعض اتحادهم، وكيف كان فالرجل ممن روى عنه أبان بن عثمان الأحمر، وهو من أصحاب الإجماع. راجع ترجمته في: تنقيح المقال ٢٧٨/١-٢٨٠.

الحسين بن علوان الكلبي الكوفي: يكنّى أبا محمّد ثقة عامي، روى هو وأخوه الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام. والحسن أوثق من أخيه. وقيل: كان الحسين مستورًا ولم يكن مخالفًا. وفي تنقيح المقال استظهر كونه إماميًّا باقيًا على حاله حتى مات. انظر: تنقيح المقال ٣٣٥/١، بهجة الآمال ٢٨٨/٣.

حفص بن غياث بن طلق القاضي الكوفي: ولي قضاء بغداد لهارون، ثم قضاء الكوفة وهو الذي زاد في في الحديث النبوي «لا سبق إلا في نصل أو خُفّ أو حافر»، أو «ريش» تقرّبًا إلى الخليفة، فقال بعد خروجه: إنّ قفاه قفا كذاب. انظر: رجال الطوسي/١١٨، ١٧٥، ٤٧١، بهجة الآمال ٣٣٧/٣.

حمدان بن سليمان بن عميرة النيشابوري المعروف بالتاجر: كان ثقة من أصحاب الرضا والعسكريين عليهم السلام: ومن وجوه أصحابنا الإمامية. انظر: رجال الطوسي/٣٧٤، ٤١٤، بهجة الآمال ٣٧٩/٣.

حُمران بن أعين الشيباني الكوفي: كان عالمًا بالنحو واللغة والقراءات والمناظرات، ومن أصحاب أبي جعفر والصادق عليهما السلام، قال له الباقر عليه السلام: أنت من شيعتنا في الدنيا والآخرة. وروي أنّ الصادق عليه السلام قال للرجل الشامي الماهر في المناظرة: إن غلبت حُمْران فقد غلبتني. انظر الفهرست لابن النديم/٢٧٦، رجال الطوسي/١١٧، سفينة البحار ٣٣٤/١.

حمزة بن الطيار محمد الكوفي: من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، روي أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغني أنك كرهت مناظرة الناس وكرهت

الخصومة، فقال: أما كلام مثلك للناس فلا نكرهه. وعن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما فعل ابن الطيّار؟ قال: قلت: مات، فقال: رحمه الله ولقّاه نضرة وسرمدًا، فقد كان شديد الخصومة عنا أهل البيت. انظر: رجال الطوسي/١١٧، سفينة البحار ٣٣٨/١، بهجة الآمال ٣٩٢/٣.

حنّان بن سدير الصيرفيّ: ثقة من أصحاب الكاظم عليه السلام، كان كثير الرواية، يروى عنه عيون الأصحاب، وعمّر طويلاً. انظر: رجال الطوسي/٣٤٦، بهجة الآمال ٤١٦/٣، سفينة البحار ٣٥٠/١.

أبو الفضل بن جعفر المعروف بابن خنزابة البغدادي المحدّث: كان وزيرًا لبني الإخشيد بمصر. نقل عنه صاحب المناقب. ولد سنة ٣٠٨، وتوفي سنة ٣٩١؛ انظر: تذكرة الحفّاظ ٢١٢/٣، وفيات الأعيان ٣٤٦/١، ذيل إحقاق الحق ٣٧١/٢.

(أمّ مريم): حنّة بنت فاقورا: كانت تحت عمران بن ماثان، من ولد سليمان بن داود، من رؤوس بني إسرائيل، وكانت أختها إشياع تحت زكريا بن برخيا. وقيل: كانت إشياع زوجة زكرياء أخت مريم. وأم مريم لم تلد ولدًا إلى أن كبرت وعجزت، فبينما هي في ظلّ شجرة أبصرت طائرًا يزقّ فرخًا له فاشتهت الولد، فدعت الله أن يهب لها ولدًا، ونذرت بما قصّه الله تعالى في القرآن. انظر: الكامل في التاريخ ١٩٧/١، تاريخ اليعقوبي ٦٨/١.

خالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري: صحابي جليل، شهد العقبة وبدرًا وسائر المشاهد. كان شجاعًا محبًّا للغزو والجهاد، فرحل إلى الشام، وشهد حربًا مع يزيد في خلافة أبيه، فهزّ الوقائع ومرض بها، فتوفي سنة ٥٢. ودفن في أصل حصن القسطنطنية. انظر: الأعلام للزركلي ٣٣٦/٢، حلية الأولياء ٣٦١/١.

خديجة بنت خويلد بن أسد القرشي أم المؤمنين: تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قبل البعثة بخمسة عشر سنة، وكانت أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من النساء. روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، قال: إن جبرئيل قال لي ليلة أسري بي حين رجعتّ... حاجتي أن تقرأ على خديجة من

الله ومني السلام. فلمّا قال لها الذي قال جبرئيل قالت: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعلى جبرئيل السلام. توفّيت سنة ١٠ من البعثة، ولها ٦٥ سنة، ودفنت بالحجون. انظر: سفينة البحار ١/٣٧٩، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٠.

الخضر هو إرميا النبي أو خضر بن عاميل: ابن خالة ذي القرنين ووزيره، كان نبيًّا مرسلاً، بينه وبين نوح أربعة آباء، قال الطبري: هو الولد الرابع من أولاد آدم. وعن الرضا عليه السلام: أنه شرب من ماء الحياة، فهو حيّ لا يموت حتى يُنفخ في الصور. وله قصص مع موسى بن عمران، ومع إلياس النبي، ومع أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلّم. انظر: الكامل في التاريخ ١/٩٠ و ١٦٠، سفينة البحار ١/٤٨٩.

داود بن إيشا بن عويد من أولاد يهودا النبي عليه السلام: كان قصيرًا، قليل الشعر، فلمّا قتل طالوت الملك أتاه بنو إسرائيل وأعطوه خزائن طالوت وملّكوه، فجعله الله نبيًّا ملكًا، وأنزل عليه الزبور، وعلّمه صنعة لبوس ودروع. كان شديد الاجتهاد، كثير العبادة والبكاء، وكان يأكل من كسب يده. انظر: الكامل في التاريخ ١/٢٢٣، سفينة البحار ١/٤٦٨.

زرارة بن أعين بن شُنْسن الشيباني: كان من أصحاب الباقرين عليهما السلام، وكفى في فضله ما نقل عن الصادق عليه السلام من «أنّه مقبولٌ غير مردود كلّ ما رواه زرارة عن أبي جعفر عليه السلام»، توفي بعد أبي عبد الله عليه السلام بشهرين أو أقل. انظر: جامع الرواة ١/٣٢٩، سفينة البحار ١/٥٤٧، تحفة الأحباب /١٥٩.

زكريا بن برخيا بن نشوا بن نحرائيل: وقيل زكريا بن أزان بن مسلم عليه السلام: كان رئيس الأحبار، وكاهن المذبح في أيام هيرودس الملك، كانت امرأته أخت مريم بنت عمران، وكانتا أمّي يحيى وعيسى عليهما السلام، ومن بنات هارون عليه السلام، ولمّا قتل يحيى وسمع أبوه بقتله فرّ هاربًا إلى بستان عند بيت المقدس، فمرّ بالشجرة فنادته: هلمّ إليّ يا نبيّ الله فانشقّت فدخلها فأتاهم إبليس فدلّهم عليه، – وكانوا يعبدونها –، فقالوا: لا نقطعها، فلم يزل بهم حتى شقّوها، وشقّوا زكريا. انظر: تاريخ العقوبي ١/٦٨ و ٧٢، سفينة البحار ١/٥٥٠.

أبو بكر محمّد بن مسلم الزُّهري التابعي: أحد الفقهاء والمحدّثين، لقي عشرًا من الصحابة، ولم يزل مع عبد الملك ثم مع هشام، وكان يزيد بن عبد الملك استقصاه. يروي كثيرًا عن مولانا علي بن الحسين عليهما السلام. قال ابن أبي الحديد: كان الزهريّ من المنحرفين عن علي عليه السلام. توفي سنة ١٢٤، ودفن في ضيعته آخر الحجاز وأول حدّ فلسطين. انظر: وفيات الأعيان ١٧٧/٤، هدية الأحباب ١٤٧.

زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: هي أكبر بناته، وأمّها خديجة بنت خويلد بن أسلم. توفيت زينب بالمدينة في السنة الثامنة، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في قبرها وهو مهموم محزون، فلمّا خرج سُرّي عنه، وقال كنت ذكرت زينب وضعفها، فسألت الله أن يخفّف عنها، ففعل وهوّن عليها. أسد الغابة ١٣٠/٧.

ذعلب اليمانيّ: من أصحاب أمير المؤنين عليه السلام: ذو لسان فصيح، بليغ في الخطب، شجاع القلب. هو الذي قال لأمير المؤمنين عليه السلام: أرأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ويلك يا ذعلب، ما كنت لأعبد ربًّا لم أره. انظر تنقيح المقال ٤٢١/١.

سُدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي الكوفي: ممدوح من أكابر الشيعة ومن أصحاب الصادقين عليهما السلام. ذكر عند الصادق عليه السلام، فقال: سُدير، عصيدة كل لون، أي قوي مع المخالفين ولا يعرف بالتشيّع. ودعاء الصادق عليه السلام عند الكعبة لخلاص سُدير عن السجن يدل على جلالته. كان كثير الرواية، وله اختصاص بأبي جعفر الباقر عليه السلام. انظر: تنقيح المقال ٧/٢، سفينة البحار ٦١٢/١.

سراقة بن مالك بن جُعشم المدلجي، أبو سفيان الكنانيّ: كان من أشراف قريش، ومن شعرائهم، أخرجه أبو سفيان ليقتف أثر الرسول حين خرج إلى الغار. وله موقف في غزوة بدر الكبرى، أسلم بعد غزوة الطائف. وكان حيًّا في عهد عمر حينما أُتي عمر بن الخطاب بتاج كسرى، فدعا سُراقة وحلاّه بأسورة كسرى وجعل التاج على رأسه... وإنما خصّ عمر سُراقة بهذا؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، قال

له: يا سُراقة كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك؟ انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٦٤/١، تاريخ الطبري ١٣٨/٢، الأعلام للزركلي ١٢٦/٣.

سعد الخفّاف أو الأسكاف ابن طريف: كان ممّن أدرك علي بن الحسين، ويعدّ من أصحاب الباقرين عليهما السلام قال لأبي جعفر عليه السلام: إني أجلس فأقصّ وأذكر حقكم وفضلكم، قال: وددت أنّ على كل ثلاثين ذراعًا قاصًّا مثلك. انظر: تنقيح المقال ١٢/٢، تحفة الأحباب/١٧٧.

سفيان بن عيينة ميمون الهلالي الكوفيّ: سمع من عمرو بن دينار وابن أبي ليلى، وعدّة وحدّث عنه ابن جريج ويحيى بن معين وغيرهما، وكان ممّن جمع وصنّف بمكّة سنة ١٩٨. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٨، وفيات الأعيان ٣٩١/٢.

سلمان بن بوذخشان أبو عبد الله، ويلقّب بسلمان الخير وسلمان المحمّدي: كان من أجلاء الصحابة، وافتخر بحديث: سلمان منا أهل البيت. عمّر ٢٥٠ سنة أو أكثر، توفي بالمدائن سنة ٣٥ أو ٣٧. انظر: تهذيب التهذيب ١٣٧/٤، أعيان الشيعة ٢٧٩/٧، سير أعلام النبلاء ٥٠٥/١.

سليمان بن داود عليه السلام: ملك ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر بعد أبيه، وآتاه الله مع الملك النبوّة. وروي أنه سأل الملك ليقهر ملوك الكفر. قال الصادق عليه السلام: كان سليمان يطعم أضيافه اللحم بالحواري (الدقيق المنخول مرة بعد مرة)، وعياله الخشكار، (الخبز المتخذ من الدقيق غير المنخول)، وبينما هو قائم يصلي متوكّأ على عصاه أدركه أجله فمات. انظر: الكامل في التاريخ ٢٢٩/١، سفينة البحار ٦٤٩/١.

أبو داود سليمان بن عمر وبن عبد الله النخعي الكوفي: اختلف في ضبط اسم أبيه، وأيًّا كان فالرجل مشترك بين كذّاب ومجهول الحال، يلقّبه المحدثون: كذّاب النخع. كان من أصحاب الصادق عليه السلام. انظر مزيد ترجمته: تنقيح المقال ٦٤/٢.

سليمان الديلمي الكوفيّ: في اسم أبيه اختلاف قيل: كان غاليًا كذّابًا، وكذلك ابنه محمد. ومال المولى الوحيد إلى تصحيح حاله، وقال: إن أحاديث الرجل في كتب

الأخبار صريحة في خلاف الغلوّ. انظر: تنقيح المقال ٢/٦٠ و ٣/١٢٣.

أبو محمد سماعة بن مهران الحضرميّ الكوفيّ: بيّاع القزّ، من أصحاب الصادق عليه السلام، كان عمره نحوًا من ستين سنة، مات في حياة الصادق عليه سنة ١٤٥، وله كتاب يرويه عنه جماعة، تنقيح المقال ٢/٦٧، رجال الطوسيّ/٢١٤، رجال النجاشي/١٤٦.

أبو علي شفيق بن إبراهيم البلخي: من مشايخ خراسان، ويقال: إنّه أول من تكلّم في علوم الأحوال والتصوّف في خراسان. حكي عنه أنه قال: «وكان سبب زهدي كلام التركيّ». يريد حينما خرج إلى بلاد الترك لطلب الرزق، فدعاهم إلى التوحيد فقال التركي: لو كان كما تقول فلم تغيّب هنا لطلب الرزق؟ فرجع شقيق وتصدّق ما ملك وطلب العلم. مات بما وراء النهر سنة ١٥٣. انظر: حلية الأولياء ٨/٥٨، الأعلام للزركليّ ٣/٢٤٩.

شعيب بن مكيل بن يشجب بن مدين بن إبراهيم: وقيل شعيب بن نويب بن عيا بن مدين. كانت جدّته بنت لوط النبي، وكان يزور موسى في كل سنة، ويقال له خطيب الأنبياء. وكان أول من عمل المكيال والميزان. وقصصه مع قوه أصحاب الأيكة مشهورة. انظر: تاريخ اليعقوبي ١/٣٤، سفينة البحار ١/٧٠٠، حبيب السير ١/٧٩.

شهاب عبد ربه الكوفيّ: هو وإخوته: وهب وعبد الرحمن وعبد الخالق من موالي بني أسد ومن صلحاء الموالي، وكلّهم خيار فاضلون كوفيّون. كان شهاب من أصحاب الصادق عليه السلام، ضُرب من محمد بن عبد الله بن الحسن نحوًا من سبعين سوطًا لامتناعه عن البيعة، وهذا دليل على ثباته على الإيمان. مات في حياة الكاظم عليه السلام قبل خروجه إلى العراق. انظر: تنقيح المقال ٢/٨٨، تحفة الأحباب/٢١٥.

شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي: المشتهر بشيخ الإشراق، له مصنّفات في الحكمة والعرفان. ولد سنة ٥٤٩، وقتل سنة ٥٨٧، ولم يبلغ الأربعين. له ترجمة

وافية في مقدّمة مجموعة مصنّفاته ١٣/٣، نقلاً عن نزهة الأرواح للشهرزوريّ. انظر أيضًا: وفيات الأعيان ٢٦٨/٦، هدية الأحباب/١٦٤.

الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا: صاحب التصانيف الخالدة في الطب والحكمة والمنطق. عاش ٤٨ سنة، ومات بهمدان سنة ٤٢٨، وهو القائل: وكنت كلّما أتحيّر في مسألة ترددت إلى الجامع وصلّيت، وابتهلت إلى مبدع الكلّ حتى فتح لي المنغلق منه. انظر: وفيات الأعيان ١٥٧/٢، سير أعلام النبلاء ٥٣١/١٧، هدية الأحباب/٦٧.

صالح بن سهل الهمذاني الكوفي: من أصحاب الصادق عليه السلام. رُمي بالغلوّ والكذب، ولكن المولى الوحيد مال إلى إصلاح حاله. ورواياته الواردة في أبواب التوحيد والإمامة والنبوّة تنافي الغلوّ. انظر: أصول الكافي ١٩٥/١، و ٤٤١، تنقيح المقال ٩٢/٢، معجم رجال الحديث ٩٧٥.

صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي: من مشاهير الفلاسفة المتأخّرين، وله آراء جديدة فيها، كما حكي عنه أنه قال: لم أر من له علم بذلك في وجه الأرض. قيل فيه:

قدوة أهل العلم والصفاء يروي عن الداماد والبهائي

له مصنّفات كثيرة ومن تلاميذه المَهَرة: الفيض والفيّاض، وهما صِهراه. توفي سنة ١٠٥٠ بالبصرة. انظر: مقدّمة رسائل فلسفي ملا صدرا/٧، مقدّمة شرح رسالة المشاعر/١٣، هدية الأحباب/١٨٥.

صفوان بن يحيى أبو محمد الكوفيّ: من أصحاب الإمامين الكاظميين عليهما السلام، ومن أصحاب الإجماع، وله عند الرضا عليه السلام منزلة شريفة. وسلم مذهبه من الوقف مع ما بذلت الواقفة له مالاً كثيرًا. مَات سنة ٢١٠ بالمدينة. انظر: رجال النجاشي/١٩٧، سفينة البحار ٣٨/٢.

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم، القرشية: عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ومن الصحابيّات المهاجرات. وكانت امرأة شجاعة شاعرة، شهدت غزوة

أُحد، فلمّا رأت هزيمة المسلمين أخذت عمودًا ومنعتهم من الفرار. انظر: الأعلام للزركليّ ٢٠٦/٣، سفينة البحار ٣٦/٢.

طاووس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليماني التابعي: من أبناء الفرس، ومن فقهاء العامّة ومتصوّفيهم، كان معاصرًا للسجّاد والباقر عليهما السلام، مات في أيام هشام سنة ١٠٦. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٨/٥، سفينة البحار ٩٤/٢.

عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة: أحد أزواج النبي صلى الله عليه وآله، بنى بها بعد ثمانية عشر شهرًا من هجرته. وهي التي قالت: «ما غِرْتُ على امرأة كما غِرْتُ على خديجة، من كثرة ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يذكرها.» كانت من قوّاد أهل البصرة في وقعة الجمل. روى عنها أصحاب الصحاح ٢٢١٠ أحاديث. ماتت بالمدينة سنة ٥٧، وصلّى عليها أبو هريرة. انظر: صحيح البخاري ١٠٧/٧، سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢، معالم المدرستين ١٣٠/١.

العباس بن مرداس أبو الهيثم السلميّ: شاعر شجاع من سادات قومه. وأمّه: الخنساء الشاعرة المشهورة. أسلم قبيل فتح مكة. كان بدويًّا لم يسكن مكة ولا المدينة. وكان ممّن ترك الخمر في الجاهلية والإسلام. له قصة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في المؤلّفة قلوبهم. مات في خلافة عمر. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٦٩/٤، الأعلام للزركليّ ٣٩/٤.

عبد الأعلى بن أعين أبو أحمد العجليّ الكوفيّ مولاهم: كان من أصحاب الصادق عليه السلام، وممّن أذن له في الكلام لأنه يقع ويطير. وله إخوة ممدوحون. انظر: تنقيح المقال ١٣٢/٢، بهجة الآمال ١٢٢/٥.

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشيّ: أمّه أسماء بنت عُميس. كان حليمًا كريمًا بحيث يقال له: بحر الجود، ولد بأرض الحبسة، وتوفي بالمدينة سنة ٨٠، وهو ابن تسعين سنة. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٥ حديثًا. انظر: الشجرة المباركة في أنساب الطالبية/٢٠٢، معالم المدرستين ١٢٨/١.

عبد الله بن الزبير أو خبيب القرشيّ: أمّه أسماء بنت أبي بكر. كان يبغض آل البيت

عليهم السلام، وفيه قال الإمام علي عليه السلام: ما زال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله، استقلّ بمكة بعد استشهاد الحسين عليه السلام. روى عنه أصحاب الحديث ٣٣ حديثاً، قتله الحجّاج في مكة سنة ٧٣. انظر: أسد الغابة ٣/٢٤٢، معالم المدرستين ٢/٣٨.

عبد الله بن سنان بن طريف الكوفي مولى بني هاشم: كان خازنًا للمنصور ومن بعده، وهو من أصحابنا الأجلاّء لا يطعن عليه في شيء. له كتب روى فيها عن الصادق عليه السلام، وهو المراد عند إطلاق ابن سنان دون محمد بن سنان. انظر: رجال النجاشي ١٤٨، بهجة الآمال ٥/٢٣٧.

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشميّ: صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلّم ثلاثين شهرًا. حدّث عن عليّ وأبي ذر وعدّة، وروى عنه جماعة تبلغ عدّتهم مائتين، ولا عقب له من أولاده إلا من عليّ أبي الخلفاء. توفي بالطائف سنة ٦٨. انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٣١، وفيات الأعيان ٣/٦١.

عبد الله بن عجلان الأحمر السكونيّ: إماميّ ممدوح في غاية الجلالة. كان من أصحاب الصادق عليه السلام، وفي رواية عن أبي جعفر عليه السلام أنه من العصابة اليسيرة التي لا تزلّ ولا تضلّ أبدًا. مات في حياة الصادق عليه السلام. انظر: تنقيح المقال ٢/١٩٧، بهجة الآمال ٥/٢٦٢.

عبد الله بن مسعود بن غافل الهذليّ المكي: كان من أكابر الأصحاب فضلاً ومنزلة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ومن السابقين في الإسلام. كان خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. توفي سنة ٣٢. انظر: سير أعلام النبلاء ١/٤٦١، الأعلام للزركليّ ٤/١٣٧.

عبد الله بن يزيد بن زيد أبو موسى الأوسيّ الأنصاريّ: أمير من بني خطمة، ومن أصحاب علي عليه السلام، وشهد معه الجمل وصفّين، مات نحو سنة ٧٠. الأعلام للزركليّ ٤/٢٩٠، تنقيح المقال ٢/٢٢٤، سير أعلام النبلاء ٣/١٩٣.

عبد الله بن يقْطُر الكوفيّ: رضيع الحسين عليه السلام ثقة جليل، أرسله الحسين عليه

السلام إلى الكوفة فأُخذ ورُمي به من فوق القصر، بأمر عبيد الله بن زياد، فقام إليه عمرو الأزدي فذبحه. وله نحو من سبع وخمسين سنة. قتل سنة ٦٠. انظر: تنقيح المقال ٢/٢٢٤، تحفة الأحباب/٢٩١.

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف: رئيس قومه، وسيّد قريش كان ذا جلالة ظاهرة ومناقب وافرة، ينبئ عنها قوله لأبرهة في قصة الفيل: أنا ربّ الإبل وللبيت ربّ. عاش ١٤٠ سنة. توفي والنبي صلى الله عليه وآله وسلّم يتيماً يبكي خلف جنازته، وله ثمان سنين. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/٥٠، سفينة البحار ٢/١٤٠.

عبد مناف: اسمه المغيرة بن قُصيّ بن كلاب القرشيّ، كانت أمه عاتكة بنت هلال وحين ولدته دفعته إلى مناف صنم بمكة، فغلب عليه عبد مناف ويقال له: القمر، لجماله، وهو الذي عقد الحلف بين قريش والأحابيش. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/١١١، الأعلام للزركليّ ٤/٣١٥.

عبيد بن عمير بن قتادة أبو عاصم المكيّ: معدود في كبار التابعين. قيل: إنه ولد على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، كان قاصّ أهل مكة على عهد عمر بن الخطاب. توفي سنة ٦٨. انظر: أسد الغابة ٣/٥٤٤، سير أعلام النبلاء ٤/١٥٦.

عثمان بن سعيد العَمْري: ويقال له السّمان، وهو أول السفراء في زمان الغيبة، خدم أبا جعفر الجواد عليه السلام إحدى عشر سنة. وكان وكيل أبي محمد العسكري عليه السلام أيضًا، وفيه قال عليه السلام: العَمْري وابنه ثقتان فما أدّيا إليك عني فعنّي يؤدّيان... انظر: تنقيح المقال ٢/٢٤٥، بحار الأنوار ٥١/٣٤٦.

عجلان أبو صالح الكوفيّ الأزرق أو الخبّاز الواسطيّ: ثقة منتخب، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام، وقال عليه السلام فيه: يا عجلان، كأني انظر إليك إلى جنبي والناس يعرضون عليّ. انظر: تنقيح المقال ٢/٢٤٩، بهجة الآمال ٥/٣٣٩.

عروة بن الجعد البارقي الأزدي: صحابي روت العامّة عنه، وحديث شرائه الفضولي بالدينار الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مسطور في كتب الفقه.

كان مرابطًا، سيّره عثمان إلى الشام. وكان جدّه بارق بن عديّ نزل عند جبل بارق فنسب إليه. انظر: أسد الغابة ٣/٤٠٣، تنقيح المقال ٢/٢٥١.

عطاء بن أبي رباح أبو محمد القرشي مولاهم الكوفيّ: روى عن ابن عباس، وابن عمر وغيرهما، وروى عنه ابنه ومجاهد وعدّة. مات سنة ١١٤. انظر: طبقات الفقهاء/٤٤، كما في هامش الخلاف للشيخ ١/٦٦.

علي بن إبراهيم بن هاشم القميّ: ثقة في الحديث، ثبت معتمد، صحيح المذهب سمع فأكثر، وصنّف كتبًا، وأضرّ في وسط عمره. له كتاب «التفسير». انظر: رجال النجاشي/١٨٣، جامع الرواة ١/٥٤٥، سفينة البحار ٢/٢٤٢.

علي بن يقطين: كوفيّ الأصل بغدادي المسكن، مولى بني أسد. من أجلاّء أصحاب أبي الحسن عليه السلام. كان أبوه في خدمة السفّاح والمنصور مع كونه شيعيًّا. مات أبوه سنة ١٨٥، ومات علي بن يقطين في سجن الرشيد سنة ١٨٢، أو سنة ١٨٠، وكان محبوسًا مع أبي الحسن عليه السلام. وبقي الإمام بعده سنوات. انظر: رجال الطوسي/٣٥٤، بهجة الآمال ٥/٥٦٢، سفينة البحار ٢/٢٥٢.

عمر بن الخطاب أبو حفص العدويّ القرشيّ: أمّه حنتمة بنت هاشم، أسلم بعد نيّف وخمسين بمكة. استخلفه أبو بكر في مرض موته. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٣٧ حديثاً. توفي من طعنة أبي لؤلؤة إياه، ودفن سنة ٢٤ إلى جنب أبي بكر. انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي/١٢٣، الأعلام للزركليّ ٥/٤٥، معالم المدرستين ١/٨٠.

محمد بن مسعود بن محمد بن عيّاش أبو النضر: المعروف بالعياشي الكوفيّ. قيل إنه من بني تميم. شيخ جليل من فقهاء الشيعة. أوحد دهره في غزارة العلم. له أكثر من مائتي تصنيف. كانت داره مرتعًا للشيعة وأهل العلم، ومملوءة من العلماء بين كاتب ومقابل ومعلّق، وله مجلسان للعامة وخواص تلاميذه. كان قريبًا من عصر الكلينيّ رحمه الله، أخذ عنه الكشي وغيره. توفي سنة ٣٢٠، انظر: تنقيح المقال ٣/١٨٣، هدية الأحباب/٢٠٤.

عيسى بن مريم: كلمة الله ورسوله بعد موسى بن عمران عليهما السلام، كان

مولده بقرية بيت لحم من قرى فلسطين. ومن وصاياه لأصحابه بعد دخوله أورشليم: فاحفظوا وصيتي، فسيأتيكم الفارقليط يكون معكم نبيًّا. اجتمع عظماء اليهود على قتله. وقال الله تعالى: وما قتلوه وما صلبوه... انظر: تاريخ اليعقوبي ٦٦/١- ٦٨، سفينة البحار ٥٣٨/٢.

محمد بن محمد الطوسي أبو حامد الغزالي: نشأ بطوس وتفقّه بها، ثم تحوّل إلى نيسابور، ولازم إمام الحرمين، فبهر في الفقه والكلام إلى أن شرع في التصنيف. من تصانيفه: إحياء علوم الدين، وكيمياوي سعادت، وتوجد نبذة عن حياته في مقدّمة كتابه، المنقذ من الضلال. توفي بطابران سنة ٥٠٥. انظر: وفيات الأعيان ٢١٦/٤، الكنى والألقاب ٤٥٦/٢.

فتح بن يزيد أبو عبد الله الجرجاني: كان من أصحاب الهادي عليه السلام، وله كتاب. قال النجاشي: إنه صاحب المسائل لأبي الحسن عليه السلام. وهو مذكور في من لم يرو عن الأئمة عليهم السلام، في رجال الطوسي/٤٨٩، انظر أيضاً: رجال ابن داود/٤٩٢.

محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي: أصله من طبرستان، وكان مولده في الري وإليها نسبته. توفي سنة ٦٠٦، كان مع تبحّره في الأصول يقول: من التزم دين العجائز فهو الفائز. انظر: الأعلام للزركليّ ٣١٣/٦، هدية الأحباب/٢٠٩.

هشام بن غالب أبو الأخطل: الفرزدق الشاعر. له قصيدة في مدح زين العابدين عليه السلام، حينما سمع هشام بن عبد الملك يقول عن زين العابدين عليه السلام: لا أعرفه! توفي بالبصرة سنة ١١٠، انظر: شذرات الذهب ١٤١/١، الكنى والألقاب ١٨/٣.

فرعون موسى عليه السلام الوليد بن مصعب أو ريان الوليد: عاش عمرًا طويلاً، طغى وبغى حتى قال: أنا ربكم الأعلى. ثم أغرقه الله تعالى وجنوده في بحر القلزم. انظر: تاريخ اليعقوبي ١٨٦/١، مستدرك سفينة البحار ١١٤/٥.

فضل بن عبد الملك أبو العباس: المعروف بالبقباق الكوفي، من أصحاب الصادق

عليه السلام، ويستظهر من حالاته أنّه كان من محبّي الأئمة عيهم السلام، إلا أنه غير مأمون منه ارتكاب القبائح واشتهار القول، كما يستفاد من البقباق؛ أي الهاذي المِكْثار. انظر: رجال الطوسي/٢٧٠، بهجة الآمال ٤٧/٦.

فضل الله بن محمود الفارسيّ: صاحب «رياض الجنان»، و«صفوة الأخبار» كان تلميذًا للشيخ أبي عبد الله جعفر بن محمد الدور يستيّ، وكان متأخّرًا عن الشيخ الطوسي. وكان شيخه الدوريستي من أكابر العلماء، وتلميذ المفيد والسيدين. انظر: الذريعة ٣٢١/١١، هدية الأحباب/١٣٦.

فيثاغورس الحكيم: من أعاظم حكماء اليونان في زمن سليمان بن داود عليهما السلام، وأخذ الحكمة من أصحابه عليه السلام، وهو أول من نطق في الأعداد والحساب والهندسة، وله تآليف وتلاميذ؛ منهم طاليس. انظر: تاريخ الحكماء للقفطيّ/٣٥٦، هامش شرح المقاصد ٥٣/١.

القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: أمّه خديجة عليها السلام. ولد قبل البعثة، وتوفي صغيرًا وله أربع سنين، وقال صلى الله عليه وآله وسلّم فيه وهو في جنازته ناظرًا إلى جبل من جبال مكة: يا جبل، لو أنّ ما بي بك لهدّك. انظر: تاريخ اليعقوبي ٢٠/٢ و ٣٢، المناقب ١٦١/١.

قتادة بن دعامة أبو الخطّاب السدوسيّ: عالم أهل البصرة ومفسّرها. كان ضريرًا أكمه، وكان يرى القدر ويدلّس في الحديث. مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥، وفيات الأعيان ٤٢٧/١.

قيس بن عاصم بن سنان التميميّ: وفد مع جماعة من بني تميم على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، وأسلم سنة تسع من الهجرة، ولمّا رآه النبي صلى الله عليه وآله، قال: هذا سيّد أهل الوَبَر. كان عاقلاً حليمًا. حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية. روى موعظة نافعة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم. انظر: أسد الغابة ٢١٩/٤، سفينة البحار ٤٥٧/٢.

كعب بن زهير بن أبي سُلمى المازنيّ: شاعر عالي الطبقة من أهل نجد، له ديوان شعر.

كان ممن اشتُهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، وأقام يشبّب بنساء المسلمين، فهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلّم دمه، فجاءه كعب مستأمنًا وقد أسلم، وأنشده لاميّته المشهورة التي مطلعها: «بانت سعاد فقلبي اليوم متبول»، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، وخلع عليه بُردته. توفي سنة ٢٦. انظر: أسد الغابة ٤/٢٤٠، السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٤٤، الأعلام للزركليّ ٦/٨١.

محمد بن عمر بن عبد العزيز أبو عمرو الكشيّ: نسبة إلى كشّ من بلاد ما وراء النهر. له كتاب الرجال، كثير الفائدة والعلم، إلا أنّ فيه أغلاطًا، كما قاله المحدّث القمي. لخّصه الشيخ الطوسي، وسمّاه «اختيار معرفة الرجال». صحب العياشيّ وأخذ عنه. توفي سنة ٣٤٠. انظر: تنقيح المقال ٣/١٦٥، سفينة البحار ٢/٤٨١، هدية الأحباب/٢٢٦.

محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكلينيّ الرازيّ: شيخ أجلّ أوثق، كهف العلماء، وملاذ المحدّثين، ومروّج المذهب في غيبة الإمام عليه السلام، الموصوف بمجدّد المذهب على رأس المائة الثالثة، صاحب كتاب الكافي الشريف الصحيح. توفي سنة ٣٢٩ وهي أوّل سنة من غيبة الإمام الكبرى. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/٢٨٠، هدية الأحباب/٢٢٧.

مالك بن أنس الحِميريّ المدنيّ: أحد الأئمة الأربعة في المذاهب، صار من ذوي الفتيا في دولة أبي جعفر المنصور. له محنة في زمن جعفر بن سليمان بالمدينة، فأمر بتجريده وضربه بالسياط. مات بالمدينة سنة ١٧٩. انظر: سير أعلام النبلاء ٨/٤٨، وفيات الأعيان ٤/١٣٥.

مالك بن دحية: لم نعثر على هذا الاسم. وقال ابن ميثم في شرحه على نهج البلاغة ٤/١١٥: هو من رجال الشيعة ومحدّثيهم، ويحتمل كونه مالك بن زمعة القرشيّ العامريّ أو مالك بن ربيعة، أبا أُسيد. توفي سنة ٦٠ أو ٦٥، والمسمّى بمالك من أصحاب علي عليه السلام عدا مالك الأشتر غير واحد، ترجمتهم في: تنقيح المقال ٣/٥٠ - ٥١، انظر أيضاً: أسد الغابة ٤/٢٨٠.

المأمون العباسي أبو العباس عبد الله بن هارون: كان عند وفاة أبيه بمرو، فبويع لأخيه الأمين، ثم جرت بينهما خطوب وحروب إلى أن قُتل الأمين، فبويع له سنة ١٩٨، وكان قد همّ بلعن معاوية على المنابر. دعا إلى القول بخلق القرآن، ومن جرّاء ذلك وقعت المحنة على العلماء. وقد دسّ السم للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فقتله. فأخذه الله تعالى سنة ٢١٨ هـ، في طوس. انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي/٢٤٩، سير أعلام النبلاء ١٠/٢٧٢.

محمد بن أرقط: عنون الرجل في المصادر هكذا. ولم نجد له في كتب الرجال أثرًا، وفي تنقيح المقال: أنّ الأرقط لقب لمحمد الأكبر ابن عبد الله الباهر ابن عم الصادق عليه السلام ومن أصحابه. فلا يبعد زيادة لفظة «ابن». انظر: تفسير العياشي ١/٢٠٩. وسائل الشيعة ١١/٤١٢، تنقيح المقال ١/١٠٨، وفي المصدر الأخير: أقول كون الأرقط لقب محمد هذا مما لا شبهة فيه...

محمد بن إسحاق بن عمّار الصيرفيّ: ثقه عين، قال المفيد في إرشاده: إنه من خاصّة الكاظم عليه السلام وثقاته، وأهل الورع والعلم والفقه من شيعته. سمّاه أبوه محمدًا بأمر الصادق عليه السلام. انظر: بهجة الآمال ٦/٢٨٢، تنقيح المقال ٢/٧٧.

محمد بن عليّ بن أبي طالب، أبو القاسم ابن الحنفية: كان كثير الورع، وراية أبيه يوم الجمل كانت بيده. دعاه ابن الزبير إلى بيعته فلم يجبه، فنفاه إلى الطائف. ومن جلالته أنه كان للحسين عليه السلام عينًا في المدينة عندما أراد الخروج إلى العراق. والكيسانيّة ينسبون أنفسهم إليه. ولد سنة ٢١، وتوفي بالطائف سنة ٨١. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٩١، أنساب الأشراف ٥/٢١٤.

محمد بن حكيم: المسمّى بهذا الاسم متشرك بين عدّة رجال، منهم محمد بن حكيم الساباطيّ غير الممدوح من أصحاب الصادق عليه السلام، ومنهم محمد بن حكيم الخثعميّ الممدوح من أصحاب أبي الحسن والصادق عليهما السلام. وفي تنقيح المقال أنه متحد مع محمد بن حكيم المطلق. وكان أبو الحسن عليه السلام يأمر محمد بن حكيم أن يجالس أهل المدينة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وأن يكلّمهم ويخاصمهم... انظر: تنقيح المقال ٣/١٠٩، رجال النجاشي/٢٧٦،

هامش الخلاف ١/٣٩٥.

محمد بن زيد الشحّام الكوفيّ مولاهم: من أصحاب الصادق عليه السلام. رجل ممدوح وله ابن ممدوح. روى عنه عليه السلام دعاء التعقيب في أيام رجب: يا من أرجوه لكل خير... انظر: تنقيح المقال ٣/١١٨، بهجة الآمال ٦/٤٣٣.

محمد بن سنان الزاهريّ الكوفيّ: من أصحاب الرضا عليه السلام. غير ثقة لا يلتفت إلى ما تفرّد به. له كتب منها: «الطرائف» وغيرها. مات سنة ٢٢٠. وثّقه جماعة منهم الشيخ المفيد وغيره. انظر: جامع الرواة ٢/١٢٨، بهجة الآمال ٦/٤٤٢، ٤٦١، تنقيح المقال ٣/١٢٤.

محمد بن عجلان المدنيّ: عدّه الشيخ من أصحاب الباقر عليه السلام. روى أيضًا عن الصادق عليه السلام، وحاله مجهولة. انظر: رجال الطوسي/١٣٥، و٢٩٥، تنقيح المقال ٣/١٥٠.

محمد بن عرفة: ليس له ذكر في كتب الرجال، وحاله مجهولة ولا يبعد كونه إماميًّا، لما روى الكليني عنه. قال الرضا عليه السلام: ويحك يا ابن عرفة: اعملوا لغير رياء ولا سمعة... ويحك! ما عمل أحد عملاً إلا ردّه الله به، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشرّ.... انظر: أصول الكافي ٢/٢٩٤، رجال الطوسي /٣٨٨، تنقيح المقال ٣/١٥٠.

محمد بن علي أبو جعفر ابن بابويه الملقّب بالشيخ الصدوق القميّ: وجه الطائفة المحقّة ورئيس المحدّثين. ولد بدعاء مولانا صاحب الزمان عليه السلام، فعمّت بركته وبقيت مصنّفاته نحو من ثلاثمائة مصنّف. توفي سنة ٣٨١، ودفن بالري قرب السيد الكريم عبد العظيم الحسني، وأبوه كان شيخ القمّيّين، وكفى في فضله ما في التوقيع المنقول: أوصيك يا شيخي ومعتمدي وفقيهي يا أبا الحسن...». انظر: هدية الأحباب/٤٩، بهجة الآمال ٦/٤٩٥ - ٥٠٦.

محمد بن مروان: مشترك بين عدة من أصحاب الصادق عليه السلام، المدنيّ والبصريّ، والكوفيّ والأنباريّ، والكلبيّ وغيرهم. والأشهر منهم عند نقلة الحديث

رجلان: الرجل البصريّ الذي يقال فيه أنه كان ملازمًا للصادق عليه السلام، وعدّ من الثقات الحسان. والرجل الكلبيّ الذي روى عنه جمع من الأصحاب نحوًا من أربعين رجلاً. كان أكثرهم من وجوه الأصحاب. وإحدى روايات الكلبيّ هي التي رواها عنه الربيع بن محمد المسليّ، ووردت في الكافي ٣٨٧/١، باب مواليد الأئمة عليهم السلام. انظر: تنقيح المقال ١٨٢/٣، بهجة الآمال ٦٢٩/٦.

محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي: سلطان العلماء والمحقّقين، وأفضل علماء عصره في العلوم العقلية والنقلية. جمع في خزانة كتبه ما ينوف على أربعمائة ألف مجلّدة. كان أستاذ العلاّمة الحلي. له مصنّفات لم تر عين الزمان مثلها. توفي سنة ٦٧٢. انظر: تنقيح المقال ١٧٩/٣، بهجة الآمال ٥٧٩/٦، هدية الأحباب/١٩٥.

السيد محمد حسين بن السيد محمد بن السيد محمد حسين التبريزيّ المعروف بالعلاّمة الطباطبائي: أحد الفقهاء المفسّرين والفلاسفة الإلهيين. ولد في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٢١، بدأ رحلة العلم في مسقط رأسه تبريز، ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٤٣، وأقام فيها عشر سنوات، حتى حاز درجة الاجتهاد. ثم عاد إلى مسقط رأسه، وأقام به أكثر من عشر سنين، ثمّ هاجر إلى قمّ المشرّفة سنة ١٣٦٤، واستقرّ فيها. بدأ نجمه بالظهور وذاعت شهرته بعد تدريسه التفسير والفلسفة، وبعد تأليفه كتابه الخالد: الميزان في تفسير القرآن. توفي في ١٨ محرّم سنة ١٤٠٢، تنظر: المفسّرون حياتهم ومنهجهم/٧٠٣، أعيان الشيعة ٢٥٤/٢٩، مهر تابان/٨– ٣٠.

مسعدة بن صدقة بن العيس البصري العبديّ: روى عن أبي عبد الله وابي الحسن عليهما السلام. وظاهر النجاشي كونه إماميًّا، ولكن حكي عن بعض أتقياء المتأخرين كونه عاميًّا معتمدًا عليه في النقل. وقال فيه المولى الوحيد: إنّ جميع ما يرويه في غاية المتانة موافقة لما يرويه الثقات من الأصحاب. له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام. انظر: تنقيح المقال ٢١٢/٣، تحفة الأحباب/٤٩٨.

معاذ بن جبل بن عمرو الأنصري الخزرجي: أحد الستة الذين جمعوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلّم. آخى النبي بينه وبين جعفر بن أبي طالب. بعثه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعد غزوة تبوك قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن، وفيه قال عمر: لولا معاذ لهلك عمر. انظر: سير أعلام النبلاء ١/٤٤٣، أسد الغابة ٤/٣٧٦.

معاوية بن أبي سفيان القرشيّ الأمويّ: أمّه هند بنت عتبة، أسلم بعد الفتح وسار مع أخيه إلى الشام، فأقرّه عمر واليًا عليها بعد أخيه، إلى أن بويع لأمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، فتمرّد معاوية عليه وجهّز جيشاً لقتاله، فتلاقيا بصفّين. ومن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فيه: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه. مات سنة ٦٠، روى عنه أصحاب الحديث ١٦٣ حديثًا. انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطيّ/٢١٧، معالم المدرستين ٢/٣٨.

معاوية بن عمار بن أبي خبّاب الدُّهني: كوفيّ ثقة كان وجهًا عظيم المحل. روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، وكان أبوه عمّار ثقة في العامة. مات معاوية سنة ١٧٥. انظر: رجال النجاشي/٤١١، تنقيح المقال ٣/٢٢٤.

مفضّل بن عمر أبو عبد الله الجُعفيّ الكوفيّ: كان من أجلاّء أصحاب الصادق عليه السلام. دخل يومًا على أبي عبد الله عليه السلام، فلمّا بَصُرَ به ضحك إليه، ثم قال: إليّ يا مفضّل! فو ربّي إنّي أحبّك وأحبّ من يحبّك. يا مفضّل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان. مات في حياة الصادق عليه السلام. انظر: سفينة البحار ٢/٣٧١، بهجة الآمال ٧/٧٠- ٨٠.

موسى بن عمران بن قهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام: ولد بمصر في زمان فرعون الجبّار، الوليد بن مصعب الذي ملك مصر دهرًا طويلاً، وكان من أمر ولادته والتقاط آل فرعون إياه ما حكاه الله تعالى في كتابه. بعثه الله رسولاً إلى فرعون مع أخيه هارون وكانت وفاته بعد وفاة هارون بسبعة أشهر، وقيل بثلاث سنين، وقبره في جبل نابون. انظر: تاريخ اليعقوبي ١/٣٣، سفينة البحار ٢/٦٤٨.

مير محمد باقر بن محمد الحسيني الاسترآباديّ الشهير بالداماد: كان والده صهر الشيخ الأجل المحقّق الكركي. ومن سيرته أنه يتلو القرآن نصفه في كل ليلة، وبلغ في التعبّد

والتهجّد إلى النهاية. وله مصنّفات؛ منها القبسات، والصراط المستقيم، والحبل المتين، وحواشٍ على الكافي وغيرها. توفي سنة ١٠٤١، ودفن بالنجف الأشرف. انظر: الذريعة ١/٤٠٧، مقدّمة القبسات، هدية الأحباب/١٣٤.

النجاشي أصحمة بن أبحر: ملك الحبشة أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، وأحسن إلى المسلمين الذي هاجروا إلى أرضه، ووقع بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم مكاتبات. توفي قبل فتح مكة، ولما مات نعاه جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، فجمع الناس بالبقيع، فكُشف له إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي وصلّى عليه. والنجاشي لقب ملك الحبشة كما أنّ كسْرى للفرس، وقيصر للروم. انظر: بحار الأنوار ١٨/٤١٠، الكامل في التاريخ ١/٤٩٩، سفينة البحار ٢/٥٧١.

نجدة بن عامر أو عمير الحروريّ اليمانيّ: من رؤوس الخوارج، زائغ عن الحق. خرج باليمامة بعد موت يزيد بن معاوية، فارقه بعض أصحابه، وقتل بأيديهم سنة ٦٩، له أتباع يعرفون بالنجدات، انظر: لسان الميزان ٦/١٤٨، الغدير ١٠/٥٣، موسوعة الفرق الإسلامية/٤٩٩.

نمرود بن كنعان بن سخاريب: وقيل: نمرود بن كنعان بن سام: هو الذي أراد إحراق الخليل عليه السلام، وكان أوّل جبّار في الأرض، وادّعى الألوهية وأول من اخترع التاج ووضعه على رأسه. ملك الشرق والغرب، وهلك بعد أربعمائة سنة من ملكه. انظر: الكامل في التاريخ ١/٩٦، المنتظم ١/٢٥٩، حبيب السير ١/٤٣.

وليد بن عروة الهَجَريّ: من أصحاب الباقر عليه السلام. قال الشيخ الطوسيّ: وليد بن عروة الهجريّ الشيبانيّ من أصحاب الصادق عليه السلام، ولا يبعد اتحادهما. انظر: تنقيح المقال ٣/٢٨٠، معجم رجال الحديث ٢٠/٢١٦.

وهب بن وهب أبو البختريّ القرشيّ: ضعيف عاميّ المذهب لا يعوّل على روايته، كما في بهجة الآمال ٧/١٦٦، منتهى المطلب ١/٢٥١، توفي سنة ٢٠٠. انظر: الكامل في التاريخ ٥/١٨١.

هشام بن الحكم الكِندي الكوفيّ: كان حاذقًا في الكلام، حاضر الجواب، من أصحاب الصادق عليه السلام ومن خواصّه، وله كتب في الرد على المعتزلة، وفي التوحيد وغير ذلك. توفي سنة ١٧٩، وقيل: سنة ١٩٠، انظر: الفهرست لابن النديم /٢٢٣، سفينة البحار ٢/٧١٩، رجال النجاشي/٤٣٣.

هشام بن سالم الجواليقيّ الرمّانيّ الواسطيّ: روى عن عكرمة وسعيد بن جبير، وروى عنه منصور بن المعتمر والثوريّ وغيرهما. سكن قصر الرمّان بواسط وتوفي بها سنة ١٢٢. انظر: تهذيب التهذيب ١٢/٢٦١، العبر/١١٩.

يحيى بن سعيد بن العاص الأمويّ أبو الحارث المدنيّ: أحد تابعي المدينة ومحدّثيهم كان أبوه ابن عمّ لعثمان ووالیه على الكوفة، وفي عهد معاوية كان واليه على المدينة بعد مروان. وفيهما قال الإمام الباقر عليه السلام: كان مروان خيرًا لنا في السرّ، وسعيد خيرًا لنا في العلانية. كان عبد الملك بن مروان حين قتل أخاه عمرو بن سعيد سيّره إلى المدينة، فلحق بمصعب بن الزبير، ثمّ آمنه عبد الملك بعد قتل ابن الزبير. وله مع الحسين بن علي عليهما السلام قصة، جاءت في الإرشاد للمفيد ٢/٦٨١. انظر: الكامل في التاريخ ٤/٤٠، ٣٠٠، ٣٣٠، تهذيب التهذيب ١١/٢١٥.

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام: كان يسمّى إسرائيل أيضًا؛ إمّا بمعنى عبد الله، وإمّا لما كان يسري بالليل ويكمن بالنهار خوفًا من أخيه عيص. وُلِدا من بطن أمّهما توأمين فخرج عيص أولاً ويعقوب بعده، وكان أخذ يعقوب بعقب عيص فسمّي يعقوب. قال إسحاق له: إنّ الله قد جعلك وجعل ولدك أنبياء. وأمره أن يسير إلى موضع بالشام عند خاله، وتزوّج بابنة خاله مرتين، وولد له بنون وبنات. ولمّا حضرته الوفاة أوصى أن لا يدفنوه بمصر، فدفنوه عند قبور آبائه، وقيل: دفنه يوسف في مصر على وصيته، وبعد مضيّ ثمانين يومًا من دفنه أخرج جثّته ودفن بأرض كنعان عند أبيه وجدّه، وله ١٤٧ سنة. انظر: تاريخ اليعقوبي ١/٣١، الكامل في التاريخ ١/١٠٢، لغتنامه دهخدا ٣٥/٢٠٢.

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام: أُلقي في الجُبّ وله سبع عشرة سنة، وكان بين رؤياه وتأويل رؤياه بمجيء يعقوب وإخوته إليه ثمانون سنة،

وقيل: أربعون سنة. عاش ١٢٠ سنة، وكان مقام يعقوب وإخوته معه بمصر سبع عشر سنة، كان يوسف أحبّ إخوته إلى أبيه، فحسدوه وكان من خبرهم ما قصّه الله تعالى في كتابه العزيز. وعاش يوسف بمصر دهرًا، وملكُ مصر حينئذٍ، الرّيان بن وليد من العمالقة. وولي يوسف على خزائن أرض مصر على عهد الملكين ريان بن وليد ومصعب بن معاوية، وتوفي في ملك الأخير، فصيّر في تابوت حجارة، وصيّر في النيل وقيل: إنّه جمع بني إسرائيل عند وفاته وقال بعد تبشيره إياهم بظهور موسى عليه السلام: إنكم تخرجون بدني من هذه الأرض حتى تدفنوني عند قبور آبائي، ففعله موسى بن عمران عليه السلام هكذا. انظر: تاريخ اليعقوبي ٣٣/١، الكامل في التاريخ ١١٨/١، لغت نامه دهخدا ٣٠٥/٣٥.

يونس بن عبد الرحمن أبو محمد مولى علي بن يقطين: كان وجهًا من أصحابنا، عظيم المنزلة. رأى جعفر بن محمد عليه السلام بين الصفا والمروة ولم يرو عنه، وكان الرضا عليه السلام يشير إليه في العلم والفُتيا. مات سنة ٢٠٨، انظر: رجال النجاشي/٣٤٨، تنقيح المقال ٣٣٨/٣، هامش الخلاف ٨٦/١.

يونس بن متى: من أولاد بنيامين بن يعقوب عليه السلام، هرب بدينه قبل النبوّة، فنزل شاطئ دجلة، فبعثه الله رسولاً وهو ابن أربعين سنة إلى أهل نينوى من أرض الموصل، وكانوا جبّارين. انظر: تاريخ الطبري ١٥٧/١، سفينة البحار ٤٨/١.

المصادر

أحاديث مثنوي: بديع الزمان فروزانفر، موسّسه أمير كبير (١٣٦١ هـ.ش).

الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (قرن ٦)، نشر المرتشى (١٤٠٣هـ) مطبعة سعيد، مشهد.

إحقاق الحق وإزهاق الباطل: نور الله الحسيني المرعشيّ التستريّ الشهيد (١٠١٩هـ)، مكتبة آية الله المرعشيّ (١٤٠٤)، مطبعة الخيام، قم، ٢٦ مجلداً.

إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت ٤ مجلدات.

الأربعاء في أصول الدين: محمد بن عمر الشهير بفخر الدين الرازي، (٦٠٦ هـ)، حيدر آبادي دكن.

دائرة المعارف العثمانية، (الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ)، تحقيق السيد زين الدين الموسوي.

الإرشاد: محمد بن محمد بن نعمان العبكريّ، الشيخ المفيد (٤١٣ هـ) قم، مكتبة بصيرتي (بدون تاريخ).

أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (م ٥٢٨)، تحقيق: عبد الرحيم محمود، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، بدون تاريخ.

أسد الغابة: عليّ بن محمد ابن الأثير الجزريّ (٦٣٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ)، ٥ مجلدات.

أسرار الحكم: الحكيم ملا هادي السبزواري، تقديم: أبو الحسن الشعراني، المكتبة الإسلامية، طهران ١٣٦٢ هـ.ش.

الإشارات والتنبيهات: الشيخ الرئيس ابن سينا (٤٢٨ هـ)، جامعة طهران ١٣٣٩هـ.ش، تحقيق الدكتور محمود شهابي.

الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاين (٨٥٢هـ)، دار صادر بيروت، (بدون تاريخ)، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

أصول الدين للبغداديّ (٤٢٩ هـ)، مدرسة الإلهيات باسطنبول، مطبعة الدولة ١٣٤٦ هـ/١٩٢٨م.

أصول الكافي: ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (٣٢٨هـ).

التصحيح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، مجلّدان.

الاعتقادات للصدوق، تحقيق عصام عبد الصمد، المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، الطبعة الأولى (١٣٧١ هـ.ش/١٤١٣هـ) مطبعة مهر، قم.

الأعلام: خير الدين الزركليّ المعاصر، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة (١٩٨٦م)، ٨ مجلّدات.

إعلام الورى بأعلام الهدى: أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (قرن ٦)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين الحسيني العاملي (١٩٥٢ م)، بيروت، دار التعارف للمطبوعات ١٤٠٣هـ، تحقيق حسن الأمين.

الأمالي للصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القميّ (٣٨١١هـ) بيروت، مؤسّسة الأعلمي (١٤٠٠هـ).

الأمثال والحكم: علي أكبر دهخدا (١٣٣٤ ش)، طهران (١٣١٠ ش).

أنساب الأشراف: البلاذريّ أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ)، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (١٣٩٤ هـ).

الأنوار البهية (في تواريخ الحجج الإلهية): الشيخ عباس القميّ (١٣٥٩ هـ)، مكتبة جعفري، تقديم الأستاذ محمد كاظم الخراسانيّ (الشانه چي).

أوائل المقالات في مذاهب المختارات: محمد بن محمد بن نعمان العكبري، الملقّب بالشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تبريز، مطبعة رضائي، الطبعة الأولى (١٣٦٣ هـ.ش)، تعليق السيد هبة الدين الشهرستاني، تصحيح الواعظ الچرانداببي.

بحار الأنوار: محمد باقر بن محمد تقي المجلسي(١١١٠هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١١٠ مجلدات.

البرهان في تفسير القرآن: سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد الحسيني البحرانيّ (١١٠٧ق)، إسماعيليان، قم، تصحيح: محمود بن جعفر الموسوي الزرندي، ٤ مجلدات.

بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار القمي (٢٩٠ هـ)، مكتبة آية الله المرعشي، قم، تعليق: ميرزا محسن كوچه باغى (١٤٠٤ هـ).

البلد الأمين: الشيخ إبراهيم الكفعمي (٩٠٥ هـ)، الطبعة الحجرية.

بهجة الآمال في شرح زبدة المقال: العلاّمة ملاّ علي العلياريّ التبريزي (١٣٢٧هـ)، طهران، بنياد فرهنكِ إسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ.

تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) مطبعة السعادة القاهرة، (١٣٤٩ هـ)، ١١ مجلّدًا.

تاريخ الحكماء: محمد بن محمود الشهرزوريّ (ق ٧هـ)، شركة الانتشارات العلمية والثقافية طهران، (١٣٦٥ ش)، اهتمام محمد تقي دانش پژوه.

تاريخ الخلفاء: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) دار العلم - بيروت (١٤٠٦ هـ)، تحقيق: قاسم الرفاعيّ.

تاريخ الطبري: (المعروف بتاريخ الأمم والملوك): أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ الطبعة الخامسة، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤٠٩ هـ).

تاريخ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب اليعقوبي (كان حياً إلى ٢٩٢ ق)، مؤسسة فرهنگ أهل البيت قم، (بدون تاريخ) مجلّدان.

التحصيل: بهمنيار بن المرزبان، تصحيح الأستاذ الشهيد: مرتضى مطهري، جامعة طهران، مركز إلهيات ومعارف إسلامي، (١٣٤٩ هـ.ش).

تحفة الأحباب في نوادر آثار الأصحاب: الشيخ عباس القمي (١٣٥٩هـ)، تحقيق السيد جعفر الحسينيّ، دار الكتب الإسلامية، طهران (١٣٧٠ هـ.ش).

تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، (القرن الرابع)، تقديم محمد حسين الأعلميّ، مؤسّسة الأعلمي، بيروت (١٣٨٩هـ).

تصحيح الاعتقاد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري، الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، منشورات الرضيّ، قم (١٣٦٣ ش)، مطبعة الأمير.

التعريفات: علي بن محمد المعروف بالسيد الشريف الجرجانيّ (٨١٦ هـ)، المطبعة الخيريّة، مصر (١٣٠٦هـ).

تعليقات النقض: مير جلال الدين الحسيني الأرمويّ المحدّث، أنجمن آثار ملّي طهران، (١٣٥٨ ش).

تفسير الإمام العسكري: المنسوب إلى أبي محمد الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي، قم (١٤٠٩هـ).

تفسير الصافي: الفيض الكاشاني، المكتبة الإسلامية، طهران، (١٣٨٧ هـ)، مجلدان.

تفسير العياشيّ: أبو النصر محمد بن مسعود بن عيّاش السلميّ السمرقندي المعروف بالعياشيّ (٢٣٠ هـ)، تصحيح السيد هاشم الرسولي المحلاّتي، المكتبة العلمية الإسلامية طهران (١٣٨٠هـ).

تفسير القميّ: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (القرن الرابع)، تصحيح: السيد طيّب الموسوي الجزائري، مكتبة الهدى النجف، (١٣٨٦ - ١٣٨٧هـ)، مجلّدان.

تفسير فرات الكوفيّ: فرات بن إبراهيم الكوفي (القرن الثالث)، المكتبة الحيدرية،

النجف (١٣٥٤هـ).

التفسير الكبير: محمد بن عمر فخر الدين الرازي (٦٠٦ ق)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ)، ١٦ مجلداً، بالأوفست عن طبعة القاهرة.

تنقيح المقال في أحوال الرجال: عبد الله المامقاني (١٣١١هـ)، المكتبة المرتضوية النجف، (١٣٥٢هـ.ش)، ٣ مجلّدات.

تلخيص المحصّل: محمد بن محمد بن الحسن المولى نصير الدين الطوسي (٦٧٢هـ)، مؤسّسة مطالعات إسلامي جامعة مك كيل كندا في طهران، تصحيح الشيخ عبد الله النوراني، والدكتور مهدي المحقّق، (١٣٥٩ هـ.ش).

التوحيد: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، (٣٨١هـ)، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم، تصحيح السيد هاشم الحسيني الطهرانيّ.

تهذيب التهذيب: ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ)، حيدر آباد دكن، دائرة المعارف النظامية، (١٣٢٥ هـ – ١٣٢٧هـ)، ٦ مجلّدات.

ثواب الأعمال وعقابها: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١ هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري، أوفست كتبي نجفي، قم، مكتبة الصدوق: طهران.

جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والأسناد: محمد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري (١١٠١هـ)، مكتبة المحمدي طهران، (١٣٣١ – ١٣٣٢)، مجلّدان.

جامع السعادات: محمد مهدي النراقي (١٢٠٩ هـ)، تصحيح السيد محمد كلانتر، مطبعة النجف الأشرف، (١٣٨٣هـ).

الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (١٣٨٧ هـ)، ٢٠ مجلّداً.

(تاريخ) حبيب السير: غياث الدين همام الدين خواند مير (٨٨٠ - ٩٤٢هـ) طهران (١٢٧١ هت)، الطبعة الحجرية.

الحقائق في محاسن الأخلاق: محمد بن المرتضى الملقّب بالفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، (١٢٩٩ هـ)، الطبعة الحجرية.

حكمة العين وشرحه، الماتن: نجم الدين علي بن عمر الكاتبي القزويني (٦٧٥هـ) تقديم وتصحيح الأستاذ جعفر الزاهدي، انتشارات جامعة مشهد (١٣٥٣هـ)، والشارح: شمس الدين محمد بن مباركشاه البخاريّ (٨١٦هـ).

الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة: محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (١٠٥٠هـ)، تصحيح محمد رضا المظفّر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٩٨١م)، ٩ مجلدات.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله أبو نعيم الإصفهاني (٤٣٠ م)، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٩هـ).

حياة القلوب: المولى محمد باقر بن محمد تقي، العلاّمة المجلسي، (١١١٠ هـ)، المكتبة الإسلامية، طهران (١٢٨٦هـ)، الطبعة الحجرية.

الخصال: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القميّ (٣٨١هـ)، جامعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة، (١٤٠٣ هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاريّ.

الخلاف: أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، (١٤٠٧هـ).

الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم (١٤٠٤هـ)، ٣ مجلّدات.

(سلوة الحزين): الدعوات: أبو الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن المعروف بقطب الدين الراوندي (٥٧٣ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام

المهدي – قم (١٤٠٧هـ).

دلائل الصدق: محمد حسن المظفّر (١٣٧٦ هـ)، (بدون تاريخ).

ديوان الإمام علي بن أبي طالب: شرح الدكتور يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ).

ديوان حافظ: شمس الدين محمد الشيرازي (٧٩٢ هـ)، تصحيح عبد الرحيم الخلخاليّ، مطبعة فرهنگ، طهران انتشارات حافظ نوين (١٣٧٠ هـ.ش).

الذريعة إلى تصانيف الشيعة: الشيخ آقا برزگ الطهرانيّ، (١٣٨٨هـ)، دار الأضواء، بيروت، (١٤٠٣هـ)، ٢٥ مجلّداً.

ربيع الأبرار: محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧– ٥٣٨ هـ)، تحقيق الدكتور سليم النعيميّ. قم – منشورات الرضيّ (١٤١٠هـ)، ٤ مجلدات. إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العراقية وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

رسائل إخوان الصفا: (القرن الرابع)، دار صادر، للطباعة والنشر، بيروت (١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م)، ٤ مجلّدات.

رجال ابن داود: الحسن بن علي الحلّي (٦٤٧هـ)، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف (١٣٩٢هـ).

رجال الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن، الشيخ الطوسي، (٤٦٠هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف (١٣٨١هـ)، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم.

رجال الكشي: محمد بن عمر الكشيّ (القرن الرابع)، مؤسّسة آل البيت، قم، (بدون تاريخ)، تعليق ميرداماد الاسترآبادي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مجلّدان.

رجال النجاشي: أحمد بن علي النجاشيّ (٤٥٠هـ)، تحقيق موسى الشبيريّ الزنجانيّ، مؤسّسة النشر الإسلامي قم، (١٤٠٧هـ).

رسائل الحكيم السبزواري: ملا هادي بن مهدي السبزواري (١٢٨٩هـ)، تصحيح السيد جلال الدين آشتياني، مكتبة أسوه، طهران، (١٣٧٠هـ.ش).

رسائل فلسفي ملا صدرا: محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي، (١٠٥٠هـ) تعليق وتصحيح السيد جلال الدين آشتياني، انتشارات مكتب الإعلام الإسلامي، قم (١٣٦٢هـ.ش).

الرسالة القشيرية في علم التصوّف: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيريّ (٤٦٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

روضة الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (٣٩٢هـ)، تحقيق محمد جواد الفقيه، دار الأضواء، بيروت (١٤١٣هـ).

روضة الواعظين: محمد بن الفتّال النيشابوري، (المقتول سنة ٥٠٨هـ)، منشورات الرضيّ، قم، (١٣٨٦هـ).

روضات الجنات: المير محمد باقر الخوانساري (١٣١٣هـ) طهران، المكتبة الإسلامية (١٣٩٠هـ).

روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن: الحسين بن علي أبو الفتوح الرازي (القرن السادس)، مجمع البحوث الإسلامية التابعة للآستانة الرضوية مشهد، تصحيح الدكتور ناصح ويا حقّي، (١٣٦٧– ١٣٧٥هـ.ش).

ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب: الميرزا محمد علي مدرس (١٣٧٣هـ)، شفق تبريز، (١٣٤٦هـ.ش).

سبحة الأبرار: عبد الرحمن بن أحمد جامى (٨٩٨هـ)، طهران، وزارت المعارف (١٣١٣ هـ.ش).

سرّ العالمين: أبو حامد محمد الغزاليّ (٥٠٥هـ)، مطبعة ميرزا حبيب الله، الحجرية، طهران، (١٣٠٥هـ).

سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: الشيخ عباس القميّ (١٣٥٩هـ)، مكتبة السنائيّ، مجلّدان.

سفينة النجاة: المولى محمد طاهر القميّ (١٠٩٨هـ)، تحقيق حسين الدرگاهي

انشارات نيك معارف، طهران، (١٣٧٣هـ.ش).

سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذيّ (٢٧٩هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت (١٤٠٠هـ).

سه رساله شيخ إشراق: شهاب الدين يحيى السهروردي (٥٨٧هـ)، تصحيح نجف قلي الحبيبي، مركز تحقيقات فارسي إيران وباكستان، مؤسّسة انتشارات إسلامي، (١٤٠٤هـ).

سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، بيروت، مؤسّسة الرسالة، الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ)، ٢٣ مجلّداً.

السيرة النبوية: ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (٢١٨ أو ٢١٣هـ)، أوفست إيران، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأنباريّ (١٣٦٣هـ.ش) مجلّدان.

السيرة الحلبية: علي ابن أحمد بن عثمان الذهبيّ (٧٤٨هـ)، بتحقيق محمود المرعشيّ، مكتبة آية الله المرعشي، (١٤٠٩هـ).

شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبليّ (١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ)، ٤ مجلّدات.

شرح الإشارات والتنبيهات: محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي (٦٧٢هـ)، المطبعة الحيدرية، (١٣٧٧هـ).

شرح حكمة الإشراق: قطب الدين محمود الشيرازي (٧١٠هـ) طهران، الطبعة الحجرية (١٣١٥هـ.ش).

شرح غرر الحكم: جمال الدين محمد الخوانساريّ، تصحيح السيد جلال الدين الحسيني الأرموي جامعة طهران، (١٣٦٦هـ).

شرح المقاصد: سعد الدين التفتازاني (٧٩٣هـ)، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، انتشارات الرضي، الطبعة الأولى، قم - (١٣٧٠ - ١٣٧١)، ٥ مجلّدات.

شرح المنظومة: ملا هادي بن محمد الحكيم السبزاوري (١٢٨٩هـ)، مكتبة المصطفوي، قم. (بدون تاريخ).

شرح المصطلحات الفلسفية: إعداد قسم الكلام والفلسفة في مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ)، مؤسّسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدّسة مشهد.

شرح نهج البلاغة: عز الدين بن أبي الحديد المدائني (٦٥٦هـ)، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، (١٣٧٨هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (٦٧٩هـ)، مؤسسة النصر، قم (١٣٦٢هـ.ش)، ٥ مجلدات.

شرف النبي: أبو سعيد الواعظ الخركوشي (٤٠٦هـ)، ترجمة نجم الدين محمد الراوندي، تصحيح محمد روشن، انتشارات بابك، طهران (١٣٦١هـ.ش).

الشفاء في الإلهيات: حسين بن عبد الله ابن سينا (٤٢٨هـ)، مكتبة آية الله العظمى المرعشي قم، (١٤٠٤هـ)، تحقيق الأب قنواتي وسعيد زايد، تقديم: إبراهيم مدكور.

الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية: محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي، (١٠٥٠هـ)، تصحيح السيد جلال الدين الآشتياني، انتشارات جامعة مشهد (١٣٤٦هـ.ش).

صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، عن طبعة اسطنبول، (١٤٠١هـ .ق).

الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين عليهم السلام، ترجمة السيد علي نقي فيض الإسلام، طهران (١٣٧٥هـ).

الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (٢٣٠هـ)، دار صادر بيروت، (١٣٨٩هـ)، ٨ مجلّدات.

طبقات الفقهاء: أبو إسحاق الشيرازي (٤٧٦ هـ)، بيروت (١٩٧٠م) تحقيق إحسان عبّاس.

العبر في خبر مَن غبر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول (بدون تاريخ).

العقود الاثنا عشر في رثاء سادات البشر: العلاّمة السيد مهدي بن مرتضى بحر العلوم، (١٢١٢هـ)، مجلة تراثنا ١٠/٢١٣، قم، (١٣٧٥هـ.ش).

علم اليقين في أصول الدين: الحكيم محمد بن المرتضى الملقّب بالفيض الكاشاني، (١٠٩١هـ)، انتشارات بيدار، قم (١٣٥٨هـ.ش)، مجلّدان.

عيون أخبار الرضا: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القميّ (٣٨١هـ)، تصحيح السيد مهدي الحسيني اللاجورديّ، المطبعة العلمية، قم، مجلّدان.

الغدير في الكتاب والسنة والأدب: العلامة الشيخ عبد الحسين بن أحمد الأمينيّ النجفي (١٣٤٩.ش)، الطبعة الرابعة (١٣٩٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١١ مجلّداً.

الفتوح: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (٣١٤هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).

الفردوس بمأثور الخطاب: أبو شجاع شيرويه بن شهر دارين شيرويه الديلميّ الهمدانيّ (٥٠٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٦هـ).

الفرق بين الفرق: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى (١٣٩٣هـ).

فروع الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (٣٢٨هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري دار الكتب الإسلامية، طهران، (١٣٩١هـ).

فرهنگ، تاريخ: ترجمة تدين أحمد وشهين أحمدي، مكتبة آگاه، طهران (١٣٦٩هـ.ش)، مجلّدان.

فضائل الخمسة من الصحاح الستة: السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، (المعاصر)، دار الكتب الإسلامية (١٣٩٢هـ).

فضائل الشيعة: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القميّ (٣٨١هـ)، انتشارات أعلمي، طهران.

فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبيّ (٧٦٤هـ)، دار صادر، بيروت، (١٩٧٣م)، تحقيق الدكتور إحسان عباس.

الفهرست: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق الورّاق المشهور بابن النديم (٣٨٠هـ)، طهران (١٣٥٠هـ.ش)، تحقيق رضا تجدّد.

الفهرست: أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ) مكتبة المرتضوي، طهران، تصحيح وتعليق السيد محمد صادق آل بحر العلوم.

قاموس اللغة (القاموس المحيط): الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، أوفست دار الجيل بيروت.

القبسات: محمد بن محمد باقر الداماد الحسيني (١٠٤١هـ)، تحقيق الدكتور مهدي محقّق، مؤسّسة مطالعات إسلامي، طهران.

كامل الزيارات: أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (٣٦٧هـ)، تصحيح العلاّمة الشيخ عبد الحسين الأميني التبريزي، مكتبة المرتضوي، النجف الأشرف (١٣٥٦هـ).

الكامل في التاريخ: ابن الأثير علي بن محمد الجزري (٦٣٠هـ)، طهران بي نا، بي تا.

الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمر الزمخشريّ (٥٢٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ٤ مجلّدات.

كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: محمد بن محمد بن الحسن المولى نصير الدين الطوسيّ (٥٩٨– ٦٧٢) مكتبة المصطوفي، قم.

كليات سعدي: مصلح الدين بن عبد الله السعدي (٦٩١هـ)، تصحيح ذكاء الملك فروغي، مع مقدّمة عباس إقبال الآشتياني ومحمد علي فروغي، جاويدان، طهران، (١٣٤٥ هـ.ش).

كمال الدين وتمام النعمة: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (٣٨١هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاريّ، مؤسسة النشر الإسلامي (١٤٠٥هـ).

الكنى والألقاب: الشيخ عباس القميّ، (١٣٥٩هـ)، مكتبة الصدر، طهران، (١٣٩٧هـ) ثلاثة مجلّدات.

كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي (٩٧٥هـ)، تحقيق نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ).

كنز الفوائد: أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكيّ الطرابلسيّ (٤٤٩هـ)، دار الأضواء بيروت (١٤٠٥هـ)، تحقيق عبد الله نعمة.

گلستان سعدي: مصلح الدين بن عبد الله السعديّ (٦٩١هـ)، تصحيح محمد علي فروغيّ، أمير كبير، طهران، (بدون تاريخ).

گلشن راز: محمود الشبستري (٧٢٠) تصحيح صمد موحّد، گلشن، (١٣٦٨هـ.ش).

لآلئ الأخبار: محمد نبيّ التوسير كاني، المكتبة المحمدية، قم، (بدون تاريخ).

لسان العرب: العلاّمة ابن منظور (٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم (١٤٠٥هـ) ١٦ مجلّداً.

لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت الطبعة الأولى (١٣٩٠هـ)، ٧ مجلّدات.

لمعات إلهية: ملا عبد الله الزنوزيّ، (القرن ١٣، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي، طهران، تصحيح السيد جلال الدين الآشتياني ١٣٦١ هـ.ش).

لغت نامه دهخدا: علي أكبر دهخدا (١٣٣٤هـ.ش)، جامعة أدبيات وعلوم

إسلامي، طهران (١٣٣٧ هـ.ش) ٣٥ مجلّداً.

مثنوي: جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين البلخي، الروميّ (٦٧٢هـ)، تصحيح رينولد نيكلسون، باهتمام الدكتور نصر الله پور جوادي، مؤسّسة أمير كبير (١٣٦٣هـ.ش)، ٤ مجلّدات.

مجمع البحرين: فخر الدين الطريحيّ (١٠٨٥هـ)، الثقافة الإسلامية طهران،(١٤٠٨هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني.

مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي فضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ ق)، مكتبة آية الله المرعشيّ، قم (١٤٠٣هـ)، ٥ مجلّدات.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثميّ (٨٠٧هـ)، دار الكتاب، بيروت، الطبعة الثانية (١٩٦٧م)، ٥ مجلّدات.

مجموعة ورّام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر): أبو الحسن ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتريّ (٦٠٥هـ)، دار التعارف، بيروت.

مجموعة مصنّفات شيخ الإشراق: شهاب الدين السهروردي (٥٨٧هـ)، تصحيح السيد حسين نصر، باهتمام الدكتور هنري كوربان، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي، طهران، (١٣٥٥هـ.ش).

المحاسن: أبو جعفر أحمد بن محمد خالد البرقيّ (٣٧٦هـ)، قم، دار الكتب الإسلامية، تصحيح الأستاذ جلال الدين الآرمويّ المحدّث (١٣٣١هـ.ش).

المحجّة البيضاء: محمد بن المرتضى المدعو بالفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاريّ، دفتر انتشارات إسلامي، قم (١٣٦١هـ.ش).

المحصّل: محمد بن عمر فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، تصحيح طه عبد الرؤوف، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٤هـ)، وبهامشه تلخيص المحصّل.

محيط المحيط: بطرس البستاني (١٨٨٣م)، مكتبة لبنان، بيروت، (١٩٧٧م).

مروج الذهب: أبو الحسن علي بن الحسين المسعوديّ (٣٤٦ هـ)، دار الهجرة،

قم، الطبعة الثانية، (١٤٠٤هـ).

مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المولى محمد باقر المجلسيّ (١١١٠هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران (١٣٦٦ هـ.ش)، (١٤٠٧هـ).

مستدرك وسائل الشيعة: الميرزا حسين النوري الطبرسيّ (١١٠٤ هـ)، المكتبة الإسلامية (١٣٨٢ هـ)، طهران، أوفست مؤسسة إسماعيليان ، قم ، ٣ مجلّدات.

مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازيّ الشاهروديّ (١٤٠٥ هـ)، مؤسسة البعثة، طهران، (١٤٠٩هـ)، ١٠ مجلّدات.

مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار الفكر، بيروت (١٤٠٧هـ)، ٦ مجلّدات.

مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: الحافظ رجب البرسي (القرن ٨ هـ)، نشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام، (بدون تاريخ).

مصباح الشريعة: الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مؤسسة الأعلمي، بيروت (١٤٠٠هـ).

مصباح الكفعمي (جُنّة الأمان الواقية وجَنّة الإيمان الباقية): تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن الكفعمي (٩٠٥هـ)، دار النعمان، بيروت، (١٤١٣هـ).

مصباح المتهجّد: أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسيّ (٣٨٥– ٤٦٠ هـ)، تصحيح إسماعيل الأنصاريّ الزنجانيّ، أوفست عن الطبعة الحجرية.

معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري (المعاصر)، مؤسّسة البعثة، طهران، (١٤٠٨هـ).

معاني الأخبار: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (٣٨١ هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري، (١٣٦١هـ.ش)، مكتبة الإسلامي، قم.

معجم رجال الحديث: آية الله السيد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ (١٤١٣هـ)، نشر الثقافة الإسلامية، طهران، (١٤١٣هـ).

مغني اللبيب: عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاريّ (٧٠٨ - ٧٦٢هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، قم، مكتبة آية الله المرعشيّ (١٣٠٤هـ).

مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي (١٣٥٩هـ)، دار الأضواء، بيروت (١٤٠٥هـ).

مفاتيح الغيب: محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (١٠٥٠هـ)، المصحّح محمد خواجوي، مؤسّسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي (١٣٦٣ هـ.ش).

المفسّرون حياتهم ومنهجهم: السيد محمد علي أيازي (المعاصر)، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).

المقالات والفرق: سعد بن عبد الله أبو خلف الأشعري القميّ (٢٩٩هـ)، مؤسسة الانتشارات العلمية التابعة لوزارة المعارف، طهران (١٣٦٠ هـ.ش). تقديم وتعليق الدكتور محمد جواد مشكور.

مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، (مطبوع مع الاستبصار): الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله عيّاش المطبعة العلوية النجف، (١٣٤٦هـ.ش)، تصحيح: السيد محمود مدير المطبعة.

مقتل الحسين عليه السلام: عبد الرزاق الموسوي المقرّم (١٣١٦ - ١٣٩١هـ)، قسم الدراسات الإسلامية، طهران، (بدون تاريخ).

مناقب آل أبي طالب: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السرويّ المازندرانيّ (٥٨٨هـ)، تصحيح السيد هاشم الرسوليّ المحلاّتي، انتشارات علاّمه، قم.

منتخب التواريخ: حاج محمد هاشم بن محمد علي الخراساني (١٣٥٢ ش)، المكتبة العلمية، طهران، (بدون تاريخ).

المنتظم (في تاريخ الملوك والأمم): أبو الفرج عبد الرحم بن علي بن محمد ابن الجوزيّ (٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، تصحيح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٢ هـ)، ١٩ مجلّداً.

منتهى المطلب في تحقيق المذهب: الحسن بن يوسف العلاّمة الحلّي (٧٢٦ هـ)، تحقيق قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، تقديم الدكتور: محمود البستاني، (١٤١٢هـ)، مشهد.

المنجد: لويس معلوف اليسوعيّ (١٩٤٦ م)، المطبعة الكاتوليكية، بيروت، (١٩٢٥م).

من لا يحضره الفقيه: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (٣٨١هـ)، تحقيق محمد جواد الفقيه، تصحيح يوسف البقاعيّ، دار الأضواء، بيروت،(١٤١٣هـ)، ٤ مجلّدات.

الملهوف على قتلى الطفوف: رضيّ الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (٦٤٤هـ)، تحقيق الشيخ فارس تبريزيان الحسّون، دار الأسوة، قم، (١٤١٤هـ).

موسوعة الفرق الإسلامية: الدكتور محمد جواد مشكور (١٣٧٤هـ)، تعريب علي هاشم، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

مهرتابان(يادنامهٔ علامهٔ طباطبائي) : العلاّمة محمد حسين الحسيني الطهراني (١٣٧٤ هـ)، انتشارات باقر العلوم عليه السلام، (١٤٠٢هـ).

ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٧هـ)، دار المعرفة، بيروت، تحقيق علي محمد البجاويّ.

النجاة من الغرق في بحر الضلالات: حسين بن عبد الله ابن سينا، (٤٢٨هـ)، انتشارات جامعة طهران (١٣٦٤ هـ.ش). تصحيح محمد تقي دانش پژوه.

نفحة الروح وتحفة الفتوح: مؤيّد الدين بن محمود الجنديّ، القرن السابع، تصحيح نجيب مايل هروي، طهران، انتشارات مولى، (١٣٦٢ هـ.ش).

النقض: المعروف بـ (بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض)، نصير الدين عبد الجليل القزوينيّ الرازيّ (٥٨٥هـ)، تصحيح جلال الدين المحدّث

الآرمويّ، انتشارات انجمن آثار ملى، (١٣٥٨هـ.ش).

نور الثقلين: الشيخ عبد العلي بن جمعة العروسي الحويزيّ (١١١٢هـ)، تصحيح السيد هاشم الرسوليّ المحلاّتيّ، مطبعة الحكمة، قم، ٥ مجلّدات.

النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير مبارك بن محمد الجزري (٦٠٦ هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاويّ ومحمود محمد الطناحيّ، اسماعيليان، قم، (١٣٦٤هـ.ش).

نهج البلاغة: الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسن الموسوي (٤٠٤ هـ)، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، دار الهجرة، قم.

هدية الأحباب: المحدّث الشيخ عباس القميّ (١٣٥٩هـ)، مكتبة الصدوق، طهران، الطبعة الأولى، (١٣٦٢ هـ).

وسائل الشيعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العامليّ (١١٠٤ هـ)، المكتبة الإسلامية، طهران (١٣٨٨هـ)، الطبعة الثانية، تصحيح الشيخ عبد الرحيم الربّانيّ الشيرازيّ، ٢٠ مجلّداً.

وفيات الأعيان: ابن خلّكان أحمد بن محمد (٦٨١ هـ)، مؤسّسة النهضة المصرية، القاهرة (١٣٦٧هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

د ار المعـارف الحـكـمـية

[صــدر عن معهد المعارف الحكميــة]

اسم الـكـتـاب	المؤلـــف
تقنية الفهم التتابعي - التحولات البنائية للرمز والمصطلح في النص الزهدي – الصوفي	خديجة صفا
قاموس المصطلحات الفلسفية (عند صدر الدين الشيرازي)	جعفر سجادي
سراج الصعود (شرح رسالة حق اليقين للشبستري)	محسن بينا
رسالة الأصول الثلاثة	صدر المتألهين الشيرازي
حواريات الروح و الدين	مجموعة باحثين
العرفان عند الإمام الخميني	مجموعة باحثين
رشحات ولائية	شفيق جرادي
فلسفة صدر المتالهين (المباني والمرتكزات)	مجموعة باحثين
الصحيفة السجادية الجزء الأول الدراسات السندية	مجموعة باحثين
الصحيفة السجادية الجزء الثاني مسارد الصحيفة	برهان بخاري
الصحيفة السجادية الجزء الثالث المعجم المفهرس	احمد ماجد/سمير خير الدين
العرفان (ألم استنارة و يقظة موت)	شفيق جرادي
كسر أصنام الجاهلية في الرد على الصوفية	صدر المتألهين الشيرازي
مقدمات تأسيسية في التصوف والعرفان	مجموعة باحثين
نظرية المعرفة عند الفلاسفة المسلمين	علي جابر
العبادة والعبودية في الرؤيا والسلوك (الإمام الخميني)	حسن يحيى بدران
أنا وأنت	مارتن بوبر
رشحات البحار	محمد علي شاه آبادي
أصول المعارف	محسن الفيض الكاشاني
مباني وأصول العرفان الشيعي	محمد علي فاضل

كان الحاج فاضل الخراساني مضرب المثل في الشمولية والدقة والتحقيق، وكان من فقهاء عصره وحكمائه وأدبائه وعرفائه المشهورين، وعُدّ مدرّسًا رفيعًا في فنون الحكمة، وأستاذًا ممتازًا في جودة التقرير وقدرة البيان.. فكان حكيمًا محققًا وفقيهًا عرّيفًا وأصوليًّا ماهرًا ومفسّرًا ومحدثًا وأديبًا جامعًا قلّ مثله في الجامعية...

ويعتبر شرحه لدعاء عرفة شاهدًا حيًّا لما كان يحمله من علوم ومعارف عميقة مع إحاطة شاملة لفنون القول، وإدراك عميق لدقائق المعقول والمنقول، في مسائل الإلهيات ومباحث التوحيد والصفات ومطالب الأخلاق الرفيعة ونحوها من أبحاث تستحق بجدارة أن تكون محل اهتمام الباحثين وتقديرهم لها.

دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢ شمالي
تلفاكس: ٥٤٤٦٢٢ - ٠١ - Email: almaaref@shurouk.org